

أرد

مَجَلَّةٌ شَهْرِيَّةٌ يَقْنَى بِشُؤُونِ الْفِكْرِ

في هذا العدد

قصص

الانسة نازك الملائكة	متحدر التل
الدكتور ع. العجيلي	النهر سلطان
مصطفى الحلاج	الفضب (مسرحية)
فتحى زكي	وداع

قصائد

عبد الباسط الصوفي	رعاة البقر
كامل ايوب	بقية اللحن
حسن النجمي	حتى تشرق الشمس
زكي قنصل	ماساة
خليل الخوري	من مفكرة رجل مضيق
مختار عبد الباقي	لا املك الحياة

ابحاث

محمد الصالح الصديق	الى البطل القائد عمروش
مجاهد ع. مجاهد	النظرية التعبيرية وموقفها من البشرية
غالي شكري	العمامة تاج العرب
الدكتور خالد الصوفي	جمهورية عربية في الاندلس
محيي الدين صبحي	نقد قصائد العدد الماضي
عائدة مطرجي ادريس	نقد قصص العدد الماضي

اكتوبر (تشرين الاول)

العدد العاشر

في سلسلة « قادة الفكر »

صدر حديثاً

العدالة الاجتماعية

بقلم
اميل غيري

نقله الى العربية
سهيل الياس

في طبعة انيقة متقنة

نشر: المطبعة الكاثوليكية ، بيروت

المستودع الوحيد: المكتبة الشرقية ، بيروت

العدد العاشر
نوفمبر (تشرين الاول)

السنة السابعة

No. 10 Oct. 1959

7ème ANNEE



مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

بيروت

ص.ب ٤١٢٣ - تلفون ٣٢٨٣٢

AL-ADAB REVUE MENSUELLE CULTURELLE

BEYROUTH. LIBAN B.P. 4123

Tél. 32832

رئيس التحرير
والمدير المسؤول
الدكتور سويل إدريس

Rédacteur en chef et
directeur

SOUHEIL IDRISS

منحدر التل...

قصص بقلم نازك المديكت

— بابا ، او حقا ؟ هل سنرحل .. ؟
واجابها ابن عمتي بلهجة قاطعة وصريحة :
— طبعاً ترحلون ، لا مفر من ذلك . ان المدينة ما زالت
مكشوفة جنوباً وفي مساء الغد — على ابعد تقدير — لن يمكن
لكم ان تغادروا لان هذا البيت سيكون في ايدي اليهود .
وانهارت اعصاب هدى وارتمت في حضني باكية
بصوت عال . وشعرت بانني اريد ان ابكي معها احرك بكاء
غير انني صررت باسناني ورحت اربت على كتفها . ونظرت
في وجه كمال وتمنيت لو انه كان يكذب علينا هذه المرة
ايضاً . فهل نترك قريتنا ، مسقط رؤوسنا ، وبيتنا الحلو
الصغير وكرومنا المتعرشة على النوافذ العتيقة ؟ واصحاني
شهيق هدى وارتعاشها ، اختي التي ستشرد وهي في
الثالثة عشرة

وافاقت سمية من المفاجأة وانتصبت بثباتها المألوف
وغمغمت :

— بطانية ووسادة لكل واحد . وانت يا كمال ؟ انذهب
معنا ؟

كلا . كمال لا يريد ان يذهب . وعجبت له في نفسي .
ما الذي يربطه الى قريتنا ؟ لقد كان طيلة حياته انساناً
هوائياً عابثاً ، مروج اشاعات من صنف رخيص ، وخالق
مشاحنات . وما كان فيه شيء يحب الا قلبه الطيب
وحناؤه الفاضل . فهل تراه يتقلب الان جندياً غيوراً على
فلسطين كلها ؟ ايمن ان تحدث مثل هذه المعجزة لمثله ؟
وجاء عامر وجلس الى جوارى واخذ بيده هدى . ولاح

كنا متجمعين في الغرفة الكبرى ، ابي ملتف بعباءته
وبيده مسبحته يلعب بحباتها ويردد بين الحين والحين :
— لا حول ولا قوة الا بالله .

ومن بعيد كانت تاتي اصوات رصاص متناثر يشد
حيناً ثم يخفت . فعلى حدود قريتنا يربض اليهود ، وقد
بدا حديث الرجيل والجلأ يصبح جدياً بالنسبة لنا . لاول
مرة أصبحت جدران بيتنا تبدو لي وكأنها تصمت وتبرد
وتدير وجهها عني ... يجب ان نرحل عن قريتنا ، قرية
ابي وقرية عامر وسمية وهدى . نرحل الى مستقبل مبهم
تخفيه الظلال . يصدق ذلك لنا صوت ابن عمتي البدين
كمال وقد عاد منذ دقائق يلهث من قرب الحدود واقسم
لنا اقساماً مغلظة انه شهد بعينه سعيد البستاني العجوز
قتيلاً هو وابنته فاطمة ابشع قتلة . ثم قال لنا بانفعال ان
الجيران يجمعون الثمين من مقتنياتهم ويرحلون وسرعان ما
سوف تخاو القرية فلا بد لنا ان نتخلى عن كل اهل في
البقاء . وخطر لي ان كمال يكذب على عاداته ، فما ألفنا منه
الصدق الا نادراً . غير ان الرصاص الذي كان ينثال من
الظلمات كذب املّي هذا . وارتفع صوت ابي في لهجة
اذعان وتسليم :

— لا بد من الرحيل اذن . سمية ؟ هيئي لكل منا بطانية
ووسادة فقد نضطر الى ان ننام في الحقول .

ورأيت وجه سمية يشحب ولكنها لم تتكلم . المشكلة
دائماً هي مشكلة اختي الصغرى هدى التي صاحت بلهجة
متأججة :

في صوته جفاف رغم ولعه الشديد بهدى :

— عزيزتي ، يجب ان تكوني بيرة وتكفي عن البكاء . ان
امنا اللينه سيرا طويلا على الافد م . ولا بد لك من الشجاعة
ولكن هدى زادت شيجا وكررت السؤال بصوت اعلى :
— ولكن هل نرحل حقا ؟ اترك بيتنا ؟

وفي هذه اللحظة بدا ابي يبكي وينشج . ان هناك
شيئا لا يحتمل في بكاء رجل شيخ . ونهض عامر وغادر
الغرفة على عجل . اما هدى فسكتت عن بكائها . وركضت
الى الغرفة المجاورة وجاءت ابي بكوب ماء وهذات
العاصفه بدخول سمية وهي تحمل مجموعة من البطانيات
والوسائد ، الفتها في وسط الفرقة . ذلك وجه الواقع
يطل علينا ولا بد لنا ان نحدق فيه ونسكت عواطفنا .
ونهضت لاساعد سمية على ربط الاشياء بحبل . واعترض
كمال :

— لا تربطوها . ان كلا منكم سيحمل بطانيته ووسادته .

وصاحت هدى بانفعال :

— والفرس ؟ ديدي ؟ هل نتركها هنا ؟

وتلكات ثم اضافت

— لليهود ؟ انهم سيقفلونها ...

قالت ذلك ثم ارتمت على كتف ابي وعادت الى النشيج .

وربت ابي على راسها وقال لها وهو يبكي معها :

— لا يا غاليتي . سوف تاخذين ديدي معك .

وسألت سمية متى نبدأ الرحيل ؟ فاجاب كمال اننا
نتظر صافرة الانذار . فلقد حددت السلطة العربية
نقطة على الحدود اذا تخطاها العدو وجب على السكان
العرب ان يرحلوا .

وساد الصمت دقائق وابتعد كل منا عن الاخر مسافات .
وجلست سمية صامدة لا يبدو عليها اي شيء . ماذا تراها
ستفعل بكتبها العديدة ؟ اننا ندري انها اعز شيء لديها
وليس في وسعها ان تحمل منها شيئا . ولكني لم اجرؤ
على سؤالها خوفا من ان نبكي كنا . فماذا نترك من بيتنا
وماذا ندع ؟ كل ما هو لنا الان من ذكريات واشياء سوف
يغيب عنا الى الابد ويصبح ماكا لسروانا . وفي مثل هذه
الساعة من مساء الغد ستكون غرفتنا هذه باردة يدوسها
غرباء لم نفتح لهم الباب ولم نبادلهم قط اي شيء . وادرت
راسي وتمنيت لو ان هدى عادت الى البكاء لعل الغرفة
تكون ماكا لي لحظات اخرى . انما نمتلك غرفنا وبيوتنا لان
اصوات اهلنا تتردد فيها ، ولو بالبكاء والعويل . وحين
يتبدد الصوت تصبح الجدران موحشة وتطردها من الجنة .
وفجأة خطف في نفسي شعاع . من قال اننا سنرحل ؟
الا يجوز ان يتغير الموقف فجأة ؟ ان صافرة الانذار هذه
قد لا تنطلق قط ، ومن يدري ان نجدة ما من الجيوش
العربية لن تأتي لتحمي قريتنا ؟ اما يقال ان الجيش المصري
يرابط جنوبا على مسيرة خمسين كيلومترا ؟

وقاطعتني ضجة مفاجئة خارج بابنا ، وصوت عامر مرتفع
بينها . وقبل ان اتبين اي شيء ففرت هدى كالغزال وهي

تصيح :

— جاء سمير وندرة

وقبل ان ينجلي الموضوع قال ابي متشائما وهو يضرب يده
على ركبتيه :

— الهي ! ولدي واسرته يجيئوننا لاجئين .

وكان ذلك حقا ، لقد جاءوا من القرى المجاورة التي
كنا نحسبها آمنة . وسرعان ما اخبرنا سمير ان العدو
احرق مزرعتهم وانهم تركوها ولم يستطيعوا انقاذ الفرسين
والبقرات الثلاث فكان صياحها وهلعها يقطع نياط القلب .
والتفتنا فجأة الى باسم الصغير ، ابن اخي ، وكان واقفا
عند الباب بانكسار فأم يألّف ان يائنا ولا نظير فرحنا
برؤيته . واسرعت اليه وحماته على ركبتيه فرايت في
وجهه خوفا مستجيرا فرحت الاطفه واحاول جهد طاقتي
ان انسبه المشاهد المحزنة التي رآها وكنت احسب ان
صياح الحيونات قد ألمه فهو طفل حساس جدا عادة . غير
ان هلعه كان ينبع من جهة ثانية .

— سعاد ؟ هل تخافين من ابن آوى ؟

— انه حيوان مزعج يا عزيزي ، ولكننا يجب الا نخاف منه !
وقد قال على عجل وبهجة قاطعة :

— اني اخاف منه . بابا يقول انه احيانا يأتي الى حوض
الماء في مزرعتنا ويشرب . وعندما يعوي واسمعه اخاف
واخفي رأسي تحت الوسادة .

كان يتسكلم بفزع . وخطر لسي
ان رعبه من صياح البقرات المسكينة التي حاصرتها النيران
قد تحول الى ذكريات خوفه من ابن آوى . فالاطفال
يمزجون بين ذكرياتهم وعواطفهم وكان الوجود يبدو لهم
اكبر من ان ينقسم الى تفاصيل .
وفجأة قال سمير :

— على كل حال ، لقد اخبرني الجنود العرب على الحدود
ان العدو قد تراجع مسافة عن هذه القرية :

وحدثت ضجة بيننا واحطنا به نسال . يا الهي . اذن
كان ذلك الشعاع الذي خطف في قلبي صحيحا . اذن لن
نرحل عن قريتنا . والليلة على الاقل سامام في غرفتي ،
والس وسادتي بخدي وارى عريش العنب من النافذة ،
ويصهل الفرس ويبذد السكون بصوته المألوف ، واسمع
ديكنا يوقت بحرارة وحماسة ساعات الليل البطيئة ،
ولاحظنا فجأة ان الرصاص قد انقطع فقوى ذلك آمالنا
واسند فرحنا . ومر بنا الخفير وبشرنا بانسحاب الجيش
اليهودي وعندما سالناه عن مصدر الخبر قال ان الناس
كلهم يتحدثون به . وفجأة رحت ابكي انا ، لأول مرة .
وتدحرجت دموع حارة غزيرة على وجهي فنهضت وفتحت
النافذة لانتفس بحرية فرايت القمر شرقا وبسلساتين
البرتقال مغرقة بفيض من الضياء .

نصف الليل ، وكمال ينصرف الى منزله المجاور طالبا
الينا ان ننام لننال قسطا من الراحة بعد كل تلك الانفعالات .
وفي غرفتي قامت لنفسي ان قريتنا ما زالت ملكا لنا . ومن

النافذة التي تطل على الساحة الخلفية رايت هدى، اختي الحبيبة، تتسلل لتطمئن على راحة فرسها المحبوبة ديدى. ونام الآخرون، إلا سمية التي تقع غرفتها فوق غرفتي، فقد بقيت اسمعها تتحرك وكأنها تقوم بعمل متواصل. وطرق باب غرفتي وأطل عامر برأسه وفي يده فرشاة الأسنان: - سعاد. لقد انداح العدو حقا. جاء الخفير الآن ثانية واعملني بذلك.

وسألته ان يمر بغرفة سمية ويطلب اليها ان تنام. ثم اطفأت الضوء وسقطت في غفوة عميقة مطمئنة.

* * *

كان صوتا موحشا طويل النبرة يقطع السكون ويتكرر وافقت من نومي فزعة وسمعت نقرا عصبيا على زجاج نافذتي: سعاد! سعاد! استيقظي وفركت عيني ومددت يدي الى زر الكهرباء واشعلته. ثم فتحت النافذة القائمة الى جوار سريري: - سمية؟ ماذا حدث؟

وسمعت صوتها يرتعش:

- انها صفارة الانذار.

ولاول وهلة لم افهم وتبلد احساسني وذهني. صفارة الانذار؟ من اجل ماذا؟ ولكنني تذكرت بعد لحظة. وادركت اننا سنرحل. ولم الق اية أسئلة على سمية وانما نهضت فوراً ورحت اغير ثيابي. لاح لي الرحيل الان طبيعيا ومعقولا. ورايت بعين الخيال قافلتنا تتسلق التلال الموحشة المجاورة، واهمني امر ابي الشيخ فحرت كيف سيسير تلك المسيرة الطويلة. وجاء عامر راکضا وصاح بي:

- هل انتهيت؟ ان الوقت ضيق جدا والرصاص يقترب.

ثم ذهب على عجل كما جاء. كنت اعمل بسرعة ولكن حزني كان بطيئا يتبع مقياسا اخر. وسقطت عيني على مختلف الاشياء في غرفتي، كل ما جمعه منذ طفولتي واعطيته من نفسي وذاكرتي. لا، هذا ليس لي ولست املك اكثر من البطانية والوسادة. ان علي ان اساعد في حمل طفلي اخي فهما اثنان من كل شيء يحمل.

ثم عادت صفارة الانذار تصرخ صراخا مفرعا اشد مما صرخت اولا، واختلط بها دوي رصاص وقنابل. واحسست بقشعريرة باردة تسري في ظهري. ولاح لي السؤال بليدا: لماذا يأتي اليهود ويأخذون ارضنا منا في اعماق الليل؟

وجاءت هدى وهي تحمل اسامة الابن الاصغر لآخي. كانت مبتسمة، عالية الروح، وكان دنو ساعة المحذور قد ازال دموعها. وسألت ان كان هناك ما تساعدني به فارسلتها الى نادرة زوجة اخي. لقد آثرت ان اكون وحيدة لحظات قبل ان نرحل. ولم آخذ من غرفتي الا قرآنا ذهبيا ذا سلسلة كانت امي قد اهدتني اياه في آخر سنوات حياتها. فشددته حول عنقي وغادرت الغرفة بعد ان اطفأت

الضوء. ووقفت في الباب وتساءلت: هل اقبلها؟ وكانني نسيت انها لم تعد ملكي. ولكني اخيرا اقبلتها. كانت الاكرة باردة جدا وقد تراكمت رطوبة الليل عليها. وشعرت وانا اغلق الباب انني اقبل قفل فلسطين كلها واقف مطرودة من الجنة. والصقت خدي المشتعل بالخشب البارد المرطب. وتحدثت عبرات ساخنة على وجهي وسالت في عنقي ودخلت في سلسلة القرآن. وداخلني شوق مفاجيء الى امي التي ماتت منذ عشر سنين وسمعت نفسي ابكي واكرر «ماما - ماما -»

وارتفع صوت خطوات خفيفة سريعة خلفي فالتفت. ذلك باسم الصغير وقد ارتدى ملابسه كاملة واقبل علي: - سعاد، لماذا تقفين هكذا؟

كان صوته دافئا مملوءا بالحنان. ترى يستشعر طفل عمره اربع سنوات الم الرحيل؟ وانحنيت وحملته بين ذراعي وانا اشعر ان محيئه في تلك اللحظة كان عناية الالهة او كان امي تستجيب لي. وحين شعر بدموعي على وجهه لاحت نظرة خوف عليه وسألني مترددا: - لماذا تبكين؟

ولم اجد شيئا ارد به فقلت له:

- لانني يا عزيزي هنا وحدي

فما كان منه الا أن طوقني بذراعيه الصغيرتين وقال:

- ولكنني جئت اليك. انني احبك

واخرجت المفتاح من الباب وسرت. وبقي باسم ساكتا ونحن نخترق القسم الخارجي من المنزل. وقلت لنفسني ان كل الاشياء التي سنتركها هنا هينة ما دام هذا الصغير سالما آمنا وما دمنا احياء جميعا لم يقتل منا احد والحمد لله. ان علي الان ان احرص على سلامة هذا الصغير البصري الذي لا يدري على حافة اي مستقبل مظلم يقف الليلة ونحن نغادر وطننا هاربين.

ورايت اهلي متجمعين في الظلام ينتظرونني... كان كل منهم يحمل بطانية ووسادة في يده، وقد جاء كمال مودعا ومساعد. وكان الفرس مسرجا وقد حملوا عليه بعض الطعام والماء وملابس للصغيرين. وانزلت باسم الى الارض وقال ابي مصدرا اوامره على عادته: - تعاونوا على حمل الاشياء ولا تثقلوا الفرس، سمي انت سوف تحمل باسم.

وانبرى باسم وقال بلهجة عصبية محتجة:

- وأنا ماذا سأحمل يا جدي؟

لقد اصر على ان يحمل شيئا ما هو ايضا. وكنا ندري انه عنيد، والوقت ضيق، فقررنا ان نزل عند رغبته. واقترحنا امه ان يحمل فرسه الخشبي الصغير ولكنه رفض ذلك باباء واراد ان يحمل شيئا نافعا يساعدنا به. وسرعان ما صاح:

- عرفت يا ماما. ساحمل زجاجة اسامه. ان نسقيه الحليب عندما يجوع في الطريق؟ وقالت امه بلهجة صارمة:

— كل شيء الا هذا ، لن تحمل انت الزجاجة . انك سوف تكسرها فيبقى « أس أس » جائعا . وكانت مفاجأة لنا ان باسم انفجر يبكي بكاء صارخا . وانحنى ابي وحمله بين ذراعيه :
— ولكن ما بك يا حبيبنا ؟ الم نقل ان الولد العربي لا يبكي ابدا ؟

واجاب وهو يواصل البكاء وكلماته تتقطع :
— ان الولد العربي يساعد الناس . فلماذا لا اساعدكم ؟ وهمست نادرة لي :

— لقد بدأ يصبح حساسا منذ غادرنا منزلنا وسمع صراخ الحيوانات ورأى الحريق . خير لنا ان نجازف ونعطيه الزجاجة . ان هناك واحدة اخرى احتياطية ، ساضعها في خرج الفرس .

وشعرت بحرقه الم تعبر في قلبي . الصغار اذن يشعرون بالمرحيل وان لم يدركوا ذلك تماما . ترى باسم يبكي من اجل الزجاجة حقا ؟ ام أنه يتعال ليبكي الرحيل ومشهد التوديع ؟ وفي هذه اللحظة ذهبت اليه امه بالزجاجة ومرت بسبابتها على خده وجرفت قطرات الدمع عنه وقالت له وهي تدله :
— هل هو يبكي حقا ؟ تراه صغيرا مثل اسامة اذن ؟

ها نحن نعطيه الزجاجة على كل حال وسوف يساعدنا على حملها لان الولد العربي ، كما قال لنا « جدي » ، يساعد الناس . انه ولد باسل .

وشهق الصغير شهيقا متقطعا وكأنه عاصفة قد بدأت تهدأ ثم تنهد وقال بلهجة جازمة :
— اني كبير !

— ولكنك لن تكسر هذه الزجاجة . هل تعد ماما ؟ قالت ذلك وقدمتها له فلتقفها بلهفة وقال :

— كلا . سأمسكها بيدي الاثنتين ثم أطبق اصابعه السمرء على الزجاجة . ولعل هذا المشهد قد استثار عواطف كمال فاندفع ينشج وقال بصوت مخنوق بالعبرات :

— اذهبوا ، يحرصكم الله . اني باق هنا . ولسوف تعودون كلكم قريبا . هذه ارضنا وحقولنا ولن نعطيه لليهود .

وردد ابي بلهجة متشائمة :
— ان شاء الله

وانهال وابل من الرصاص في هذه اللحظة من نقطة قريبة . وفزع الفرس فسهل عاليا ووقف على قائميه الخلفيتين وتدحرج الحصان الخشبي وانكسر الى قطعتين . وصاح ابي

— كل لحظة نقضيها هنا تقربنا من الخطر . فلنرحل فورا . اين سمية ؟ لماذا لم تحضر بعد ؟

واسرعت الى غرفتها في الطابق الثاني فرايتها تقفل حقيبة يدوية صغيرة وفي ملامحها اسى عميق لم أر له مثيلا سابقا في وجهها . وقالت وكأنها تعتذر :

— لم احتمل ان اترك كل كتبي هنا فحملت اهمها . — سمية ، عزيزتي ، ان الكتب تعوض . ولسوف تثقلك هذه الحقيبة وتعرفل سيرك . وقالت سمية تأثرة وهي تكاد تبكي :

— الكتب تعوض ؟ حقا ! ولكن هذه كتبي انا يا سعاد ، وبين صفحاتها ، عل كل سطر فيها ، وكل حاشية ، حياتي . وما من شيء يعوض حياتي .

ولم يكن لنا وقت تناقش فيه فساعدتها على اقفال حقيبتها وقلت لها بحزم :
— هيا بنا . ان العدو يقترب بسرعة .

* * *

وانطلقت قافلتنا في الظلام . كنا نسير على عجل ، كل يحمل بطانيته ووسادته في صمت . ويمنا نحو الجنوب ، صوب قطعات الجيش المصري . تسعة اشخاص سيكونون منذ هذه اللحظة بلا مأوى ولا ارض . ان وقع خطانا هنا موحش لان هذه ارض فلسطين التي لم تعد لنا ، وظلالنا تجر نفسها وراءنا جرا . ولاحظ لي اشخاص اهلي هياكل مهمومة ، حنية الظهور فكانها تحمل عذاب المشردين منذ بدء الخليقة . وسمعت ضجة قريبة ، فاذا جيراننا قد بدأوا يخرجون . كل اسرة تحمل فانوسا صغيرا مضاء . ولاحظ لي الفوانيس رموزا للاسر التي تبدأ اللحظة تاريخ تشردها . واحصيت اربعة فوانيس .

وبدأنا ننحدر في حي مظلم تحيط به بيوت ساكنة مظفأة الاضواء . لا بد ان يكون سكان هذا الشارع قد رحلوا قبلنا . وفجأة صرخت هدى :

— انظروا هناك . انظروا جميعا .

وفي تلك اللحظة تأججت في منعطف الشارع نار ساطعة باهرة فاجأتنا واعشت عيوننا . ثم سمعنا صوت انفجار مروع وتصاعدت النيران الى عنان السماء واحسنا وجوهنا تلفح لفحا شديدا . وقبل ان نفيق من ذهولنا صرخ سمر صرخة لائعة مفاجئة :
— باسم !

كان ما وقع ، باغتانا لنا كلنا . فعلى مقربة منا اندفعت شعلة نار متأججة طائرة في الهواء تعبر بسرعة شديدة . واذ مرت بنا التقطت في وجهها الملهب باسم الصغير الذي كان يسير في اقصى الطرف قريبا من والده . وتأجج حبيبنا الغالي لحظات في تلك النار وهرعنا اليه في جنون نطفيء ثيابه المشتعلة ، ونجح ابي بان لفه بعباءته السمكية فانطفأت النار ، ونظرنا اليه فاذا هو ينازع وقد اصيب بحروق مخيفة في جسمه كله . ولكنه كان واعيا فراح يصرخ صارخا متقطعا :

— ماما ... ماما ... ماما .

كان واضحا لنا كلنا انه لن يعيش اكثر من دقائق . فقد احترقت الشعلة جلده واكلت خده الايسر وعنقه . وقد التصقت قطع من جسمه المتأكل بعباءة ابي . وصرخت سمية بلهجة آمرة هائلة :

— اركضوا فوراً . احمولوه واتجهوا يمينا . لقد اشتعل مخزن البنزين .
 واطعنا كلنا فوراً وكأن منوماً يسيرنا . ركضنا وركضنا وابي يحمل الضحية الاولى ، اول جزء حي هنا ندفنه في ارض المعركة .
 وعندما بلغنا تلا فصل بيننا وبين النار ، ولسنا الارض التي تحمينا ارتمينا بقلوب دامية حول ابي نستطلع حياة الحبيب الصغير الذي اكلته النيران .
 وكشف ابي العباءة ، ونظرنا ، في جنون ، فاذا صغيرنا الغالي ما زال يختلج . كانت عيناه السوداوان الجميلتان مفتوحتين وقد راحت دموع غزيرة تتحدر من زاويتيهم وتسيل بلا انقطاع . وكان ساكننا ما عدا ارتعاش اطرافه . ونظر الى وجوهنا واحداً واحداً دون ان ينطق ثم استقرت نظراته المحمومة على وجه امه وتوقفت هناك . ورأيناها يحرك شفثيه لكي يتكلم ، والظاهر ان الشفاه المحترقة اوجعته فمرت موجة عذاب هائل على قسماته . وقالت له امه وهي تجهش بالبكاء :
 — لا تتكلم يا حبيبي . ماما معك .
 غير ان ذلك لم ينفع . فان الطفل المحتضر عاد يحاول الكلام حتى قال بعد جهد :
 — ماما ...
 ورأيناها يحاول ان يتحرك وكانت يديه مخفية تحت طرف العباءة ، وفجأة حركها بقوة بعد ان بذل مجهوداً ونظرنا نندهشين فاذا هو يمد كفه الصغيرة الى امه بزجاجة الحليب وهو ممسك بها بكل قواه ، وارتعش صوته مراراً حتى قال :
 — ماما ... لم اكسرهما .
 واخذتها امه منه فارتعش بحدة واغمض عينيها . ونظرت اليه دون ان افهم . ورأيت ابي يرد عباة على الجسد المحترق ويقول بأسى :
 — انا لله وانا اليه راجعون .
 اما نادرة ، امه ، فقد بقيت ذاهلة لحظة ثم صاحت بصوت مفاجئ :
 — مات ؟ مات ابني ؟
 وارتمت هدى على التراب ، بطولها كله ، وراحت تمرغ وجهها فيه وتصرخ :
 — مات باسم ؟ اتركوني هنا ، اتركوني . اني اريد ان اموت .
 كان الفرس واقفاً على مقربة في جمود ساكن بعد ان قطع معنا المسافة التي ركضناها . وعلى صرخة هدى رفع قائمته الامامية اليسرى ثم حرك احدى اذنيه واطرق .
 ثم جاء مشهد مروع . نادرة تبكي متوسلة الى ابي ان يعطيها طفلها الميت لتودعه . وسمير يرفض ذلك ويحول بينها وبين ابي والطفل . وابي يقترح ان يدفن الميت لنواصل السير . وهنا ترفع هدى وجهها المصفر بالتراب وتصبح صياحاً هستيرياً :

— تدفونوه؟ قبل ان نتأكد من موته ؟ هل يدفن باسم حيا يا الهي ؟ هل تدفونوه قبل ان يموت ؟
 وصاح بها ابي في عصبية بالغة منتهرا :
 — لقد مات . اولاً اعرف الموت بعد ؟ الم يكفني ما رأيت منه طيلة عمري ؟
 ولكن هدى زادت صراخاً ولاح انها فقدت صوابها وبدأت تهذي :
 — ابي ، انك قاس جداً ، ان قلبك من حجر . انك تعاملنا بلا رحمة . لا بل انك سوف تدفننا احياء جميعنا . ثم راحت ترتعش ارتعاشاً هستيرياً وواصلت الهذيان :
 — يا صديقي الصغير ، ان هدى لن تخونك . سوف احملك انا وحدي واسير بك ساعات ، حتى تموت . والا فسوف ابقى هنا معك واموت .
 وذهب عامر وركع الى جوار هدى محاولاً ان يهدئها وقد لاح لنا انها اصببت برجة عاطفية . والواقع ان الصغير كان هادئاً ، ميتاً كل الموت فليس بعد ذلك موت يمكن ان يكون . كانت النار التي اكلته بنزينا ضارياً فقضت عليه بسرعة . وتذكرت فجأة دموعي على خده الصغير وصوته الحنون وهو يهمس لي :
 — ولكنني جئت اليك . انني احبك .
 كنت انا الحرة بان ارمي على التراب واموت . ولكن هل املك انا ان اموت الان ؟ من اذن لهذه القافلة البشرية المعذبة ؟ من يسير بهم سواي انا ؟ لا بل ينبغي ان نهض ونواصل المسير . وسرعان ما ستهداً اختي الصغيرة المسكينة ، ويشرق الضياء على قلب الابوين الكسرين .
 — فلندفن الطفل
 همسها ابي همساً هذه المرة . وقال له سمر برفق :
 — ابي ، هل انت واثق من انه قد مات ؟
 وفقد ابي اعصابه فجأة وصاح :
 — خذ ابنك يا سيدي ، وانا ذاهب وحدي . سمية ، اتبعيني ..
 وحاول النهوض فشعر فجأة بثقل الجثة الصغيرة بين ذراعيه . وردده ذاك الى هدونه فجلس على الارض وراح يبكي بكاء لا عجا وهو يردد :
 — لك الحمد والشكر يا ربي .
 ونهضت سمية وانحنى على ابي بوجهها المرطب بالعبرات وتوسلت اليه :
 — ابي ، ليس هذا وقت نثور فيه ونفقد اعصابنا . لقد فقدنا كلنا احب انسان الينا منذ لحظات فلنحمل بعض ما يصدر من هذا وذاك منا .
 كان واضحاً لنا أننا جميعاً في حالة من العذاب المميت ولم يعد احدنا يحتمل حتى عبء نفسه . ولكن سمية وحدها بقيت مرفوعة الرأس لا تنهار ولا تضعف . وسرعان ما اقترحت علينا برفق رؤوم ان نحمل الطفل مسافة اخرى ارضاء لعواطفنا جميعاً حتى اذا تأكدنا من موته دفناه! ولم يعترض احد . كانت سمية تقودنا دائماً فلا يخالفها

احد . ورأيتهم ينهضون وسمير يحاول مساعدة نادرة على السير . وتناول عامر اسامة فحملة . اما انا فذهبت الى هدى التي كانت لم تنزل نائمة تبكي في سكون ووجهها في التراب .

— هدى ، حبيبتي ، لا بد لنا من السير . ان الرصاص يقترب منا .

وقد كنت اتوقع ان ترفض طلبي ، ولكنني رأيته على العكس تطيعني فتنهض في انقياد تام ، وتنفض التراب عن شعرها المسترسل بهزة من رأسها . كان هناك تراب كثير على خدها وشفتيها وقد اختلط بدموعها . فشعرت بعطف هائل عليها ، عطف لم اشعر بمثله قط نحو انسان ، فضممتها وبكيت . لا اظن ان هناك صبية في مثل بسالة اختي الصغرى هدى ، وفي تلك اللحظة كانت انبل منا جميعا . ورأيته تسير متعثرة وهي تكاد تسقط حتى اذا بلغت بطانيته المطروحة على التراب انحنى ورفعته حتى ثم تناولت جبل الفرس وبدأت تسير . وحين اطمانت عليها لحقت بنادرة التي كانت لا تقوى على السير .

وبدا موكبنا يسير نحو قمة التل في طريق يرتفع دائما نحو الجنوب . ولاحت الاشجار موحشة خاملة على جانب الطريق . واضاءت سمية الفانوس وتقدمتنا وعندما وصلنا القمة ونظرنا خلفنا رأينا منظرا رهيبا لا ينسى: قريتنا تحترق وقد امتدت النار الى منزلنا . ولا ادري لماذا لم اعبأ بذلك كثيرا ، وانما لاح لي ان هناك منظرا اشد ايلاما للقلب الانساني ، منظر هدى وهي تسير وراءنا جميعا تجر الفرس وتنتحب بصوت مسموع لا ينقطع .

على قمة التل دفنا صغيرنا الميت في بقعة تراب هش . وحفر القبر ابي بيديه الاثنتين لاننا لم نملك شيئا نحفر به . وجلس سмир عاجزا يبكي ولا يصنع شيئا . اما نادرة فقد اغمي عليها فاستراحت . ورفض ابي ان يضع الجسد في التراب الا اذا قرأ احدنا بعض آيات القرآن ، وكان ابي يعتقد انه لا يصح له هو ان يفعل ذلك . وكان عامر يحفظ جانبا من سورة البقرة فتلا آيات قليلة اقسام لي فيما بعد انه لم يعتمد اختيارها وانها كانت الايات الوحيدة التي تذكرها : « يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين . ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون . ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين . الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون . اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون . صدق الله العظيم . » ثم صلى ابي ركعتين وأشار الي بان آخذ هدى بعيدا . ومرة ثانية طاوعتني هدى فاخذتها الى منحدر قريب وجلسنا نبكي كلانا ولا نطق . وبعد فترة قصيرة اقبلت سمية وعينها حمران وقالت :

— هيا بنا . سوف نسافر

كان هناك على قمة التل يرتفع صغير من التراب وقد وقف ابي متجها صوب القبلة ، وحرك شفتيه ببعض كلمات لم اسمعها . وكانت زوجة اخي قد افاقت وراة جانبا من عملية الدفن ، وهي صامتة لا تبكي وكان ذروة المصيبة تمنح المفجوع هدوءا لا يفسر . وركعت الى جوارها ورحلت ادلك لها يدها الباردة وحمدت الله على هدوئها . وفي تلك اللحظة عوى ابن آوى عواء طويلا موحشا على مقربة منا . وصرخت نادرة صرخة حادة :

— ابن آوى !

ثم اغمي عليها ثانية . وراح سмир يبكي في حرقة . ولم يفهم احد سواي ماذا كان تأثير صراخ ابن آوى عند القبر الجديد . سنتركه منفردا ونذهب بعد لحظات . وشكرت الله على ان هدى لا تعرف شيئا عن ذلك .

وباغتنا انثيال الرصاص وانفجرت عدة قنابل عالية وافاقت نادرة وتعاوننا انا وسمير على اسنادها فنهضت معنا وسارت . وتقلدنا سمية بالفانوس . وكانت هدى على مقربة مني فرأيته تنحني وتلتقط شيئا ثم قالت لي :

— حقيبة الكتب . لا بد ان سمية نسيته هنا .

وكادت تضعها في خرج الفرس . فامسكت بيدها :

— اتركي هذه الكتب هنا .

— ولكننا كتب سمية ؟

— ادري . لا بد انها لم تعد تريدها . فان سمية لا تنسى شيئا .

ونشجت هدى نشيجا هادئا وقالت :

— اجل . اني بليدة . هل في الدنيا بعد باسم شيء عزيز ؟

قالت ذلك ورمت حقيبة الكتب فتدحرجت كثيرا على

المنحدر حتى خيل الي انها سقطت في اعماق الوادي .

وبدأنا نسير ، على منحدر التل هذه المرة . والتفت الى

الوراء اخر مرة فرايت فوانيس عديدة تصعد التل نحونا .

لقد داهم الحريق القرية فخرج سكانها كما تخرج النمل

مروعة حين نسكب الماء على بيوتها . كان سفح الجبل

مفروشا بالفوانيس ، تلك الروع المتحركة لكل ما هو

فلسطين .

وبدا فجر حزين يطلع على الدنيا .

نازك الملائكة

بغداد

الحركة اللاهوتية في لبنان

كتاب جديد

لامين نخله

يطلب بالجملة من دار الثقافة في بيروت
ومن جميع المكتبات في البلاد العربية

السعر ليرة لبنانية او ما يعادلها

الى البطل القائم عرشه !

بقلم محمد الصالح الصديقي

والاسلام ، واستهانتك بالخواف والاطار في سبيل وطنك .

لقد قلت لي ما معناه :

اكتب اليك وانا بين جمع من الاسود الرابضة تحت هذا العلم الخفاق ، هذا العلم الذي ينطق بصمته وترفعه انه قديم كهروبنا ، اصيل كتاريخ نضالنا ، وان كل خفقة من خفقاته رمز لانقضة هذا الشعب ، وايدان بان الاستعمار يلفظ انفاسه الاخيرة في هذه البلاد العربية .. ان هذه الارض التي ينطق فيها كل شيء بانها عربية ستتحرر من اللثام الاوغاد طوعا اوكرها ، ودمائنا العزيزة هي الثمن الوحيد لحريتها ، وذكرتي بكلمة المصلح الخالد الامام ابن باديس (ان هذه الامة الجزائرية الاسلامية ليست هي فرنسا ، ولا تريد ان تصير فرنسا ، ولا تستطيع ان تصير فرنسا ولو ارادت بل هي امة بعيدة عن فرنسا كل البع ، في لفتها وفي اخلاقها وعنصرها ، ودينها ، لا تريد ان تندمج ، ولها وطن معين هو الوطن الجزائري)

وقلت لي : غدا سيزول الظالم الجائر ، عن ارضنا الجزائر ، وترفر راية السلام والمحبة والانسانية من اقصى بلاد العرب الى ادناها ... ان فجر الاستقلال سينبلج مضمخا بدمائنا ... وانا اقواء ما دام الحق بجانبنا ، وخدمة الوطن هدفا .

لقد تأثرت برسالتك عميق التأثير ، ومرت تحت خيالي في احلة خاطفة تلك الارض الملتها ، وتمثالت اولئك الابطال على الجبال والهضاب ، وعلى السواحل والانهار ، تزار في نفوسهم عواصف هوجاء من الحقد والبغض على السفاحين الاثمن ، وتخيالتك هناك في تلك الربوة العالية واقفا تحت جدائل الزيتون المتدلية ، وفي نفسك هدير من انفجار ضخيم ، وحماس محتدم ، وشجاعة خارقة ، وانت بين اولئك الاسود تتحنون الفرصة لتحدي مطامع الاشرار ، مطامع فور وماسو ، وتقسمون في عزم وتصميم ان لن يحول بينكم وبين الحرية المحبوبة اولئك الافزام ، واولئك العلوج المجرمون .

لقد كنت على اتصال بك وباخوانك الابطال في الصحف والاذاعات ، وانتم تتنقلون في شعاب الجبال وفي جنباتها ومنحنياتها ، تثيرها رهبة شعواء على اولئك البراغيث الهائجة الذين كذفت بهم اوربوا الى تلك الارض العربية فيتساقطون تحت ضربات الاحرار القاصمة كحفنات الذباب غير مأسوف عليهم .

وقد تخيلتك في المعركة الماثلة الالهية التي حشدت فيها فرنسا اعظم ما تملك من قوة وكنت فيها الفزالة المشودة لاربعة عشر لئرا لا كلهم يتسابقون وراءك كما يتسابق الصيادون وراء الاسد : امل عظيم في هلع شديد .

لن انسالك يوم غادرت (الخضراء) الى (الحمراء) ... عندما ودعتني .. وانت تبسّم للعودة الى ارض الكفاح حيث اللقاء العذب السحري بالاباة الامجاد ، وحيث ينشر التاريخ صفحاته المشرقة ، ويخضع للارادة والايمان .

لن انسالك ، وقد وقفت امامي تودعني بكلمات تفيض ثقة بالمستقبل ، وايمانا في ابعد الحدود بسمو المبدأ ، ونبل الفاية . كلمات في عزم وتصميم وصلابة وشدة ، كانها قدت من حديد ، بل كانها السنة البنادق عندما تهدر وتهتف بالويل للمستعمرين فوق ارض الوطن .

لقد قلت لي : اننا حططنا الماضي الاسود ، وانطلقنا ننشد فجر الحياة ، ونشق الطريق اليه بالدماء والدموع ، اننا سنواصل الزحف حتى الفاية بين الاعاصير ، وتحت الصواعق ، وفوق البراكين ، فمن مات منا فيبينه وبين الجنة ساعة ، ومن حي فجز وسعادة .

خدعتني نفسي وانا اصافحك ، فحسبت انني ساجتمع بك بعد ، ولم اكن اعلم ان تلك الساعة هي اخر عهدي بك ، وان لم تكن اخر عهدي بآيات بطولتك ، وروائع تضحياتك .

لقد نرعت نفسي الى ارض الكفاح . وتخالجني شوق الى تلك الجبال الالهية المخضبة بالدماء وانت تحدثني ، وخيل اليي مما احتاجني من الحنين الى البلاد العزيزة كان المسافة بيننا وبين ارض الشهداء قد تلاشت ، وان كل شيء ذاب ولم اعد اسمع واري الا زغردات الرصاص ، وهزج البطولات ، وهدير العواصف ، وجبالا شامخة مكلفة بالاباء ، وشبابا وكهولا يقودهم الموت الى النصر ، فيندفعون في عنف كالسيول الجارفة . لقد ودعتني على امل اللقاء في ارض الوطن ارض الجزائر العربية ، وخرجت وقد نزا بك الطرب ، وطفى عليك نازح الحنين ، وتمنيت لو تطوى لك الارض في لحظات ، حتى تعود الى تلك الحياة الكريمة التي لفتها بين امواج الموت ، حياة المجد والكرامة والعز ، حياة الارادة والكفاح والخلق .

انسلخت ايام واسابيع وانا اتنسم انباءك بلهفة ظامة . وكلما تساقط الي نبا معركة واشتبك في الطريق بين تونس والجزائر توزع فكري قلق واوجست خيفة ان تكون سقطت بين الموت ، لا اشفاقا عليك ، بل اشفاقا على تلك الامال الفساح التي ازهرت ولم تشر بعد ، وعطفا على تلك الشعلة المتوهجة بين حنايا الضلوع ان تنطفئ قبل ان تنال مبتغاك .

وبعد تلهف طويل دام نيفا وثلاثة اشهر ، بلغتني رسالتك الشقيقة التي كتبته بسرعة خاطفة على رابية عالية بجبال القبائل - متوجة باشجار الزيتون يرفرف عليها علم الوطن العزيز .

وفي هذه الرسالة صورت لي آفاق طموحك ، ومدى هيامك بالمروية

لقد قالوا بعد موتك : ان الثورة على وشك النهاية كما سبق ان قالوا
يوم مات زملاؤك، فاجابت الثورة من اعالي الجبال ومن كل شبر من
التراب الثائر : انا هنا في كل مكان عاصفة لن تهدأ ، واعصار لن يسكن
ونار لن تخبث ، حتى يلفظ الاستعمار انفاسه الاخيرة في هذه البلاد .
لقد غبت عنا ولكن بعد ان تركت وراءك ابطالا يعرف الفرنسيون
بطشتهم الكبرى عندما تنفجر براكينهم ، وسيثارون لك من بعدهم .

لقد تواريت ايها البطل المغوار ، ولكن ستبقى ذكراك ... ستبقى
في انتفاضات الثائرين ، في طلقات المدافع والرشاشات .. في انشودة
الراعي .. في الدماء الملتهبة ... في القابة العذراء ... في تاريخ
الغد ..

يا ارواح الشهداء .. بولعيد ، وزيفوت ، وديدوش ، لقد جاءكم روحا
اخويكم عميروش وسي حواس ، فيا انسكم وفرحتكم بهما !..

اما نحن فعلى عهدنا القديم حتى ننتصر او نلتحق بكم اوفياء مكرمين،
فاستريحوا الى جوار كريم واطمنوا فاننا لن نحيدا

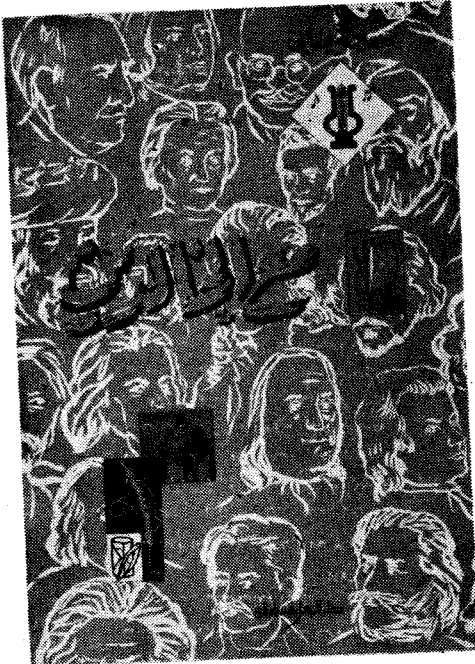
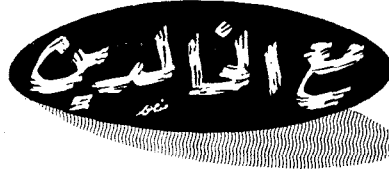
محمد الصالح الصديق

الجزائر

دارالمعارف بلبنان

كتابي سير موجزة يدرك بالقلم على البحر .. ينقلنا
طرائف ورائع من تجارب أئمة عظماء بعدد أعنا وقربوا منا
في صافية الزمن ...

تمرسوا بالحياة ولم
ينقطعوا عنها إلا وقد
أبقوا فيها ميراثا !



تأليف
سمير شيجاني



السعر ٥٠٠ ق.د
أو ما يعادلها

تخيلتك تنتقل بين امواج الموت ، وفي صدرك هدرة بركان ، وغممة
انفجار مستهينا بالموت في سبيل الحياة مسترخضا كل عزيز في سبيل
الكرامة والعز .

لقد شاهد ماسو طائرات فرنسا واميركا تتساقط في تلك المعركة
كانها عصافير اصابها صياد ماهر ... ورأى كيف عثت تلك الارض
الشاسعة بجثث ممزقة واشلاء مبعثرة ، وخضبت بالدماء .. دماء ابناء
باريس المغرورين حتى كانها طليت بدهن احمر .

لقد تبين لماسو اثر تلك المعركة - وان جحد - ان تلك الطائرات
والدبابات ، والاسلحة الفتاكة المبيدة ومئات الالاف من الجنود ، كل
ذلك لا يجدي نفعا امام هذه الطاقات الجبارة الهائلة المتولدة التي تتحدى
مطامع الحلف الاطلنطي منذ خمس سنوات .

لقد استطعت بصمودك في تلك المعركة ، وتدميرك الحرية الفائقة
ان تنتزع اعجاب القادة الفرنسيين حتى لقبوك بصاحب النظام الحديدي،
واصبحت منذ ذلك الحين شبحا مهيبا مرعبا يطاردتهم اينما كانوا في
الطريق ، في المنزل ، في المعسكر .

كم زحف (الجراد) على قمم جبال جرجرة الشامخة ، عابثا وعائثا ،
فاجهزت عليه بانطلاقيات العملاقية ، وانتفاضاتك الجبارة ، فانسحق
وانمحق ، واصبح مثالا للآخرين .

لقد اختلجت روحي اختلاجة العصفور عندما طرق سمعي نبأ
استشهادك ، وتسمرت جوار المذبح مساء يوم ٢٩ مارس ، اترقب وانتظر،
واتساءل : امات عميروش ؟ اصحيح انطفات تلك الشعلة المتقدة ؟ اسقط
ذلك الاسد الهصور ؟ اهدأت تلك العاصفة الهوجاء التي طالما قوضت من
آمال وحطمت من احلام واثارت من احزان ؟

لقد ذهبت نفسي في تكذيب الخبر مذاهب شتى ، ولكن لم البث
ان تبين الحقيقة ، وثبت انك على موعد مع الموت ... في جبال
بوسعادة لتفتح هناك صفحة اخرى جديدة في التاريخ .

هناك في جبال بوسعادة كنت تمور كالاعصار جائلا وصائلا بجانب اسد
الصحراء (وحارس ابوابها) سي الحواس هناك لقنت (دوكاس) اقصى درس
واروعه في الصمود والثبات امام جحافل الجرافة طيلة ثلاثة ايام، وبرهنت
مرة اخرى على ان العبرة بالروح المعنوية قبل كل شيء .. واثبت (لدوكاس)
ان كثير الحطب يكفيه قليل من النار ..

لقد وقفت طيلة المدة بجانب اسد الصحراء ، تصارع الموت بشجاعة
خارقة ، ادهشت العدو وانتزعت اعجابه ، فلم ترهبك النجيدات الهائلة
التي ظلت تتلاحق الى الميدان بين حين وآخر طيلة ثلاثة ايام ، ولم تنل
من عزمك وارادتك نار الارض ولا نار السماء .

لقد ظل عرينك الرهيب يرمي باللظى ويقذف بالموت حتى نفذ ما عندك
من ذخيرة وانتهت رسالتك ورسالة اخيك اسد الصحراء في هذه الحياة،
وعندئذ فقط صعدت روحاكما الى الملا الاعلى متعانقتين تحدهما ملائكة
الله في عز ورفعة ، وساد العرين صمت رهيب ثقيل ، وتربص العدو
ساعة ثم تقدم ليرى ... ليراك يا صاحب النظام الحديدي منكبا على
رشاشتك ، وعيناك مفتوحتان ، وبسمات الرضى والاطمئنان تراقص على
شفتيك .

لقد رجع القهقري وهو يرتعد فرقا ، ويتساءل في صوت لا يكاد يبين:
اهذا هو عميروش ؟ اميت هو ؟ لا... سالوا وعرضوا وما كسادوا
بصدقون .

النظرية التعبيرية وموقفها من البصرية

بقلم مجاهد عبد المنعم مجاهد

فما السبب في كل هذا الغموض ؟
هذا الغموض في الحقيقة يرجع الى افلاس هذه المدرسة
والى انها تريد ان تخدع قارئها وتلفه في ابهام حتى لا
يكشف تهافتها ... ولكي تداري - في ثنايا المصطلحات
الفلسفية المعقدة التي ابدعتها - زيفها ومعاداتها للانسانية
وللعلم ولل فلسفة العلمية ...

فما هي هذه المدرسة في الفن ؟ لما كان رأس النظرية
التعبيرية في علم الجمال هو بنديتو كروتشه ، فسوف
نحاول ان نعرض لرايه في وضوح ، رغم ما فيه هو من
غموض واضطراب ...

يقسم كروتشه المعرفة الى نوعين : معرفة عقلية
intellectual ومعرفة حدسية intuitive . المعرفة
الاولى تكون المفاهيم Concepts والتصورات conceptions
والكليات universals والمعرفة الثانية معرفة بالاشياء
والجزئيات ... فمعرفة النهر والبحيرة والبحر معرفة
حدسية ، هي نفاذ مباشر الى قلب الاشياء ، اما معرفة
الماء بصفة عامة ففيها تجريد ، ومن هنا يكون لدينا معرفة
عقلية قائمة على المفاهيم التي يكونها العقل . والمعرفة
العقلية عند كروتشه قائمة على المعرفة الحدسية ، وليست
المعرفة الحدسية في رايه - كما يظن البعض - هي البوابة
او الخادمة ، انها هي السيد لانها اصل كل معرفة ...
والى هذه المعرفة الحدسية ينتسب الفن ... فالفن
عنده حدس Intuition ... فما هو المقصود بكلمة حدس ؟

حاول كروتشه ان يعرف الحدس تعريفا ايجابيا ...
ولما احس بفشل تعريفه لجأ الى السلب ... ففي كتابه عن
فلسفة الفن يعرف الحدس تعريفا سلبيا على اساس اربعة
هي : الفن ليس واقعة مادية - الفن ليس فعلا نفعيا - الفن
ليس فعلا اخلاقيا - الفن ليس معرفة متعلقة بالمفاهيم ...
لقد كشف كروتشه في هذا التعريف عن موقفه المفرق
في المثالية ... فهو لا يعترف بان للفن وقائع مادية ...
ليس للفن عنده هو هذه اللوحات المعلقة على حوائط المتاحف ...
وليس الفن هو هذه السيمفونيات التي تعزفها الفرق ...
الفن عنده هو ذلك النشاط الروحي للفنان سواء عبر عنه
في وسيط Medium ام احتفظ به لنفسه ... بل
يفالى كروتشه فيذهب الى ان تذوق الاعمال الفنية هو

النظرية التعبيرية Expressionism في الفن هي احدى
نظريات ثلاث يصنفها الناقد الفيلسوف هربرت ريد H. Read
للدلالة على اشكال الفن المعاصر . هذه النظريات او الاتجاهات
هي : الواقعية والمثالية والتعبيرية ... الا أننا سوف نتبين
ان المدرسة التعبيرية هي في الحقيقة مدرسة مثالية
معادية للانسانية ولروح التقدم ...

وهذه المدرسة تضرب جذورها في الحركة الرومانسية
التي كانت تنادي بالتعبير عن العاطفة والمشاعر الفردية
وخاصة لدى الفلاسفة الالمان من امثال جوته وشيلر ...
وهي تجد صدى لها في اقوال بعض الفنانين ... فهذا سير
والتر رالي يقول : « لا يستطيع أي انسان ان يمشی الا على
ظله » .. وهذا جونان ريتشاردسون يقول : « الرسامون
انما يرسمون انفسهم » ... غير ان هذه المدرسة لم تأخذ
شكلها النظري الا على يد فلاسفة يؤمنون بالتفكير الهجلي
المثالي ونجد على رأسهم الفيلسوف الايطالي بنديتو كروتشه
B. Croce يؤيده في اتجاهه كاريت Carritt

الاستاذ بجامعة اكسفورد ، وكذلك هربرت ريد السالف
الذكر - وهي تجد اشياءا أيضا لدى بعض صغار المفكرين
من امثال كولنجوود Collingwood الذي يقول : « ما يحاول
الفنان ان يعمل هو ان يعبر عن عاطفة معينة » وكذلك
ل. ا. ريد Raid القائل بان « الجمال هو
التعبيرية الكاملة » .. ونجد اشياءا كذلك مثل ستيس
Stice المتأثر بالفلسفة المثالية عند هيجل ، وكذلك

نراها عند الفيلسوف الامريكي سانتايانا Santayana
ونحب ان نوضح حقيقة صارخة في البدء ، وهي ان
اتباع هذه النظرية انفسهم ، يعترفون بصعوبة نظريتهم
وغموضها ... والمتصفح لكتاب كروتشه الضخم « علم
الجمال » Aesthetics يفرق في غموض لا يستطيع
ان يتبين من خلاله شيئا ... ويعترف كاريت وهربرت
ريد بهذا ... بل وحتى من كتبوا عن هذه النظرية مثل
بوزما ، الاستاذ بجامعة نبراسكا ، يعترف بعدم فهمه للنظرية
فهما كاملا ، ويستطرد في انه لو قرأ كروتشه ثانيا
فسيزداد عدم فهمه ... ويبين لنا الاستاذ اوزبورن Osborne
في كتابه « علم الجمال والنقد » Aesthetics & Criticism
انه ما من تلميذ لكروتشه استطاع ان يوضح النظرية .

وان تكن في الحقيقة قد اختارت هي الفن ضد الناس
 وضد المشاركة الجماعية وضد تطوير المشاعر البشرية...
 ويزيد من رهابة هذه النظرية وعداوتها للبشر دعوتها
 بان الفنان لا يصور الواقع ، وانما هو يصور وقائع الشعور
 ان صح القول ، او انطباعات impressions الفنان ...
 ويصرح كروتشه تصريحاً قاطعاً في كتابه « علم الجمال »
 بان التمييز بين الواقع واللاواقع امر طاريء ... فالفن
 هو النشاط الروحي وهو نشاط ثابت ، انما المتغير هو
 المادة الميكانيكية المنحطة .. فمن اين جاء هذا الثبات
 للنشاط الروحي ؟ ان النشاط الروحي - او الثقافي ، لا
 الروحي بمعنى كروتشه لان الروح ان هي الا المادة التي
 تعضونث اثناء تطورها واصبحت مادة مفكرة - هذا النشاط
 انما يتطور مع تطور المجتمع ، وهو يتحدد عند الفرد طبقاً
 واجتماعياً ... وهذا الانحطاط للمادة من اين جاء ؟ اليس
 هذا هو النظرة الحضارية الرأسمالية المنهارة ؟ ان النظرية
 التعبيرية تكشف عن عدائها للعلم ولل فلسفة العلمية ...
 فهي ترى ان التجارب الجمالية لا شأن لها بالعلم او بالتاريخ
 ... كان التجارب الجمالية لم تتكون وفق شروط تاريخية!
 وكأنها لا ترتد الى وقائع مادية في حياة المجتمع ! وكأنها
 لا يمكن ان تخضع للبحث العلمي !

ان الفن عند اصحاب هذه النظرة ليس فعلاً نفعياً ...
 بمعنى ان لا شأن له باللذة .. فكروتشه يخشى على الفن
 ان يكون معبراً عن اللذة الحسية ، وفي سبيل ذلك انكر
 على الفن كل لذة ممكنة .. ان الفن الحقيقي في الواقع لا
 ينقل اللذة الفجة البهيمية كما هي ... اللذة المعرفة في
 الحسية ، وانما هو يؤنس تلك اللذة فتصبح لذة مصفاة
 منقاة .. بمعنى اخر ان الفن لا يقوم على الحساسيسية
 الفجة ، وانما على الحساسيسية المؤنسنة humanized
 التي دخلها طابع انساني بحيث تثير في القارئ في النهاية
 ذلك التطهير النفسي Catharsis الذي حدثنا عنه
 ارسطو قديماً ..

ويستمر كروتشه في تعريفه السلبي للفن .. فيرى
 ان الفن ليس له تأثير عملي .. يكتب كاريت في « المدخل
 الى علم الجمال Introduction to Aesthetics ان الفنان قد يكتب
 من اجل النقود كما عند سكوت وترولوب ، او يفرقنا
 في السياسة كما يفعل وليم موريس ، لكن لما كان الفنانون
 رجال عبقريه فان اقلامهم ترشدها الروح ، وما نقرأه
 ان هو الا التعبير المحض عن المعاناة او الشفقة ..
 فالنظرية التعبيرية اذن لا تعترف بالشعور الجمعي الذي
 يكونه الفن والمشاركة الوجدانية التي يحدثها ... ان
 كروتشه ينعي على الفن ان يكون جماهيرياً ومشاركاً في
 تغيير الواقع ... والسبب في ذلك ان كروتشه يضع
 الروح في جهة والمادة في الجهة المقابلة ولا معبر بينهما ..
 والفن عنده تعبير عن الروح ولا شأن له بالواقع ولا بتغييره
 .. وهو قد فصل الفنان عن ارضيته الاجتماعية وانه يعبر

ايضاً عمل فني... بمعنى انه ينكر وجود العمل الفني
 وجوداً موضوعياً ، وما العمل الفني ، الا ما يتذوقه
 المشاهدون والسماعون ، بمعنى ان تصبح اللوحات معلقة
 في نفوسنا ، وتصبح السيمفونيات معزوفة في اعماقنا ! ..
 ها هي النظرة المثالية الضيقة تعلن سواء في الابداع
 او في التذوق ... وقد ذهب كاريت ، الى ان الجمال
 تعبير عن الاحساس لانه يحل المشكلات المتعلقة بتفاوت
 الاذواق ... لقد وجد الاذواق متفاوتة .. فاعلمنا : لا
 مشاحة في الاذواق ! ولم يحاول كاريت ان يرجع تفاوت
 الاذواق الى فروق الناس الطبقيية والى ظروف مادية في
 الواقع الموضوعي ، بل غالى وغالت معه المدرسة التعبيرية
 كلها في انكار وجود الاعمال الفنية في الخارج .. وارجعوا
 وجودها الى النشاط الروحي للافراد بدورهم ...

والنظرية التعبيرية ينكر اصحابها ذوق الجماهير التي
 تشكل وجود الفن وتشكل وجود مدارس ، فيشرح بيريل
 ليك Beryle Lake ضمن كتاب « علم الجمال واللغة »
 Aesthetics & Language الذي اشرف عليه الاستاذ التون
 Elton رأى المدرسة التعبيرية .. فيبين لنا ان
 العمل الفني عندهم عبارة عن ذاتية متخيلة ، هو حدس
 - تعبير Intuition -- expression يوجد في عقول الفنانين
 والمتذوقين الممتازين .. فمن الذي سيحدد هؤلاء المتذوقين
 الممتازين ؟ انهم اصحاب المدرسة التعبيرية انفسهم !!
 وسيحصرونهم في نطاق المثقفين وخاصة الخاصة منهم ..
 بل ان كاريت ليشتمط في كتابه « مدخل الى علم الجمال »
 فيرى ان عالم الجمال عليه ان يجعل دراسته في هذا المجال
 قائمة على التجربة الجمالية Aesthetic experience
 لدى الفيلسوف ثم عند الذين نثق فيهم .. وبمعنى ادق
 عند الذين يثق فيهم اصحاب هذه النظرية .. ومن هنا
 تصل المثالية اقصى درجاتها .. فالتجربة الجمالية عندهم
 انما ترتد الى الفرد .. والمهم عندهم هو الخلق الباطني ، وما
 يسمى عندهم جميلاً او فنا هو « افكارهم » هم عن هذه
 الاشياء ... المهم لديهم هو ان تكون التجربة الجمالية هي
 ما يراه الفرد هكذا .. هي ترفض وجود الجمال الموضوعي
 objective المستقل عن ارادة الافراد ... وتركز على
 نشاطهم الداخلي ... الجمال في الافراد ... وعلى هذا
 يظل كل فرد محصوراً في تذوقه ... محصوراً كالسردين
 .. ويظل الناس علماً من سردين مرصوفة لا تتصل ولا
 تتفاعل ولا يؤثر بعضها في البعض ولا تتبادل خبراتها
 التذوقية ... ويظل كل فرد يستحلب ذاته في التذوق ..
 ويظل الفنان يبدع كما يشاء لان ما يهمه هو انما ابداعه هو
 .. وكذلك ما دام المتذوقون يفرضون على عمله تذوقهم
 هم ، ويبدعونه من جديد بحيث لن يرتد الى ابداعه هو
 ... وبهذا تعزل هذه النظرية الفنان عن المتذوقين وعن
 الناس وتكشف عن وجهها الحقيقي المنادي للفن للفن ...

عن وجهة نظر في الحياة سواء اراد ام لم يرد .. وكلما عبر الفنان عن القوى الصاعدة في المجتمع كلما كان اقرب الى الافئدة .. فهذا بول روبسن المغني الأمريكي ، عندما يغني تتبعه ملايين القلوب .. وهذا جوركي تقرأ ملايين العيون .. ان للفن تأثيرا في الواقع ، ليس تأثيرا مباشرا بل هو تأثير غير مباشر ... فالفن الهادف تطوير الحياة يبت في القاري وجدانا جديدا ووجهة نظر جديدة آمل في الحياة ، ومشاعر دفاقة بحب الارض .. فيتغير وجدان القاري على المدى البعيد ، وينعكس هذا في سلوكه الخاص ... اما الفن الرجعي فهو يبت في القاري تشاؤما وبأسا وقدرة ... ويؤثر هذا في وجدانه على المدى البعيد ... اذن فالفن له دور اجتماعي .. وهذا ما لم تستطع نظرة كروتشه ان تبينه .. وقد اتخذت نظريته هو نظرة رجعية في الكون والحياة ...

وينكر كروتشه على الفن اي اثر للفهم العقلي او المفاهيم الذهنية ... حقيقة ليس الفن هو المفاهيم ... ليس هو القوانين العامة كما هو الحادث في العلم ... لكن الفن عن طريق التخصيص والتفرد والتعبير عن الشخص انما يعمم الجزئي من خلاله .. فراسكو لينكوف في رواية « الجريمة والعقاب » لديستوفسكي هو نموذج متفرد متعين له مصيره الخاص وتكوينه الداخلي .. لكن ديستوفسكي قد عمم من خلال مفهومه في ان الخلاص قائم في المسيحية والتوبة ، وهذا هو الذي سينقذ الارض من شرورها .

لقد فات كروتشه ان لا تعارض اطلاقا بين القول بان الفن يعبر عن الجزئي لا المفاهيم ، وانه يعبر عن المفاهيم من خلال هذا الجزئي ... والسبب في هذا يرجع الى انه يفصل المعرفة الحدسية عن المعرفة العقلية فصلا لا اقل من ان تمتد عليه قنطرة ...

والقاري لهذا الجزء عند كروتشه يحس دعوته للفنان ان يعبر في تلقائية عن مشاعره دون ان يسيطر عليها ودون ان يتدبر موقفه في هذا الوجود عن طريق فنه ..

المعرفة الحدسية عند كروتشه ليست معرفة عن شيء وليست انطباعات بشيء ، انما هي نفاذ .. هي نفاذ الروح بالروح في الروح .. فلا شيء عنده خارج النشاط الروحي .. الروح هي الواقع كله .. ومن ثم يوحد كروتشه بين الفن والحدس والتأمل والتخييل والخيال .. وهذا التأمل أو الخيال هو خيال الفرد عن شاعره وتأملها ... ومن هنا لا يعترف كروتشه الا بالفن الغنائي ، لان الغنائية Lyricism هي من شأن الفردية والذاتية ..

فماذا من شأن تعريف الفن بالحدس من الناحية الايجابية؟ الحدس عند كروتشه هو التعبير ... والتعبير كما اوضح اوزبورن عندهم بمعان ثلاثة: التعبير عن الذات ، والتعبير عن العاطفة ، والرمز على حالة من حالات النفس .. ليس التعبير عندهم هو ذلك التجسد الخارجي ، بل هو تلك الحالة الاستبطانية introspective التي يوجد

فيها المرء .. حتى ولو لم يبدع ! .. تلك الحالة التي يستحلب فيها المرء مشاعره .. ومن المؤكد ان كروتشه يتبعه في هذا كل التلاميذ يرى ان ما يحدسه الفنان قبل الخلق هو اكثر جمالا مما تم بعد الخلق ... وان ما يتذوقه المتذوق ابداع جديد ، ليس فيه من حدس الفنان اي شيء ، وكل الفارق ان الفنان يشتغل على حدسه ، بينما القاري يشتغل حدسه على حدس الفنان ... ومن هنا تتمحي صفة التوصيل عن الفن ، وكاربت يرى ان الفن لا شأن له بالتوصيل الى الآخرين .. ويطلب منا ان نميز بين الفن بمعنى الخلق الفني وبين الحرفة او التكنيك .. فالفهم هو الخلق الباطني اما التوصيل فهو امر ثانوي يرجع الى حرفة الفنان خاصة وان ما سيصل الى القاري سيصبح موضوعا للحدس من جديد ..

الحدس عندهم هو التعبير عن العاطفة .. والتعبير عندهم كما عرفه هربرت ريد هو ردود أفعال عاطفية .. ومن هنا جاء التوحيد لديهم بين الحدس والتعبير .. بين الانطباعات والتعبير ... كان ليست هناك عند الفنان مرحلة تلقى ومرحلة ابداع ! لانهم يرون ان العارف بالمعرفة الحدسية يخلق بطريقة ما ، ما يعرفه ..

ولقد غالوا .. فالفن عندهم ليس حتى هو المضمون .. ليس هو هذه الانطباعات او الحدوس او التعبير بل الفن هو وحدة الشكل Form تلك الوحدة التي تحدها العاطفة .. فكشفوا حتى هنا عن نظرتهم المثالية ... فالشكل والمضمون في الحقيقة هما وحدة يد متآزرة عن طريق الزمان الفني للعمل الفني مع اسبقية المضمون كروتشه واتباعه يرتدون الى ان وسائل الفنان الابداعية في حرفته انما ترجع الى الحدوس ... حيث ان الايقاع والتوازن والوزن والتناغم هي جميعا اشياء حدسية وليست انتاجات عقلية ... فكان كل هذه الاشياء - عندهم - ليست - الا نتاجات غرائزية - لا اجتماعية - لحدوس الفنان ... وهنا يكشفون حتى عن اماتهم لحرية الفنان في خلقه - ما دام ينتج غزيا - تلك الحرية التي كانوا يريدون الاعلاء من شأنها ..

انهم صرحاء في اعلانهم عن موقفهم وتعبيرهم عن ازمة الحضارة في الغرب وانهارها ... فيعلنون عن وجهة نظرهم الجمالية المتمشية مع هذا الانهيار . وما المدرسة التعبيرية في الفن؟ ان هي الا اعلى مراحل الفلسفة المثالية المتأزمة في نطاق علم الجمال ... هي مدرسة لا تريد ان تعبر عن الوقائع الموضوعية ، ولا تريد ان تسلم الناس حتى يتغيروا فيغيروا ... بل هي تعبير عن الذاتية التي وصلت بها ازمته حتى الخناق ..

بل ان هربت ريد ليكشف عن نظرة استعمارية اثناء بيانه لاسس هذه المدرسة في كتابه « معنى الفن » ... فهو يرى ان الفن التعبيري يرتد الى الاجناس الشمالية

- التتمة على الصفحة ٧٣ -

ومعابد باخوس في « الكتب السماوية » ؟؟
ومهما يكن من امر فان وداد سكايني تعتبر من اوائل الادبيات العربيات اللواتي يفاخر بهن الوطن العربي من محيطه الى خليجه ، ولعل الشيء الذي يسجل لوداد هو انها اديبة من صنع نفسها ، فشخصيتها الادبية من نسيج خاص يعز علينا ان نجد له شبيها بين ادبائنا وادبياتنا في العصر الحديث .

وكتاب « سواد في بياض » يأتي في مقدمة الانتاج الادبي الذي ابدعته وداد وهو بحق مفخرة للادب النسوي العربي ..

دمشق موفق بني المرجه

النظرية التعبيرية

- تنمة المنشور على الصفحة ١١ -

لانها أكثر استبطانا لنفسها ... ولما كان يرى ان خير المدارس الفنية هي المدرسة التعبيرية المدافع عنها ، فهو يمجّد على هذا الاساس تلك الاجناس الشمالية البيضاء! واذا كان كروتشه قد رفض الدين واصيب بأزمة روحية ، فهو قد احل محل هذا الرفض نظرة اشدّ عداء للبشرية في كلامه عن الفن ... و كانت نظريته هو واتباعه اعلى مراحل المثالية المأزومة المنهارة في القرن العشرين في مجال الجمال (١)

مجاهد عبد المنعم مجاهد

مراجع المقال

- ١ - بوزما : النظرية التعبيرية في الفن (ترجمة : مجاهد عبد المنعم مجاهد) مجلة الاداب يناير ١٩٥٦
- ٢ - كاريت : في فلسفة الجمال (ترجمة : عبد الحميد يونس واخرين)
- ٣ - كروتشه : المجلد في فلسفة الفن (ترجمة : سامي الدروبي) دار الفكر العربي - القاهرة - ١٩٤٧
- 4 - Beryle Lake : «A Study of the Irrefutability of Imo Aesthetic theories.» (Elton : Aesthetics & Language) Basil Blackwell - Oxford 1954.
- 5 - Boumand : «The Expression theory of Art.» (Elton : Aesthetics & Language), Basil Blackwell-Oxford 1954.
- 6 - Carritt : Introduction to Aesthetics. Hutchinson's Un. Library - London.
- 7 - Osborne : Aesthetics & Criticism. Rantledge & Ilegdon London - 1955.
- 8 - Read : The Meaning of Art, Pelican Books - London 1954.

(١) .. هذا ملخص قصير للفصل الخامس من كتابنا « دراسات في علم الجمال » الذي يصدر في اول نوفمبر ويضم فصولا ستة هي : (١) موضوع علم الجمال ووظيفته (٢) النزعة الشكلية في علم الجمال (٣) من اجل مفهوم علمي للجمال (٤) ما هو الفن ؟ (٥) النظرية التعبيرية وحضارة الانسان (٦) التحليل النفسي والفن .

الشاعرية بجانب الفلسفة ، والفن بجانب الفكر ، والعاطفة ممزوجة بالعقل والاسلوب يتسم عامة بالطلاوة والوضوح لان الكتاب في افكاره ومواقفه منتزع من صميم واقعنا ، فالمؤلفة ليست كغيرها من الادباء - والادبيات - الذين يتصيدون افكارهم ويستوحون موضوعاتهم من وراء السحاب ، بل انها تنزل الى المجتمع ، لتعرض نماذج واقعية في قالب اجتماعي جذاب حتى ان كثيرا من التشابه والامثلة التي ضربتها جاءت واقعية ساذجة كما في مقال « طفيان القديم » الذي قالت فيه : (كأننا اطفال ندس في افواههم ملهاة الرضاع كلما حاجهم البكاء ولم يجدوا الغذاء حتى يناموا وهي في افواههم العطش) . .

واللفظ عندها حلو الوقع على الاذان فهي ليست من هواة المعاطلة والاغراب في الكلام بل انها تؤثر الفصيح المتداول على القديم الغريب ، لتكون مقالاتها في متناول القراء على اختلاف مستويات ثقافتهم ، وميلها الى التبسيط يتعدى الكلام الى المواضيع ذاتها فهي تتجنب التعقيد وتتجافى عن الاطالة لتلائم بين المقال ونفسية القاريء .. بيد انها لا تترك المقال قبل ان توفيه حظه من البحث والتحليل في غير ما عناه ولا مشقة ...

ودراساتها كانت تعكس افكارها المجردة السامية فنتم على ثقافة واسعة متنوعة وذاكرة حافظة قوية وعقلية عميقة واعية ، وهذه الافكار لا يمكن لناقد ما ان يظن فيها او يجرحها بشكل من الاشكال فهي ليست بالرجعية المتزمنة التي تنكر على المرأة وجودها وحققها في الحياة كشريكة للرجل ، تقف الى جانبه وقفة الند للند في كثير من الامور ، ولا هي بالمتهورة الطائشة التي تنادي باطلاق الحرية امام المرأة من اوسع الابواب حتى تصل الى درجة الفوضوية ، فتعمل في جسم المجتمع هداما وتخريبا ، لانه لم يالف ذلك النوع من الحريات بعد !

وللافكار الحديثة تأثير كبير في ادب وداد فدعت الى الاخذ بالجيد منها ونبتد الفاسد في غير تهور أو تسرع كما في مقال « الادب المكشوف » ومقال « اثر المرأة في القومية العربية » الذي دل على اطلاعها الواسع حول القومية وتطور مفهومها ...

وقد بدا واضحا ان الادبية حينما كانت تكب على درر الاداب العالية انما كانت تسودها مسحة دينية لم تلبث ان استحالحت في قلبها وعقلها الى مسحة صوفية لسنا اثرها في مقال « لمحات من التصوف » ومقال « ازاهير الذنوب » وغيرهما ...

وكان تفاعلها مع مجتمعتها وبيئتها ظاهرا جليا في سائر مقالاتها ، فقد صرحت بمواقفها وعواطف غيرها من بنات جنسها فتمازجت مع المجتمع الذي دخلته مفكرة مصلحة تهدف للبناء وتعمل للاصلاح .

واذا كنت اوافق السيدة وداد على ما في كتابها جملة فليس لي ان افعل ذلك حينما ناتي للتفصيل ، فقد كتبت مقالا بعنوان « الادب في الكتب السماوية » قالت فيه ان لهذه الكتب تأثيرا كبيرا في الادب العالمي وحينما اخذت تضرب الامثلة لتدعم رأيها اوردت في طليعة المقالات قولها : (ان ابتهاالات البراهمة هي التي اوحت لفيدياس باناشيده المليئة بصور الفن والجلال وكانت سبيلا الى ابتكار الملحمة الهندية المسماة « مها بهارتا » وان معابد باخوس في اليونان هي التي كانت نبعيا فياضا لادب الافريق الذي تألقت فنونه في الالياذة والاوديسة) ... فلتعذرني السيدة المؤلفة اذا اتهمتها بالخروج على الموضوع في هذه الناحية بالذات لاننا لو استقرنا العنوان من جديد لوجدنا ان البحث منحصر في « الكتب السماوية » فقط وليس سائر الاديان ! فما هي علاقة البراهمة

النهر سلطان

قصة

بقلم الدكتور عبد السلام العبيدي

سواد الارض حوله في الشمال . اما في النهار فان مبروك اذا لم ينزل الى قريته لسمع احاديث الناس فيها عن الزرع والمطر واسعار العلف في هذه السنة المجيدة ، اذا لم ينزل الى قريته وقد اصبح يقلل من نزوله يوما بعد يوم ، فانه يرافق المهندسين في تجوالهم بسيارات الجيب في انحاء الوادي ويتوقف معهم حيث يتوقفون بين ان واخر في امكنة مختلفة من سفح المرتفع الذي يحده في الجنوب فراش نهر الفرات وهم يدرسون تركيب هذا السفح ونوع تربته وصلابة صخوره . واحيانا كان يركب مع فاسيلي ، وهو المهندس الاجنبي ، احد الزورقين السريعين ويظل في النهر ساعات يتأمل في اندياح الماء حول الزورق في موجات تتوالى متدافعه حتى تظم جرفي النهر في شاطئيه بينما يكون فاسيلي ومساعدته منمكين في قياس سرعة التيار في مختلف النقاط من النهر او في القاء المسابر في اعماق النهر المختلفة لمعرفة ابعادها وحرارة الماء او تركيبه فيها . كان ما يقوم به المهندسون من اعمال شاقة او دقيقة والجهود التي تبذل في قريتهم العجيبة والاموال التي تصرف في عمليات قليلة الجدوى في ظاهرها ، كان كل ذلك الغاذا في نظر مبروك في الايام الاولى من التحاقه بعمله . ولكن احاديثه مع العمال واحتكاكه بالفنيين ومرافقته للمهندسين جلت نظره وادخلت في فهمه المعاني البعيدة لهذه الاعمال العقيمة : لقد فهم ان كل هذا مقدمة لعمل عظيم وخطير ، وانه سوف ياتي يوم ليس بعيد تهدم فيه قريته وعشرات القرى المنتشرة قربها على شاطئ الفرات وتطعل حقولها ويهجر ابناؤها ليرتفع مكانها سد عظيم من اسمنت وحديد وحجارة عظيمة كل منها في حجم الخيمة التي ينام مبروك ، وان هذا السد حين يرتفع سيحجز وراءه ماء الفرات ويمنع طفيانہ ويجعله عبدا مسيرا لامر هؤلاء المهندسين الاذكياء الذين يرافقهم مبروك كل يوم في جولاتهم في السفح والوادي في سياراتهم الشيطانية الخفيفة وعلى سطح الفرات في زوارقهم المتكئة السريعة الانطلاق ..

اذن فهناك سد سيقام في هذا المضيق الذي يسير فيه الفرات في واد بين مرتفعين في الشمال والجنوب ... وشيئا وراء شيء كان المشروع الذي قامت لاجله قرية المهندسين فوق السفح يتضح امام عيني مبروك وباتضاحه كان الرضى ينساب الى نفسه شيئا وراء شيء كذلك . ربما كان المهندسون اناسا قصيري النظر لا يدركون الا ما يبصرونه باعينهم او تؤديه لهم الاتهم الحاسبة المعقدة فهم يشتون معلوماتهم واحدة واحدة على اوراقهم ويرسمون هذه المعلومات على تلك الاوراق بخطوط متعددة الالوان عجيبة الاشكال ليس فيها ما يشبه صورة سد او جزء من اجزاء سد على نهر الفرات ، اما مبروك فقد كان ابعد نظرة واوسع تصورا واشمل

عاش مبروك عمره الطويل ، واحدا وثمانين عاما ، في قريته على شاطئ نهر الفرات لم يفاردها الا الى البلدة القريبة اياما قليلة يعود بعدها الى قريته ، ومات في هذه القرية نفسها منذ بضعة اسابيع . وكان جديرا بمبروك ان تكون ايام حياته الاخيرة ايام نكد مرة اذ كان يعيش فيها وحيدا ضعيفا عاجزا بعد ان فارقت زوجته الحياة منذ سنين طويلة وعديدة . ولم يكن له ولد يتولى رعاية شيخوخته لا ، بل كان له ابن وحيد فقده في ريعان صباه وظل قلبه منقطرا بالحزن عليه الى اخر يوم من حياته . وكانت له بنات خمس كن متزوجات في قرى متباعدة وقد شغلن بازواجهن وبابنائهن وابناء ابائهن عن الالتفات الى ابين الوحيد المعجوز . ولكن مبروك ، مع كل هذا وبالرغم من اساء الزمن على فقد ابنه الوحيد ، فارق الحياة قرير العين متلج النفس بعد ان قضى شهوره الثلاثة الاخيرة منها في هناة غامرة تشبه السعادة المطلقة . من اين جاءت مبروك هذه الهناة في ايام شيخوخته الاخيرة ؟ انها لاشك رحمة الله التي ايت ان يفارق هذا المعجوز المسن الدنيا محترق القلب بلوعة الشغل وبحسرة النفس وبالاحاساس المضى بالعجز والهوان ، فسأقت الى قرية مبروك فرقة الهندسة التي كلفت بدراسة مشروع اقامة سد على نهر الفرات وسأقت مبروك الى خيام تلك الفرقة . هناك تصرفت هذا الفلاح المعجوز الى بعض المهندسين فانسوا اليه واولوه ، تحببا منهم اليه وعطفا عليه ، اولوه عملا يسيرا في ذاته ولكنه بالنسبة الى مبروك كان نقطة تحول مباركة في حياته ، في القليل الذي بقي من حياته ، وفي البسيط البدائي من افكاره وفي الطبيعي البعيد عن الغرابة من احاسيسه .

قضى مبروك الاشهر الثلاثة الاخيرة من حياته حارسا في قرية فرقة الهندسة التي كانت تتألف من منزلين خشبيين من المنازل الهيأة لسكنى المهندسين ومكانهم ومن بضع خيام كان ياوى اليها العمال وتملؤها الادوات الفنية والميكانيكية . وكانت مهمة الحراسة في هذه القرية المستحدثة القائمة على السفح الذي يعلو قرية مبروك مهمة شكلية اذ لم يكن ثمة من يجرو على ادوات المهندسين ومعداتهم في المنطقة كما ان الخيام والسكان لم تكن لتفرغ ابدا ممن فيها فتطمع لصا بسرقتها . ولذا فقد كان عمل مبروك عملا هينا لا يفوق طاقة سنه الثمانين التي كانت حملا ثقيل على كفيه وان ظل بالرغم من ثقلها معتدل القامة جهير الصوت . فكان بيت ليلاليه في خيمة تقع على تلعة يرى منها ، حين يكون القمر بدرا او قريبا من البدر ، كل الفضاء المحيط بالسكنين وبالخيام الاخرى كما يرى منها ، اذا مد بصره ، كل السهل المنبسط جنوبا نحو الافق والوادي العريض الذي يسيل فيه نهر الفرات متعرجا كشرط فضي في

مدى في التأمل من كل هؤلاء المهندسين ومعاونيهم ... لقد كان يرى بعينه منذ الآن صورة السد الذي سيقوم على الفرات بعد عام او عامين او اعوام مهما طالت فلن تبلغ العشرة : بناء عجيب ارسخ من سور الرصافة في البادية الذي مرت عليه الاف السنين ولم تنقض منه حجرة واحدة من نعمات المناخ التي تطلعه من الشرق في كل صباح بالرغم مما تفصله عنها من مئات المراحل ، واعلى من مثانة جامع الرقة العتيق التي تبدو اول كل شيء لعينه اذا ما قصد البلدة في صبيحة موسم او نهار عيد ... لهذا البناء العجيب طاقات نمر فيها من كبرها الجمال المحملة ، يتحكم فيها مهندس مثل فاسيلي او صبيح او ربما صبي لاحد المهندسين مثل عبد الستار ، فيستطيع بضغطة على زر او بادارة لولب ان يترك الفرات ينصب منها معجلا او انه يحجز مياهه فتتلاطم وراء السد حرونة مفضبة ! كلما تصور مبروك هذه الصورة اثلج صدره وشعر في اعماق نفسه بغبطة من اشتفى من عدو له لدود ورضى من بلغ ثارا من خصمه العنيد ، وحادثته نفسه بان يندفع الى اقرب مهندس او مساعد مهندس او عامل من عمال مشروع السد ليضمه اليه ويقبله ، حامدا الله على ان مد في عمره حتى راي هؤلاء الرجال الطيبين يجتهدون لينبوا على الفرات هذا السد . يقولون ان وراء هذا البناء الجبار خيرا كثيرا ، ولكن خير الخير في نظر مبروك الشيخ كان ان يجد الفرات من يلجمه ويكبح طغيانه ، فهو لن يتحكم بالناس وبالارض بعد مثلما كان يفعل ، لن ينزع مزدعة من زيد ليهبها الى عمرو دون مقابل ، لن يهد الاجراف ويتلف الزرع ويفرق الصبيان في زهوة صباهم ... قد يكون الفرات سلطانا جبارا طاغيا ، ولكن مبروك عاش حتى راي سطوة هذا السلطان الطافي تتحطم ويقف فيه ، مقهورا ، عند حده ...

* * *

الفرات سلطان !... في الثمانين عاما التي غبرت من عمره سمع مبروك هذه الكلمة مرات لاتعد ولا تحصى ولفظها هو بلسانه مرات لاتعد ولا تحصى كذلك . والناس على ضفتي الفرات في واديه الممتد من منبعه الى مصبه يقولون كلهم هذا القول ويعتقدون به ، ربما منذ الاف السنين منذ كان للناس عيش على ضفتي هذا النهر الطويل العريض . الفرات سلطان حين يسيل في واديه موزعا خيراته على اليمين واليسار على الامم المختلفة التي تشرب من مائه وتتغذى بما يرزوي به من زرعه . والفرات سلطان حين تنحدر امواجه الهادرة في الربيع من قمم منابة المكلفة بالثلوج فتكتسح في نوبات فيضانه الجنوبية ما بناه الانسان بكده في المنخفضات من مساكن واوايد وما غرسه من شجر مثمر او زرع مستحصد . والفرات سلطان حين يبذل مجراه في الوادي العريض الذي يكون فراشه فيتحول الى اليمين او الى اليسار عشرات الاذرع او مئاتها مغيرا في العالم والتخوم مداخلا بين الملكيات فاتحا بين الناس ابواب نزاع لاتنتهي . كان مبروك يعلم ان كلمة الفرات سلطان هي بند من بنود شريعة الوادي بين القبائل التي تسكن ضفاف النهر فاذا تحول النهر الى الجنوب حتى انى على كل ارض مبروك في الضفة الشامية او تجاوزها فاصبحت هذه الارض في ضفة الجزيرة من النهر ، فان مبروك يكون قد فقد ارضه بدون عوض . وهو لا يستطيع ان ينتقل الى ضفة الجزيرة وراء ارضه التي يعرفها بالعالم التي تركها بنفسه فيها ، ذلك لان شريعة القبائل ضده في هذا ، فارضه قد لحقت بارض فلان من الناس فاصبحت ملكا لفلان ، ليست حدود ارض هي النهر في الجنوب . ؟ فلو قال مبروك ان هذه ارضي اعرفها بقبائلي كوخى الذي بنيتها فيها بيدي وبانار

البكرة التي اقامت منصبتها بمجرفتي ومعولي ، لو قال مبروك هذا لاجابه عارفة القبيلة ، وهو قاضيها الذي لا يرد فضاؤه بكلمة واحدة ، الفرات هو الذي اعطى ارضك لفلان ، والفرات يامبروك سلطان !

منذ ثمانين عاما ومبروك يرى الفرات يأخذ ويعطي ، يعمر ويدمر ، يفيض حتى تستند ضفتاه على المرتفعين اللذين ينتهي اليهما الوادي العريض ويفيض حتى يصبح اخدود ماء لا يتعدى المائتي ذراع في عرضه . كان في عيني مبروك سلطانا كاقوى مايكون السلاطين جبروتا واطول مايكونون عمرا . ذلك ان مبروك كان قد سمع بسلاطين كثيرة ذوي شان وطفيان اتت الايام على شانهم وطفيانهم بالموت او بتقلب عدو او بانتفاض بطانة او صديق ، فكان يتساءل بينه وبين نفسه لماذا يكون الفرات وحده سلطانا ابديا مطلقا لانهاية لامره ولا مرد لحكمه ؟ هذا التساؤل كان امرا غريبا من مبروك في بساطة تفكيره وبدائية حياته وهو تساؤل لاشك في ان قليلا ممن يعيشون حول مبروك وفي ايامه قد اداروه بينهم وبين انفسهم . ذلك ان هؤلاء الناس الذين يحيون حياة مبروك ولهم مثل عقليته قد عرفوا من سلطان الفرات هدير موجه وحدة تياره وتهديمه الاجراف على ضفتيه بما عليها من بنيان البكرات والفراري والمضخات ، ولكن احدا منهم لم يذق من جور الفرات ماذاقه مبروك في ليلة مظلمة مضت منذ ثلاثين عاما او مايقارب ثلاثين عاما . مضت تلك الليلة في حينها ، ولكن ذكراها واثرها ظلا في نفس مبروك لايمحوها مر الايام ولا كسر الاعوام ...

الفرات سلطان ، وسلطان غاشم جبار ... يعرف مبروك ذلك كل المعرفة . فمنذ ثلاثين عاما او ما يقاربها ، في منتصف ليلة من ليالي نيسان بعد ان غاب القمر فلم يعد في الليل نور مضيء غير انوار النجوم ، عاد مبروك من كرده ، وهو قطعة الارض التي تخصه من ارض العشيرة ، بعد ان حل وفاق الثور الذي كان يجر الدلو على البكرة في آلة السقي البدائية التي كان يروي بها ارضه . عاد من كرده ، اعني حقله ، وكان يتبعه ابنه رمضان . ورمضان كان وحيد مبروك ، صيبا يافعا اصفر من اخواته البنات الخمس ولكنه كان يبدو في حسن بناء جسده واكتمال نمو اعضائه وبالعون الكبير الذي يؤديه لابييه في عمله ، كان يبدو رجلا مكتمل الرجولة . وكان الاب والابن قد قضيا يوما منهكا من العمل في الكرد ، احدهما يسعى وراء الثور ، في انحداره في الاخدود العميق جارا دلو البكرة الجلدي المثقل بالماء ليصبه في الساقية ، او في صعوده في هذا الاخدود الى قمته خفيف الحمل مرخيا الحبل للدلو حتى يسقط في الفرات ليمنليء بالماء من جديد ، والاخر منصرف الى تلقي الماء الذي تأتي به الساقية ليديره على الواح الحنطة ، التي سقطت عيدانها وكادت سنابلها ، والوقت آخر نيسان ، تعقد . كان الاب والابن متعبين من يوم العمل الطويل الذي امتد الى منتصف الليل بنور القمر الذي يتيح لهما رؤية الدلو والبكرة والساقية وماءها ، ولكن تعبهما لم يخل من نشوة الغبطة برضاها عن زرعهما ثمرة كدهما . فكان الاب يسير في المقدمة في الشريط الضيق من الارض الذي يفصل جرف النهر عن زرع مبروك وذروع جيرانه وجيران جيرانه من اهل القرية ، خابطا في الظلمة بين آثار سواقي الكروود ومعالمها وهو يحدث ابنه المتخلف عنه بصوت مرتفع عن الموسم وجودة الزرع وارتفاع السنابل وعن النهر ، نهر الفرات الذي يعيشون كلهم في ظل سلطانه والذي هو اليوم في اوج فيضانه . كان النهر قريبا من الدرب الذي يسلكه مبروك وابنه لا يبعد عن مسير اقدامهما الا خطوة او خطوتين ، وكان مبروك

يتعثر بكومة من التراب او ينحرف عنها جنوبا فيدخل الزرع او ينحرف شمالا فتزل قدمه في الجرف . فلما عاد ادراجه اخذ يتفقد ، بقدر ما كان يعينه بصره الحديد في العتمة المطيقة ، معالم تلك الطريق باحثا عن المكان الذي سمع فيه لآخر مرة صوت رمضان ابنه وراعه . وسار في طريق العودة طويلا ملقيا بين الفينة والفينة باسم ابنه صرخة دعاء لم تكن تحظى بجواب ، فما كان يسمع في السكون غير هدير امواج الفيضان الذي اخذت طبقة في العلو في سمع مبروك ربما لان اذنه اصبحت اكثر حدة بارهاقه لها مترقبا صوت ابنه او ربما لان روافد جديدة من مياه الفيضان كانت قد بلغت هذا الموضع من مجرى النهر في هذه الساعة من الليل . والى جانب هدير الامواج المتلاطمة كان مبروك يحس بكل كيانه بتيار النهر مندفعاً في سرعته المخيفة قريبا منه ويشعر بارتظام المياه الهائجة بقاعدة الجرف البيلوني الذي كان يسير هو ، مبروك ، على بعد ذراع او اقل احيانا من حافته . وفجأة وقف مبروك مشدوها ، وكادت صيحة داوية ان تنطلق من حنجرتة ، ولكنه احس ان بدا حديدية المخالب قبضت على عنقه فحبست الصيحة مكانها بينما هبط قلبه من موضعه في صدره وارتفع كل دم جسده الى رأسه . كل ذلك احس به مبروك حين بلغ في سيره مكانا تطلع فيه الى قيد باع منه فرأى ان الدرب امامه بين حافة الزروع والجرف قد امحى وان فجوة واسعة قد وصلت بين النهر والارض المزروعة . في مكان هذه الفجوة كان الجرف قد انهار فاندفع ماء النهر الطافي فيها في ثلثة كان اصلها العريض متصلا بمسرى النهر وذروتها الدقيقة في الحقل المزروع حيث ارتفعت فوقها اعواد القمح النامي كثيفة متمائلة ...

يسمع لامواجه الهادرة دوي مكتوم مشوب في بعض الاحيان بلفظ خفيف دليل تكسر احدى الموجات على قاعدة الجرف الذي يمشيان فوقه . واذا التفت مبروك بنظره قريبا الى يمينه او مده بعيدا امامه كان يرى مياه الفرات كامدة في الظلام الذي تعودت عيناه على التمييز بين الالوان الفاتحة فيه او يرى بطن النهر في مجراه تلتصق ذرى بعض موجاته بالقي النجوم فوقه . وقال مبروك لابنه بصوت مرتفع ، لانه كان يحس ان ابنه ظل بعيدا وراعه ، قال له ان من حسن حظهما ان النهر هذا العام قد مال بثقله في الفيضان على الضفة الجزيرة ، وهي الضفة الشمالية ، ووفر الضفة الجنوبية التي تقع فيها ارض مبروك وارض سكان قريته . فكل البكرات البنية على الضفة الشمالية قد هوجمت بموج النهر المتلاطم الذي هدم داراتها وخرّب سواقيها وتعداها الى زروعها فانلفها اذ اصبح نصف الزروع في مجرى الماء وما سلم منها سيموت عطشا لانه لم يبق على تلك الضفة جرف ثابت تبني عليه دارة جديدة لبكرة او غراف . وبينما كان مبروك يحدث ابنه بهذا كان يسمع من الضفة المقابلة بين حين وآخر صوت انهيار اصم مصدقا لاقوال الفلاح الكهل اذ كان كل من مبروك وابنه يعلم انه صوت انهيار جرف هدته هجمات امواج النهر الهائج . كان مبروك يتحدث ويتحدث وهو في طريقه الى منزله سابقا ابنه ، دون ان يسمع من رمضان جوابا او تعليقاً على حديثه ودون ان ينتظر منه هذا الجواب او ذلك التعليق . ولكنه قبل ان يشارف منازل قريته وينحرف في طريقه دائرا حول الحقول الى حيث تقوم المنازل التفت وراعه متفقداً موقع ابنه فلم يبينه قريبا منه . فوقف ومد بصره في العتمة الى الدرب الذي جاء منه على حافة الجرف الذي كان النهر يتلاطم عند قاعدته فلم يلح له ، في مدى بصره في الظلام شبح رمضان . فصاح يناديه في الليل الساكن : رمضان ... رمضان ! ولكن رمضان لم يجب على نداءه ... فعاد النداء بصوت اعلى ونبرات مطبوعة وارهف سمعه مترقبا الجواب ، الا ان نداءه ظل صيحة ضائعة في سكون موحش ما كان فيه من نامة الا صرير حشرات الليل الدقيقة . حينئذ احس الفلاح الكهل المتعب بنقمة على ابنه اذ تأخر عنه وتركه في كل هذا الطريق يتحدث كالمجنون الى نفسه ممزوجة بالاستغراب لتخلفه عنه كل هذا التخلف ، ممزوجة بالقلق مما دعاه الى ان ينقطع عنه كل هذه المسافة دون ان يؤذنه او يستأذنه بذلك . ولما وجد مبروك ان صيحاته المتوالية لم تجد ردا وان انتظاره في مكانه لم يفد شيئا استدار عائدا من الطريق التي اقبل منها محددا بصره في الظلام باحثا فيه عن شبح ابنه مناديا بين الحين والحين باسمه في الليل العريض المظلم الساكن .

كان مبروك يعرف الطريق التي جاء منها معرفة تامة لطول ما سلكها في النهار وفي الليل ، في ضياء الشمس وفي نور القمر وفي الظلمة المطيقة التي لا ضياء فيها ولا نور ، يعرفها طريقا ضيقة محددة بين حوافي زروع كرود القرية من جانب وبين الجرف الثابت الذي كان الفرات يتباعد عنه في الصيف والخريف ويتقرب منه في الشتاء حتى يتخذ له ضفة في ذروة موسم الفيضان الربيعي من جانب اخر . هذه الطريق كانت تتسع احيانا حتى تبلغ اربعة اذرع او خمسة في عرضها وتضيّق احيانا حتى تلتصق حافتها بحافة الجرف فلا تكاد تكفي لمرور حمار محمل بلاس تبين عريض . كان مبروك يعرف منها مواضع السعة والضيق والمواضع التي تقطع الدرب فيها سواقي البكرات والفراريف القائمة على ضفة النهر ، ويستطيع ان يسير فيها مغمض العينين دون ان

مجموعة اعلام الموسيقى

تعرض حياة عباقرة الموسيقى واثر المرأة في حياتهم

صدر منها	ق.ل
١ بنهوفن	ترجمة : الدكتور علي شلق ١٥٠
٢ شوبان	» خليل الهنداوي ١٧٥
٣ تشايكوفسكي	» الدكتور فؤاد ايوب ١٥٠
٤ كورساكوف	» الدكتور فؤاد ايوب ١٥٠
٥ ليست	» بهيج شعبان ١٥٠
٦ موزارت	» بهيج شعبان ١٥٠
٧ باغانيني	» بهيج شعبان ١٥٠
٨ فاغنر	» الدكتور فؤاد ايوب ٢٠٠
٩ شوبرت	» بهيج شعبان ٢٠٠
١٠ الفن الفئاني عند العرب	تأليف : نسيب الاختيار ١٥٠

الناشر : دار بيروت للطباعة والنشر

الزورق السريع يشق صدر الفرات جارا وراءه المسابر المعلقة فسي اسلاك غائصة في النهر تسجل اعماقه وابعاد قاعه وسرعة التيارات وعنف الدوامات فيه . وكانت الآلات الحافرة تخرق الارض في مكان ما من السفح الذي يعلو قرية مبروك في ثقب عميق يسكب المهندسون فيه الماء ليسجلوا مقدار امتصاص التربة للمياه في مختلف طبقاتها . وكان المعاونون ، حين اغمض مبروك عينيه في غفوة الموت ، يملأون صناديق مستطيلة من تربة انحاء متفرقة من صفتي النهر ويختمون هذه الصناديق قبل ارسالها الى مخابر التحليل . وبالرغم من اغماض مبروك عينيه الاغماضة الاخيرة فان هذه الاعمال والمشاهد كانت تتراى له كصور حلم سعيد ويدرك منها ان السد العتيق ، وان لم يكن قد قام بعد ، سيقوم حتما في هذا المكان . كان واقفا من هذا حتى لكأنه كان يراه في هذه اللحظة : سورا طويلا عريضا ترتطم وراءه امواج الفرات تريد منه الانفلات فلا تقدر على الانفلات ، بل تنكسر متحطمة على صخور السد التي كل واحدة منها في علو مثذنة البلدة وفي ضخامة المنازل التي يسكنها المهندسون . لم يعد الفرات سلطانا مطلقا بل اصبح خادما مطيعا عبدا للانسان الذي يقيمه او يقعده ، يحبسه او يطلقه بضفطة زر من اصبع واحد من هؤلاء الفتيان الصباح الوجوه ذوي السراويل الخاكي والاكمام المشمرة . على ذلك اغمض مبروك عينيه مبتسما وخرج من هذه الدنيا مقتبظا راضيا سعيدا ...

عبد السلام العجيلي

الرقعة

دار الآداب تقدم :

قصائد عربية

للشاعر العربي

سليمان العيسى

الثمن ٣ ليرات لبنانية

صدر حديثا

جلس مبروك على الارض وقد دار رأسه بدوار غفيف واصبح جنعه في ثقل الرصاص فوق ساقيه حتى اصطكت من ثقله ركبته . ومد عنقه يتأمل ببلاهة في الماء الذي تسرب من الفجوة الواسعة الى حفل الحنطة ، فرآه بالرغم من الظلمة الداكنة يدور في دوامات بطيئة كانت تضرب في اصل الجرف الجديد الذي امتد تحت الحقل المزروع فتهد منه قليلا ثم تعود فتختلط بمياه النهر التي كانت تكسرها عند الضفة غلالة من الزبد الاسمر القدر . وتطلع مبروك حوله في اسي كأنما كان يستجدي ابنه من النهر والنجوم والسنابل ونادى بحرقة : رمضان ... رمضان ! غير ان نداه هذا ظل في اثناء الليل وحيدا غليما . حينئذ نكس الاب المسكين رأسه وهمس في دوامة الماء التي كانت في تلك اللحظة تدور تحته في الفجوة :

— رمضان ، يا ولدي !

ثم وضع رأسه بين كفيه وراح يبكي .

وفي الصباح وجده الفلاحون المبكرون الى سقاية زروعهم جالسا على الضفة حيث تهدم الجرف من هذا الجانب من جانبي النهر لأول مرة في هذا العام ، يتطلع بنظر ثابت الى الفجوة التي انهارت تحت قدمي ابنه الوحيد حيث ابتلعه الموج ، موج الفرات الطافية ، في ظلمة الليل مخلقا اباه المسكين وحيدا مفردا حزينا ..

كل ذلك كان منذ ثلاثين عاما او مايقاربها . لقد اختطف النهر السلطان ابن مبروك ، اختطفه واخذه دون ما ذنب ، لم يعتذر ولم يدفع عنه دية ولا عوضا ، اليس الفرات بسلطان ؟ ولكن مبروك كان قد سمع بسلطين كثيرة وضع الدهر حدا لطفيانهم وجورهم بالموت او بالخلع او بالثورات والحروب ، فلم يبق هذا السلطان الجائر وحده ولا كابح لظلمه واستبداده ؟ ... كان مبروك يدبر بمرارة هذا السؤال بينه وبين نفسه ، سؤالا في اعماق وجدانه غامضا حائرا لا يكاد يتخذ له صيغة لفظية لو اراد ان يطرحه على انسان ممن حوله . ولو طرحه على احد ممن حوله لضحك من حوله وحسبوه مجنوناً ، لذا فقد طوى جوانحه عليه مثلما طواها على اساه وحزنه على ابنه الوحيد . كلما جاش الفرات في فيضانه في الربيع احس مبروك بالمرارة تملأ نفسه وبهوان من يرى قاتل ابنه يخطر امامه متحديا فلا يستطيع ، عجزا وذلا ، ان يمد الي هذا القاتل المجرم يدا . ويردد الناس في احاديثهم اليومية ان الفرات سلطان فتأكل الثورة كبد الوالد المفجوع دون ان يستطيع تعقيبا او كلاما . كان مبروك يتربص الموت ليتخلص به من وحدته وشيخوخته وعجزه ومن هذا الكمد الذي اضناه وانخله ، ولكن عمره طال ، طال اكثر مما يشتهي طال الى ان جاءت ذات يوم السيارات المثقلة تضع احمالها على التلعة التي تعلو قريته ورأى بعينه خياما تنصب ومساكن تقام ورجالا يلبسون سراويل الخاكي وقمصانا مشمرة الاكمام يقولون انهم جاءوا ليبنوا في هذا المكان بين المرتفعين اللذين يحجزان فراش الفرات ، سدا جبارا على نهر الفرات ... حينئذ اغتبط مبروك بأن حياته قد طالت الى اكثر مما كان يشتهي واسلم نفسه الى رقدة الموت ، حين جاءت ، راضيا هائلا .

مات مبروك بعد نحو من ثلاثة شهور من بدء الاعمال في مشروع السد الجبار ، وفي الواحدة والثمانين من عمره . وحين اغمض عينيه كان

عشاة البقر !

من أنت ؟.. أنت الجرح أسود
والطوق ، والالسم المشرذ
أن شئت ، غن له الفرام ، بلافح اللمسات يغمض
أو شئت ، عد للحقل مكدودا وقل للشمس : تنهض
و«ليت ابيض» في جلال سياسة ، ووقار مجد
فيه الدهاقنة الكبار
والهمس ، والبيض الحرار
وخريطة الدنيا مصر ، تحت قبضة مستبد
في جرة القلم الكريم ، وفي الجنون ، وفي التحدي
لاصبح ، في ليل العبيد ، فشد طوقك ، وانس صبحك
اركع ، وقل للشمس تنهض
البيت ، يا زنجي ، ابيض
وعلى الجبال ، تأرجحت جثث ، وحقد البيض ، يضحك
من أنت ..؟ عد للشمس ، للعرق الغزير ، ولف جرحك
والريح ..؟ حتى الريح تزار ، والسما تزد صوتك
فادخل الى القفص المروض
البيت ، يا زنجي ، ابيض
حبات زيتك ، للضياع ، فصب في القنديل زيتك
والكوخ مقبرة ، ترقب ، في دھول الكوخ ، دوتك

بالرعب ، والويسكي ، وظل الموت ، ينتفض الرجال
وتدق اجراس الصلاة
وتغص حانات الرعا
هذا الذي نبذته وديان ، وآوته جبال
ماذا يريد ..؟ وتلتوي شفة ، ويرتجف السؤال
خلف النوافذ ، اعين تترصد الدرب البعيد
تهتز اطياف الشجر
وتخور قطعان البقر
بالخوف ، والدم ، والصراخ ، تطل مأساة ، جديده
وتئن اعماق الظلام ، وتلهث الارض الشهيد
تنزه الاشباح صارخة ، وترقص كل لعنه
ارض «الهنود» بلا هنود
مادت بقافلة العبيد
همجية الانسان ، عرت كل فردوس ، وجنه
جلت دماه ، مع التراب ، وجوعه الطافي ، وجنه

عبد الباسط الصوفي

حمص

بالرعب ، و «الويسكي» ، وظل الموت ينتفض الرجال
وتدق اجراس الصلاة
وتغص حانات الرعا
هذا الذي نبذته وديان ، وآوته جبال
ماذا يريد ..؟ وتلتوي شفة ، ويرتجف السؤال
ماذا يريد ..؟ جواده ، قيثاره ، لا يعرفان
«جونى» نداء مبهم
«جونى» الجريمة والدم
حقد ، بهيمي الصراخ ، وضحكة ، ومسدسان
قذفته «شيكافو» الى الدنيا ، خرافة عنفوان
وجه نحاسي ، وشعر من نوافير الھيب
مهمازه ، نجم نسمر
وسياطه ، شرر تفجر
اسطورة الفابات ، والصحراء والليل الرھيب
حلم العذارى ، والحكايا الدافئات ، على الدروب

«جونى» رسول الزيف ، والفوضى ، وقرصان البحار
في ليل «طوكيو» عربدات
وقسمامة ، وتشنجات
في ليل «باريز» مواخير ، واقبية ، وعسار
وبليل «برلين» يقىء ، على الخرائب والدمار
في «كوريا» ينهد مرتعدا ، بدھليز الخنادق
نفس يلج به ، ممزق
وفم سقيم اللون ، ازرق
واناميل متصلبات ، فوق فولاذ البنادق
«جونى» رسول الزيف ، والفوضى ، واحلام المراهق
في سفح لبنان ، يلوح بالاساطيل الكبيره
دولاره ، صك الخيانة
وسفينه ، من الف حانه
«جونى» يسير ، الى الشعوب ، بظل رايات اجيره
وبكل ارض ، قصة عنه ، واخبار كئسره

«جونى» رحيب المقتلين ، مجمّع الشفتين ، اشقر
وبحضنه شيء معرى
زنجية ، تصطك ذعرا
جسد ، بلون الفحم ، تعطر لذة ، ويدوب سكر
وبقبة الانوس ، كالبلور ، نهد قد تكور
يا زوجها ، بالفصن مشنوقا ، اله الارض ابيض

العصفور

مسرحية في أربعة فصول بقلم مصطفى الحكاح

يفترض في النظارة ، وقراء هذه المسرحية ان يكونوا قد اطلعوا على نشرات جيش التحرير الجزائري ، وكتابات الادباء الفرنسيين الانسانيين ، وكذلك بعض مشاهدات وذكريات المجندين الفرنسيين في الجزائر ... فيما يختص بالحرب الوحشية التي يشنها الاستعمار الفرنسي على الشعب العربي الجزائري ... ذلك ان خاؤ ذهن المتفرج والقاريء من بعض هذه المعلومات لا يمكنه من متابعة الحوادث الدرامية في المسرحية ...

اشخاص المسرحية

شخصيات الفرنسيين

الكولونيل اندريه : قائد فرقة المظلات

الكابتن جوزيف : ضابط في فرقة المظلات

الملازم الثاني جاك : ضابط في قلم المخابرات

الاب جولي

السجان فرنسيس : نقيب في الجيش الفرنسي

ثلاثة من صف الضباط : روجيه ، ريمون ، بيير ،

ضباط ، صف ضباط ، جنود

شخصيات مختلفة من المعمرين .

الشخصيات العربية

ابن حمود : من ضباط جيش التحرير

عجابي : من الثوار

بوعلاق : من الخونة

[غرفة متوسطة ، في الصدر طاولة عليها بعض الكتب والمجلات والاوراق المبعثرة ، وسوط مجنول قصير ... خلف الطاولة مباشرة ، وراء مقعد الضابط نافذة مشبكة بقضبان حديدية ، تلوح من خلالها معالم المدينة البعيدة ، بضعة مقاعد موزعة في الغرفة ، الى اليمين عند زاوية المسرح باب حديدي يقود الى غرفة التعذيب .. وفي الزاوية اليمنى نفسها الى صدر المسرح باب يقود الى حجرات داخلية غير مستخدمة .. يدخل القادمون من الخارج ، من اليمين ...]

الفصل الاول

المشهد الاول

[الكابتن جوزيف قاعد وراء الطاولة ، وقد اراح جانب وجهه على مرفقة الايمن المسند الى الطاولة ، مغمض العينين في سنة نوم مفاجئة .. يلوح للمتفرج - قبل ان يدقق النظر - كانه مستغرق في القراءة ...]

الغرفة تسبح في ضوء برتقالي غائم ، هو مزيج من طلائع نور الفجر الاول ، وضوء المصباح الكهربائي المتدلي من السقف والضوء المنبعث من المصباح العاكس الصغير فوق الطاولة ..

ترفع الستارة ، والغرفة على حالها ... ثم يفتح باب غرفة التعذيب الخشبي الفيلظ في شبه زاوية على مهل ، ويمرغ من خلاله السجان فرنسيس ... يندفع في وقت واحد الى الغرفة صرير الباب الثقيل ، وانات بشرية موجهة .. ريثما يتم للسجان رد الباب ، بنفس التمهل والحيلة ... السجان يلقي نظرة معاذرة نحو الضابط ... ويسير متانبا الى منتصف الغرفة [

السجان فرنسيس - (في صوت خافت) .. سيدي الكابتن (يرفع صوته عندما لا يتلقى جوابا) سيدي الكابتن [يتوس راس الكابتن على مرفقه قليلا ، ثم يعود الى وضعه الاول]

السجان - انت نائم يا سيدي الكابتن ... (يقف متحيرا لحظة ثم يهز كتفيه) ... اذا لم اكن واهما فان الرائي يحسبك مستغرقا في القراءة ... هناك فرق - بطبيعة الحال - .. ولكنك يا سيدي نائم تماما .. وهي (يغمز باحدى عينيه) .. وهي ايضا نائمة ... ولكنها تخرج انات لطيفة ، قصيرة .. من .. ؟ او تسألني سيدي الكابتن من .. الصفدعة ... لقد علقتها وهي مكتفة الذراعين والساقين في السقف ، وغمرت قفاها بالماء ، ولكنها لم تتأوه كفاية ، وعند ذلك .. (يتردد) .. اواه يا عزيزتي ماري .. اواه من هذا النعاس الثقيل ... يختلط كل شيء هنا في صدغي .. ولكن النجمتين المعلقتين في محجري ، ساهرتان .. (يلتفت) .. يا سيدي الكابتن ، .. اواه .. هو الفجر .. ساعة الصحو للآخرين ، الم تبلغ الخامسة بعد ؟ واذن ، كل حي سوف يستيقظ في القرية ، ويهرع الى الحقول .. النعاس ، انه يتلفني يا صديقاتي ... هل ترى يفشى الناس في فرنسا هذا النعاس الثقيل الاسر ؟ ..

[يروح ويجيء في الغرفة ، متبرما ، ملوحا بلذراعيه]

السجان - ... يا للطش ، يا لهؤلاء الاوغاد الذين يفضلون السجن والتعذيب ، على هجمة الليل ، كيف يقدر لي اذن النوم ، وهم على مثل حالهم من الجنون ، أية صنعة ؟ ... عندما يموت الانسان يصبح منفرا ، وتنتهي لحظات الرعب سريعا ، سريعا جدا ، اوه ، ان منظر الموت ليس على هذه الدرجة من البشاعة ، الميت لا ينظر اليك بعينين مدهوشتين مرتعبتين .. [يصحو الكاتب فجأة ، ولكنه يظل على حالته ، متأملا بعينين مسهنتين حركات السجان] الميت ، لماذا المقارنة ؟؟ لماذا ، والاف العيون المختلطة ، المزوجة الوانها واصباغها .. تطاردني في ثواني الليل ... والتوجعات والانات المصقوفة في صدور اصحابها ... ولكن الموت يلقي ظلا من السلام على الوجه ، وتغلق العينان ... وقد تبردان كقطعتي زجاج ... أو .. وه .. يا صديقتي ماري ، يا كل صديقاتي ..

الكاتب جوزيف - بماذا تفكر يا فرنسيس ؟

السجان - (وقد فوجيء) نعم سيدي الكاتب ؟

الكاتب جوزيف - هيا ، بماذا تفكر ؟

السجان - عفوا يا سيدي .. لقد اختلط علي الامر .. ان هذه الساعة من الليل شديدة الروع .. انها تسحر العيون المسهدة .. الكاتب جوزيف (ينحني خلف الطاولة ويصب لنفسه قدحا من القهوة) ماذا في هذه الساعة ؟

السجان - (متهريا) لم يتكلم يا سيدي الكاتب ، لم يتكلم ...

الكاتب - هذه الساعة يا فرنسيس .. هيا .. لقد تعبت اشد التعب يا صديقي .

السجان - قسما بدم المسيح .. اني اقاوم .. ولكنها لم تتكلم ..

الكاتب - من هي يا فرنسيس ؟؟

السجان - (يشير بذراعه الى غرفة التعذيب)

الكاتب - هل حققتها بالماء ؟

الكاتب - نعم يا سيدي .. وقد غمرت قفاها فوق ذلك ..

الكاتب - انتظر .. لماذا تقول هي ؟

السجان - يا سيدي ... ماذا اقول اذن ؟

الكاتب - ماذا تقول ؟ اعتقد ان الساعة شديدة الروع حقا .

السجان - اني اقاوم يا سيدي الكاتب ... ولكن هل تسمح لي ؟.

الكاتب - لا ريب يا فرنسيس .. الم ترافقني عبر اللحظات الدقيقة

الملهة ذاتها ؟ ألم نستخدم نفس السوط ، والالة .. ألم تكن معا في اكثر ساعاتنا امتلاء وحيوية ؟؟ انك صديقي يا فرنسيس ، لا يخامرلك شك في ذلك ، هيا ... امسح عن عينيك غبرة النوم ولتحدث ..

فرنسيس - ليتني انسى يا سيدي الكاتب ..

الكاتب - كيف يا صديقي ؟ كيف ؟

فرنسيس - انها تطاردني يا سيدي الكاتب ، انها مرسومة امام عيني المفتوحين ، المشدودين ابدا الى اقاصها .. لست ادري شيئا ما يا سيدي الكاتب ، ولكن ارادة اقوى مني ، تفتح عيني وتجعلهما تسبحان في بحيرة النعر ...

الكاتب - ماذا ؟ ..

فرنسيس - دعني اوضح لك يا سيدي !

الكاتب - انتظر يا فرنسيس ... هل تراك أصبحت ترى رؤى ...

فرنسيس - اي رؤى يا سيدي ؟ اني ملاحق .. الشيطان نفسه لا

يستطيع ان يبرئني ...

الكاتب - وقد أصبحت مجدفا ايضا ؟ لماذا الشيطان ؟

فرنسيس - انتظر يا سيدي ، ارجوك ... أليس الشيطان هو الذي يحرك يدي ؟؟ ان ارادتي مقهورة ، منحدرة ، ولكن يدي تتلقيان الاوامر ، فتشرعان بالعمل ... ويوقفهما الامر الخارجي ايضا .. كلا يا سيدي الكاتب اني لا احس اشفاقا نحو هؤلاء التمردين القذرين ، انهم يطعنون سلامة فرنسا ، أليس كذلك ؟

الكاتب - بلى يا صديقي ...

فرنسيس - واذن ، فاني لا احس اشفاقا نحوهم ... دعهم يثورون .. ان الاتنا قادرة على ان تحمل اليهم الخرس ! اووه .. الخرس ، ولكنهم لا يعيرون عن الكلام هنا فحسب يا سيدي الكاتب .. انهم يضربون مواقفنا دائما .. ولكننا سننتصر ... اتشك في ذلك يا سيدي ؟

الكاتب - ولماذا اشك ؟ انك ترى النتائج بنفسك !

فرنسيس - نعم يا سيدي .. نعم ... ولكن ماذا اريد ان اقول ؟ الشيطان، انتظر يا سيدي الكاتب ، انه هو الذي يصلب عيني ، ويسمرهما على رؤى النعر ، مرة يا سيدي الكاتب ، مرة واحدة قدر لي ان اخطيء ، كان ذلك فظيحا ، فظيحا جدا ... (يدور بعينه محيرا في الغرفة)

الكاتب - (يصب له فنجانا من القهوة) تجرع هذا يا فرنسيس ... انه يساعلك ...

فرنسيس (يرفض الفنجان) انتظن ذلك ؟ كلا ، ان الخمرة اقوى تأثيرا ولكنها تنشط خيالاتي ، كانما تضربها بسوط خفي ، فتروح ترقص ، وتترنج ، وتتمدد حتى تنتشر في كل جانب .. على الجدران ، وفي سقف الغرفة ، وفي ارضها ...

الكاتب - (معانبا) انك محظوظ يا فرنسيس ... اوليس جميلا ان تؤنس الخيالات وحدة الرجل على هذه الارض الملونة ؟ قسما انك لمحظوظ يا فرنسيس !

فرنسيس - اني متوحد دائما يا سيدي ، ومع ذلك افضل الموت على انسها ...

الكاتب - هيا .. لننس الموضوع يا صديقي ! سوف ينتهي كل شيء وشيكا ، قل لي ما رايت في اجازة تقضيها هناك ؟؟

فرنسيس - اين يا سيدي؟

الكاتب - اين ؟ اترك لا تفكر في فرنسا ؟

فرنسيس - (مرتاعا) - تريد ان احمل معي هذي الرؤى الى هناك؟؟ سوف اقضي رعبا يا سيدي ... كلا ! ارجوك ، اني مشدود الى هذه الارض ، ارض الرعب ، اني لا اطيق فراقها لحظة يا سيدي ! صدقتي، ارجوك ... ان بي ميلا آسرا الى ان اغرز نظراتي ، الى ان ادفنها في اعماق العيون المستفهمة ، المملوءة حتى حوافيها رعبا ... انها سراب البحيرات يا سيدي الكاتب ! هنا .. هنا فقط اجد نفسي كما انا .. هنا فقط أبحث عن خلاصي من هذا الاسر .. اني مشدود من كل اطرافي، مقضي علي ان اجوس في داخل هذه البلورات المحزنة المنقطة ..

الكاتب - الا ترى يا فرنسيس اني لا اقاطلك ؟؟

فرنسيس - حسنا ... حسنا جدا ... شعرت فجأة ان سلكين من النار ، كلا .. بل من الحديد المحمى النوراني يفرزان في صدري ، كانا خارجين من اعماق عينيهِ الحلوطين الاخاذتين ، هل تعرف يا سيدي الكاتب .. ان النعر يكسب عيون العرب جمالا رائعا ، اسطوريا ؟ تصبح العينان قطعتين من الفحم التالقي ، المصقول ، الشفاف ، انهما ساحرتان

يا سيدي ، صافيتان ، مجلوتان ، غارفتان أيضا في بساط من الثلج .. وماذا ترى يفعل بهما الذعر؟ ان مثل هذه الاشياء لا يمكن التعبير عنها ، كلا يا سيدي الكاتب ، انهما تعتبان عليك ، تقولان : لماذا ؟ .. اواه ، اواه (يغطي وجهه بكفيه ، وهو يختلج)

الكاتب - (ينهض بتثاقل ويمشي صوب السجن ، فيربت على كفه مشجعا) لم يكونا اكثر من عيين عاديتين يا صديقي ! انك تتخيل اشياء كثيرة ، دعني اوضح لك ، لقد تطلعت فيها اكثر من مرة ، كلا ، ليستا باكثر من عيني حيوان جريح ، ومع ذلك نرانا نسلخ جلود الحيوانات بعد ان نذبها .

فرنسيس - (يخرج صوته المختلج من خلال كفه) ماذا تعتبان علي يا سيدي ؟ لماذا تسالني دائما ، لماذا ؟ لماذا ؟

الكاتب - دعهما تتخلصان من هذا التساؤل فورا ...

فرنسيس - كيف يا سيدي ؟

الكاتب - اجعلهما تنفضان دفعة واحدة كل هذا الرعب ، دعهما تموتان ، دعهما تبردان فورا ..

فرنسيس - لقد فعلت يا سيدي ... لقد قتلته في غمرة الرعب ...

الكاتب - وماذا بعد ؟

فرنسيس - انهما لا تمحيان ابدا ، من هنا .. من نقطة ثابتة غائرة في صدغي !

الكاتب - ولكن ... سوف تجعلني اغضب ... الم يمت ؟

فرنسيس - (يتمالك نفسه) عفوا يا سيدي ! لقد فعل فورا ...

(يمضي الى مقعد في ظل من الفرفة ويتهاك عليه)

[ضوء الفجر البرتقالي يغمر الفرفة ، خلال الحديث ، حتى تبهت اضواء الكهرباء ، وتصبح متعبة للنظر ، ينأى من الخارج اصوات وصدى حركات مختلطة ، ويبدأ يأخذ الكاتب في التمثلي وتديل عضلات رجليه ، تقترب الاصوات حتى تبلغ اعقاب الفرفة]

الكاتب - لقد عادوا ! ان الكولونيل على رأس الحملة بنفسه ، اني لاعجب لماذا هو غاضب الى هذا الحد .. هيا يا فرنسيس ! امسح عن عينيك غيرة النوم ، فقد بدأ النهار ...

فرنسيس - (في صوت غائر) انهما ممسوحتان يا سيدي ، هذا هو بلسم النهار ، هل تريد ان نبدا ؟

الكاتب - بل انتظر ، احسنا كوما جديدا في طريقه الينا ... (يذهب الى النافذة ، ويرتفع على رؤوس اصابعه) نعم ، هناك بعض الحرس ، بعض الثوار ، بعض الجنود ، ولكن اين هو الكولونيل (يفتح الباب الخارجي في تلك اللحظة ، ويندفع من خلاله الكولونيل يتبعه بعض الضباط والجنود والاسرى)

الكولونيل - اسعدت صباحا (لفرنسيس) فرنسيس ادخل هؤلاء (يدور خلف الطاولة ، ويرتمي في اعياء على المقعد) لا حاجة لي بكم اذهبوا ، جميعا ... جميعا ...

(يخرج الجميع ، ويظل ضابط برتبة ملازم ثان واقفا عند العتبة) الكولونيل - حسنا ايها الملازم ، انكم تلاحقوني انا لماذا ؟ اناروا لانفسكم ، دونكم المدن والقرى ، دونكم هذه المخلوقات التي تدب في كل مكان دونما جدوى ، افعلوا شيئا ! شيئا خارقا ، فلا تصدى نفوسكم ... ادري ، ادري ، فقد اوقعتم هذه المرة ..

الملازم - سيدي الكولونيل ، (ينكس برأسه)

الكولونيل - لماذا ؟ هل تعرف لماذا ؟

الملازم - كيف يقدر لي يا سيدي ؟

الكولونيل - لان عيونكم لا بصر جيدا ، لانكم تسافون سوفا .. لانكم تصدقون ما تهمس به ضمائركم خلسة .. فل لي ! اليس من واجبك ان تملأوا هذه الثورة ، ان تقتلوا جذورها ، ان تحذفوا - من اجل فرنسا - وصمة العار ..

الملازم - يا سيدي ...

الكولونيل - مهلا ، لقد تعتكم خطوة خطوة ، وانتم في بخلكم المزري ، ماذا ابقيتم لفرنسا بعد خذلانها ؟ في الهند الصينية ، في سورية ، في مراكش ، في تونس ؟ ماذا ابقيتم لها وانتم تتراجعون ؟ ..

الملازم - يا سيدي الكولونيل ، ان حربنا ..

الكولونيل - (يخط الطاولة) كلا لم تكن هذه حربنا ... نحن هنا مقابل العار تماما ... لقد هزمنا في اوربا في مواجهة رجال حقييين ، للدفاع عن قضية حقيقية ولستم ملزمين بتبريرها ، ولكن هذا العيب الضائع هنا ، هذا الموت الثقيل الكثيف ، قل لي اي شيطان يجعلكم تترددون مقابل الوهم ؟ الفاظ .. الفاظ برافة ، مجرد الفاظ ... (يقفز من وراء الطاولة ويمد اصبعه في مواجهته ، محتدا مرنجفا من الغضب) لماذا لا يعترف ؟ ماذا يدور في خلدكم ... (ان هذه الحرب زائفة ، اننا هنا نضطر لاسكات هذا الصوت التير المنبثق من اعماق جريتنا ، اننا نحارب ، كيما نبعد عن انفسنا رجفة الدهول والدهشة ، اننا نقتل قتلا بدل ان نحارب) اليس كذلك ؟ .. لقد سمعتم تفرقون بين الحرب والقتل ، ايكفي ان نفق مسمرا متطلعا في بعينين مخادعتين ، لماذا لا تؤجلون مناقشاتكم الى حين العودة ، وهناك فقط يستطيع واحدكم ان يختال في بزته العسكرية ، مزهوا بتخلصه من الاثم براءته ، انتصروا اولاً ، ثم لتفتحوا دونما خشية كل هذه الطاقات الصيبانية في داخلكم ، انتصروا اولاً ، ثم ناقشوا فيما بعد حقيقة هذا النصر ... (يلتفت الى الكاتب جوزيف) جوزيف ، الا ترى اليهم كيف ينهارون ؟ .. (بهم الكاتب بالرد ، فيوقفه باشارة من اصبعه) اوه ... كفى سخريه ! تعلم انه عبث ...

الكاتب جوزيف - ان اي شيء هو عبث يا سيدي ...

الكولونيل - (يلوح بذراعه يائسا) ادري .. ادري ... (للملازم) الم تكتشف بعد طريقة تذيب فيها الجمر من الغضب ؟ اتريد ان اذكر لك ؟ الملازم - اعلم يا سيدي ... انذكرني بالتخريب في التلافة ، عين مليلة ، عين سماره ... ناحية عنابة .. النسلية برش الرصاص في الاحياء الحقيرة ، دفن الاسرى وهم احياء ؟ الكولونيل - لماذا اذن .. وانت تعلم ... (في نفمة ساخرة) كل هذه التجارب ؟ ..

الملازم - اردت ان ...

الكولونيل - (في صوت متعب) ليكن .. كما تشاء .. واحدة منها .. اختر واحدة ... (يتشأب ، ويشير بيده الى الملازم) الملازم - سوف افعل يا سيدي ، يقينا ... (يدور في مكانه ويخرج من باب الانطلاق الى اليمين)

(الكولونيل - الكاتب جوزيف)

الكولونيل - (يأخذ مقعدا موليا ظهره النظارة ، في مواجهة النافذة) جوزيف ! لقد كنت دائما فظا ... (يرفع يده ليمتنع من الرد) اني اعني ، على جنودنا الفتيان ، هؤلاء الجنود ، القادمين من فرنسا ... برؤوسهم الصغيرة المحشوة بالوهم .. انهم يصدقون - في هذا العصر فقط - ان

في وسع الانسان ان يكون سيدا مستبدا بالآخرين وملتزمًا بجانب الشرف، ومع ذلك فان دماهم النشيطة الحارة التي تلهب اذهانهم ... تنفجر ينبعها من صلب هذه الارض ... انهم يعيشون بدم الغير ، انهم ياكلون الحصاد المجموع حبة حبة من هنا .. من هنا يا كابتن ...

الكابتن - يا سيدي الكولونيل ، اسمح لي مرة ثانية ان اقول ان الفتيان يخرجون رجالا اشداء من مدرستك فحسب ، لقد كنت غريرا مثلهم ، ولكن صبرك وبسالتك دفعاني دفعا الى ان اعيد تقييم الاشياء في رأسي .. الكولونيل - (ينظر الارض بطرف حذائه) مدرستي ، نعم ، ولكن فرنسا تنهار .. انهم يعيشون الينا بالتطفلين ، بتلامذة الفلسفة ، ان اردتهم مقلوبة مائلة اللون ، الم ترهم كيف يمشون في بزاتهم العسكرية كأنهم مثقلون بالخزي ؟

الكابتن - ولكنك سرعان ما تعجم عودهم !

الكولونيل - اسمع الى خطب حداثي الرتيب (يتابع خطب الارض بقدمه) ان الثوار يعتمدون على هذه النغمة المكررة ، الصابرة يذوقون بها فوق رؤوسنا . انحسبهم يمتازون بالبسالة ؟.. كلا يا كابتن ! انهم يدركون فوق ما ندرك قوتنا الجاهزة الراجعة .. ولكن المصقوفة بالزمن .. ان بسالتنا موقوتة وكذلك صبرنا وجلدنا على المحنة ، الم تدرك بعد يسا كابتن اننا نهزم كل يوم برغم انتصاراتنا ؟ كلما عاشت الثورة دقيقة ، فقدنا نحن عاما ... انها تكتسب مع الدقائق الايمان والجداد وتتطاوّل فوق سطح المستقبل ، انها تعيش على حساب قسوتنا واجزاء انتصاراتنا، يجب ان يسحق الحق دفعة واحدة ، انك اذا كسرت مرآة جزءا جزءا ، فسوف تظل بقاياها السليمة ، تعكس الخيالات والشخوص كما هي ، هشما يا كابتن ! هشما مرة واحدة (يتردد لحظات ثم يحدق الى الكابتن) اتريد ان تجري تجربة صغيرة يا كابتن ؟ ادع فرنسيس !

الكابتن - (يمضي الى باب غرفة التعذيب ويقرعه ، مناديا فرنسيس - يخرج هذا على الفور)

الكولونيل - فرنسيس .. اخرج واحدا من الوطنيين .. ثم دعه يفضي الينا بشيء !

السجان - ماذا يا سيدي الكولونيل ؟

الكولونيل - اي شيء .. امامي .. هنا ...

السجان - (متلبثا في مكانه) اي واحد يا سيدي ؟

الكولونيل - اي واحد ، افتح الباب ودع اقربهم اليك يأتي هنا .

السجان - (ينفذ الامر بالية ، يسوق امامه الى منتصف الغرفة ، قرويا في ثياب رثة ، معتمر الرأس ، يقف هذا مرتبكا ، ضاما قبضتيه في وضع تشنجي)

الكولونيل - اجمله يتكلم !

السجان - (يقف الى جانب ، ويهز القروي من رदन كمة) انت ، قل شيئا ...

القروي - (يلتفت ويتطلع الى فرنسيس بعينين مندهشتين ، دون ان يحير كلاما)

السجان (بالية) اوه ... تحلق في هذا - (يشيح بوجهه)

الكولونيل - (يوالي نقر الارض بكعب حذائه)

الكابتن (مفضيا) - فرنسيس !

فرنسيس - نعم سيدي .. (منتبها) .. (للعربي) ايها الرجل ، تكلم شيئا هيا !..

القروي - (يدير نظراته المندمسة ، المحيرة في وجوه المحققين الثلاثة

صامتا) -

فرنسيس - ما اسمك ؟

القروي - ...

فرنسيس - اسمك ... الا ترى ان حفرة الكولونيل يريد ان تقول له اسمك ؟

القروي - (يهز رأسه) اسمي .. عجابي ..

فرنسيس - ماذا تعمل ؟

عجابي - كنت وراء المحراث ، ثم جاءوا بي الى هنا ...

الكابتن - انت وطني اذن ؟

عجابي - كنت وراء المحراث ..

الكابتن - الم تكن في محل اخر ؟ وراء البندقية مثلا ؟

عجابي - كنت وراء المحراث ..

الكابتن - اسمع يا عجابي ... انت لا شان لك بالشوار .. كلنا يعلم ذلك .. الم تلاحظ داخل الغرفة هناك شيئا ؟ (يشير الى غرفة التعذيب) عجابي - (يهز رأسه)

الكابتن - انك لم تكن وراء المحراث اذن ... لم تكن هناك دائما ... اليس كذلك ؟

عجابي - ...

الكابتن - تعلم يقينا يا عجابي .. اننا نستطيع ان نجعلك تتكلم .. لماذا لا تبدأ اذن فنعيدك الى .. الى ما وراء المحراث فورا ؟ (يغمز له بعينه) ... ربما .. ربما جعلنا منك شيئا اخر ..

عجابي - (بلهجة قاطعة) لقد كنت وراء المحراث ..

الكابتن - (منفجرا) ايها الحيوان (يصفعه على وجهه) سوف تتذكر بعد قليل انك كنت في مكان اخر !!

الكولونيل - (يوالي نقر الارض بحذائه) ..

الكابتن - انزع عنه هذه الاطمار (يمضي الى الطاولة ، ويأتي بالسوط) انظر الى هذا الجلد في يدي ، سوف يداعب لحمك يا عجابي ، سوف يرسم عليه خطوطا زرقاء محمرة قليلا ، لن نتحدث اذن ... سوف يوجه اليك الجلد سؤالا كل ثلاثة خطوط ، هيا .. اتريد ان نبدأ ؟

« مجموعات » الاداب

لدى الادارة عدد محدود من مجموعات السنوات الست الاولى من الاداب تباع كما يلي

مجلة

مجموعة السنة الاولى	١٩٥٠ ل.	١٩٥١ ل.
» » الثانية	» ٢٥	» ٣٠
» » الثالثة	» ٢٥	» ٣٠
» » الرابعة	» ٢٥	» ٣٠
» » الخامسة	» ٢٥	» ٣٠
» » السادسة	» ٢٥	» ٣٠

عجابي - (يطبق فمه بشدة حتى تبرز عظام فكيه ، ويخفض نظره الى الارض)

الكابتن - انظر يا سيدي ، كيف يستعد للضرب ! انظر الى فكيه المتصلين ، ومع ذلك سوف يرتحيان قليلا يا عجابي، ولدينا يا صديقي وسائل اخرى .. هيا (يشرع في ضرب الرجل على وجهه وصدره وذراعيه وظهره ، موقعا كل ثلاث لسعات متوالية) اما زلت وراء المحراث يا عجابي ؟

عجابي - (يتجمع حول نفسه ، متكورا ، ثم يصالب ذراعيه ، ويرفع رأسه الى اعلى ، وقسمات وجهه تنتفض في تقلصات متوافقة مع كل لسعة)

الكابتن - (يحتاج ، فيسارع الضرب) تكلم يا عجابي ، ايها الصديق.. ان لحكم يهتريء تحت لدغة الجلد ، لقد حفرنا خطوطا مقلمة على ظهرك وجنبك .. وسوف نصابها الان ، دورة اخرى ، دورة اخرى ايها الصديق .. (ينهار القروي فجأة بكل جسمه على الارض ، مثل عمود هدم من قاعدته) ارفعه يا فرنسيس هيا ! بل جرده من ثيابه التحتية . هكذا ، اسرع يا فرنسيس ! اسرع يا فرنسيس (يأكل الضابط سعار وحشي من القسوة فيروح يضرب الارض بقدمه ويوقع بالسوط عليها). فرنسيس - (يرفع الرجل العاري .. الذي يحجب جسم الكولونيل نصفه الأدنى عن النظارة) .. هذا هو يا سيدي ، هذا هو !

الكابتن - اطلقه (ينال بالضرب عليه ثانية) تماسك قليلا ايها الصديق، لقد ظل اجدادك مصلوبين وراء المحراث ، في لهب الشمس قرونا خلف قرون ، ارني قوة احتمالك يا عجابي ، لقد خلقت لتلعب هذا الدور ، ولكنك استبدلت المحراث بالبندقية ، انهم يعلونك اشياء خطيرة يا عجابي! اشياء ليست في صالحك ! يقينا انهم يريدون ان يصنعوا منك رجلا ، رجلا سيدا ايها الصديق ! تجلد دورة اخرى ! هل تلتعك هذه الضربات ها.. ها.. ها.. انها تقرصك فحسب ! اسمك عجابي ! وبعد ذلك لا تعرف شيئا .. ماذا يجدينا ان نعرف اسمك يا عجابي ... انك رقم عادي.. مجرد رقم .. ولكن ما اصعب نطق اسمائكم !. نريد ان نتعرف عليك بشكل افضل يا عجابي ... نريد ان نخرج من تحت جلدك المعسروق الملائط الشيطاني الذي رصفوه لك رصفا ، نريد ان نحرك يا عجابي من الاوهام ، انها تبهت كنف فتينا المثقفين ! فلماذا تريد ان تحلو حذوهم ايها الصديق ؟ (يلث من التعب) لقد حمي الجلد . والان (يطلق صرخة وحشية غاضبة) هنا .. هنا .. هنا ..

يطاق القروي صرخة حيوانية موجهة ، مرتعبة ، وينقض بنصف جسده الاعلى الى امام ليحامي موضع الضرب الحساس على اعضائه التناسلية .. وتجمد الصرخة البشرية الوجيعة ذراع الضابط ، فيكف عن الضرب ، ويتأوى الرجل مرات وبدور في مكانه ، مختلجا ، معانيا افدح الالم ، ثم ينهار كله

الكولونيل - (يسارع نقرات كعبه على الارض ، ويدفع رأسه الى الخلف في حركة تنهد عميقة ، محبوسة ، ثم يعود الى وضعه الاول) الكابتن - اطلقه ، اطلقه يا فرنسيس !

فرنسيس - (يهز الرجل عبثا ، ويهرع الى غرفة التعذيب ، فيأتي بدلو من الماء يصبه دفعة واحدة على رأس الضحية) لن يقف ثانية يا سيدي على قدميه ، لقد اوجعته ...

الكابتن - (محتندا ، مهتاجا) انه يقف .. محاولة ثانية ... هيا ... اطلقه !.

فرنسيس - (يحمل الرجل من تحت ابطيه ويرفعه في مواجهة الكابتن) لقد سقطت ساقاه يا سيدي ، انظر ، انهما رخوتان ، لينتان ... فف يا عجابي ! بحق المسيح لماذا لا تنف ؟ (يخضه وهو محمول على ذراعيه) كلا ...

عجابي - (يهز رأسه في محاولة يائسه الى الشمال والى اليمين لاستعادة وعيه ، ثم يثبت رأسه لحظة ، ويتطلع بعينين محمرتين ، ذائقتين نحو الضابط ، ويردد في صوت واهن ميت) يا سيدي .. يا سيدي ... اني اخجل من وقوفي عاريا امامكم ! ... (يسقط بكل ثقله الى الارض ، جارا معه السجان)

الكولونيل - كفى ! (في صوت بعيد ، هاديء جدا) اسحبه يا فرنسيس !.. (يجر السجان الرجل من ذراعيه ، وهو مستلق على ظهره الى غرفة التعذيب ، ثم يختفيان معا)

الكولونيل - (يلقي برأسه الى امام ، كمن يحاول النوم).. اتريد ايها الصديق جوزيف تجربة اخيرة ؟ ادخل الى هناك ... (بشير بذراعه الى غرفة التعذيب) ان الضجة تشرنني الان ، افعل ذلك فسي الداخل ... (ينقر الارض) ان رجلي نقرع الارض في رتبة مؤثرة ... اسمع ايها الصديق ! ان امامكم طريقين : اما ان تفرغ اعصابكم من شحناتها فتتحرك اذرعكم بفعل العادة ، واما ان تسقطوا في اليأس !! كلمة اخرى ايها العزيز ... كلمة صغيرة اخرى ... انكم تمنون بالهزيمة .. ويلحق بكم العار ، لانكم تعذبون بطريقة بشرية .. هل انتهت الى حركة ذراعك ايها الصديق ؟ لا تكرر ذلك مرة اخرى ، وتستمر على القول بانك تخرجت من مدرستي ؟؟ انكم لا تحسنون التعذيب .. انكم - دعني اصارحك انت بخاصة ايها العزيز جوزيف - انكم تعذبون بقلب مثقل بالخطيئة ، انكم تعذبون بقلب بشري (يلوح بذراعه في تشاقل) الان ، دعني اهدأ قليلا ... اني مثقل بالتعب كملبة ملانة (يسقط رأسه الى امام ويروح في اغفاءة)

الكابتن جوزيف - (يعض على شفته محنقا ... وتنقضي فترة وهو واقف في منتصف الغرفة صامتا محيرا ، فجأة يضرب رجله بالسوط ، ويدور على عقبه ، متجها الى غرفة التعذيب ، ويسدل ستار المشهد الاول)

*** المشهد الثاني

[الحجره نفسها ، الوقت عصرا ، روجيه ، ريمون ، بير موزعون في اطراف الغرفة وقد حلوا ازارار ستراتهم تخلصا من وقدة الحر الالهية ، السجان قاعد على كرسي واطيء جنب غرفة التعذيب مستندا بظهره الى الجدار ، ناعس مهموم ، شبه نائم]

صف الضابط بير - ماذا عنك ايها العزيز روجيه ؟

» » ريمون - دعه ... لقد ورد اخيرا بريد فرنسا ..

» » بير - وماذا في ذلك ؟..

» » ريمون - ماذا ؟ يا للحماقة !.. انظر قليلا سحتته

المقلوبة القائمة .

صف الضابط بير - ها انذا افعل ! انه يبدو لي طبيعيا ...

» » ريمون - اليك نظراته الموغلة في الفراغ ، المهمومة ،

المستألفة دائما عن السبب ، اين هو السبب يا روجيه ؟.. لماذا لا توجه سؤالك الى الكولونيل ؟ بل لماذا لا تجعله على شكل كتاب في صدر احدى صحفنا يتوجه عنوان شيق مبتكر على طريقة كتابنا الشباب ؟ كان

يكون هكذا ... « اين هو السبب يا كولونيل ؟ »

صف الضابط روجيه - انت لا تتساءل اذن ؟

ريمون - على العكس يا صديقي ... ليس لي رأس مركب فوق

جذعي ؟ واذن علي ان اتساءل !

روجيله - انهم على الاقل - لا يطرحون عليك من فرنسا هذا السؤال !

بيير - ماذا تراهم يقولون يا روجيه ؟

روجيله - (ينظر اليه في حق) لا شيء ، في الحقيقة لا شيء ...

انكم تتسلون بمطاردة الموت ...

بيير - صدقني ايها العزيز ، اني لا اعلم .. لقد انقطعت عن كتابة

الرسائل منذ زمن ، ساقص عليك الحادثة ...

روجيله - لا ، لا اريد ان اسمع ، انكما معا متحجران ... مفرغان

من هذا القلق .. ماذا ترى يسميه الكولونيل .. هذا القلق السخيف ،

الصياني ؟ (مقلدا الكولونيل) انتم يا تلامذة الفلسفة ...

بيير - اسمع ايها العزيز ، كنت عائدا من غارة ..

روجيله - وما الفرق بين ان تكون عائدا من غارة او ذاهبا اليها ؟ صدقني

القول !.. انكم تتحدثون عن هذه الاشياء المرعبة بسهولة ، الا ندركون

شيئا ؟ ان هذه السهولة ..

ريمون - (متطلعا صوبه في تحد) هذه السهولة ..

روجيله - (غاضبا) نعم .. انه يشبه حديث المائدة ، وحديث السهرة ،

ولكنه لا يشبه في شيء حديث الغامرة ، هل تعلم الان الفرق ؟ .

ريمون - كلا ...

روجيله - لماذا لا تعلم ، لماذا ؟

بيير - وما الفائدة من غضبكما ؟ ما الفائدة في ان تعلم الفرق ، او تنكره ؟

روجيله - لاني لا اطيق ان يجترح الانسان الائم وينكره ... ان معرفته

تربطنا بانفسنا ، تربطنا بهذا الجلد الادمي ..

ريمون - اني اجر جلدي ، وحدي (الى الحرب ، الى المتعة معا ...

ولست راغبا بعد ان ادخل فيه ليقودني هو ...

روجيله - اي جلد ؟ لم يعد من شيء حقيقي ملكنا ، الا هذه ، الا

هذه ..

ريمون - وماذا يهم . من هذه .. ارجوك الا تغضب !.

روجيله - (في يأس) هذه الحرب .. انها هي دائما .. هي التي

تهبط كتفي .. التي اسمعها تتقل عادية على شفاهكم ... التي

تناولونها مع الشراب ، وتحلمون من خلالها بالعودة ... انها هي التي

تبرئكم في نظر انفسكم .. انها هي الحرب ذاتها ... حرب السجانين ،

والجلادين .. الشيء الذي لا اسم له والذي تسمونه بالاف الاسماء ..

الشيء الساحر الذي ياتيكم بالجد والشرف .. هي نفسها التي

تحشرنا داخل جلودنا ... وتفتح ابصارنا على الرعب .. انها الخطيئة

والفضيلة .. انها عبارة واحدة .. الضياع ... (يفاك الاضرار الباقية من

سترتيه ، ثم ينهض مفضبا ويمسح العرق المتعقد على جبينه بباطن كفه)

نعم ايها العزيز ريمون ، انه يريد فرنسا ، الذي يسقط علينا كسائه

أت من ارض اسطورية ، انظر كيف يفكر الناس هناك (يخرج من جيب

سترتيه رسالة مطوية ، بفضها ويدور باصبعه على مقطع معين) هذا هو

.. انظر كيف يفكرون هناك ! انها جانييت ... فقد كنا موشكين على

الزواج عندما ورد الامر بسوقي .. لا يهم .. جانييت

بيير - (محاولا ان يسترضيه) اهدا يا روجيه ، بحق المسيح !..

روجيله - ولماذا ، سيان ؟ انظني مختلفا عن الآخرين ؟ ان هذه انتفاضتي

الاخيرة لقد رأيت - دون ريب - حشرة مداسة مسحوقة ، مقلوبة

على ظهرها ، تهز - قبل ان تيبس - ارجلها الصغيرة المتألة في الفضاء ،

ماذا ترى يعلق بها ؟ انها تبحث عن مستند ، عن ارض ثابتة ، ولكن

ارجلها ترقص دائما في الفضاء ، نعم .. نعم .. ان هذه الارض ذاتها

ليست حقيقية ، اننا ندوس على سطح مائع الى غير ما درب ، ولهذا فاننا

لن نصل ابدا الى مكان ما .. اننا مثل هذه الحشرة ...

بيير - (محذرا) ارجوك يا روجيه ، ان هذا شيء خطر ...

روجيله - خطر .. !! وفي صحبتكما ..

بيير - (يشير الى الحجرات الداخلية الى اليمين) ان احدا ما هنا

دائما ...

روجيله - يقينا !.. انهم لا يربعونني ، فقد فقدت احساسي بالارتياح ..

ريمون - دعه ينفض هذا الذي في نفسه ... (ساخرا) ان هذا الحر

اللين يبرر حتى الخيانة ، بل حتى الجنون ...

روجيله - هل اقرأ لكم ؟

ريمون - حسنا ...

روجيله - (يقرأ من الرسالة) « انهم يتحدثون عن حريكم كأنها تجري في

ارض غير بشرية ، يتحدثون ايها العزيز عن الرعب ، والوحشية ،

والحيوانية ، والقتل ، والخراب ، ان كتابات الطليعة من شبابتنا تدفعنا

الى ان نحلم احلاما فظيعة ، غير انسانية انهم يثرون غيظنا واكثر من

ذلك ، حرصنا المهذب على ان نعيش حياتنا اليومية ، بكل فضائلها ...

لقد بت اخشى تجربتك في الحرب اخشى ان تعود ممثلا لا بالرغبة

في .. وانما بالعجب مني ، كيف تكون الارض التي تحاربون فيها غير

بشرية اذن ؟ انكم تقاتلون ، ولكن الكتاب يصورون المسألة على خلاف ذلك ،

انهم يقولون : تقتلون ، تساخون جلود الرجال ... روجيه يا عزيزي ،

لنتفكر في دائما ، ان رسائلنا تطفح بالفراة ، والبهشة ، والتمزق ، ان

كلماتنا مرعبة ، بل هي جديدة علي ، كان كلماتنا منتقاة من معجم ... »

(يتوقف ، ويتطلع في حرقه الى صديقيه)

ريمون - (في مدة) معجم ..

روجيله - (يهز رأسه أسفا) نعم ، معجم .. هل رأيت مثل هذا ؟

بيير - لماذا بحق المسيح ، لماذا معجم اللفة ؟ . اتركه اصبحت مصابا

بهذه اللعنة اخيرا ...

روجيله - انها تقول معجم اللفة ...

بيير - انت نقرأ بصورة سليمة اليس كذلك ؟

روجيله - ... ياه .. ياه ... ان الكلمات التي نستعملها غير مفهومة

هناك ، منسية ، مهملة .. لا محل لها ..

بيير - ان فرنسا تبعد عنا .. تصبح بعيدة ، (مذهولا) بعيدة ..

روجيله - وكالارض القفر ...

فرنسيس - (في استحياء) ... استمحيك العذر يا سيدي . يخيل

الي ان الشقة تتسع فيما بيننا هنا ، وبينهم .. اعني اننا نفترق ...

نعم يا سيدي ، ان ماري خطيبي تقول لي مثل هذا ... (يكرر العبارة)

اتريد ان تشرح لي يا سيدي ؟

روجيله - (لا يعيره انتباهها) ولكن لماذا لا تقرأ هذا بنفسيكما ؟

(يمد اليهما الرسالة) .. كلا .. ليس هناك من شيء يبعث في الخجل

وحدي ، انها تعنيكما بنفس القدر ، انها تخاطبكما انتما الاثنين ، وهو

والاخرين جميعا .. حتى العرب ..

ريمون - كلا .. لا اريد ...

بيير - (متريدا) حسنا ... ولماذا اريد انا بالذات ؟ كلا ، لقد قطعت ما بيني وبينهم .. كنت موشكا ان احديثك بمثل هذا ... والان ، انسي اكتفي ...

روجيه - هل تخجلان منها ؟ انها نفس الاسئلة التي تطرح هنا ..

بيير - اوه ... نعم .. ولكن الامر يختلف ..

روجيه - كيف بحق المسيح ؟ ان شيئا ما يدق في صدغي ، انكما مسؤولان عن التبرير ، انكما صديقاى الوحيدان هنا ..

بيير - اني اجر جلدي خلفي ، الم تقل كذلك يا ريمون ؟ نعم ، اني ارفقه ، اعذبه بالتعب والخمر ، والسهر ، والاعتصاب ايضا ، الا تعلم ان اغتصاب امرأة يؤذي الجسد بقدر ما يؤذي ... (يتوقف) ماذا تسمون تلك ؟ ...

ريمون - (في اعياء) الروح ..

بيير - حسنا ... بقدر ما يؤذيها ، واني بسبب ذلك اجر جسدي الى النوم چرا ؟ وهكذا ..

روجيه - وهكذا ؟؟

بيير - (يلوح بذراعه) وهكذا ينتهي كل شيء ..

روجيه - يوما ؟؟

بيير - (في ياس) يوما ...

[تمضي فترة صمت قصيرة]

ريمون - لنخرج من هنا ...

بيير - كيف ؟ سوف نرى ما يكلفوننا به ...

ريمون - الم ننتظر كفاية ؟ ..

بيير - اني مشوق الى ان اعلم السبب الذي حدا بهم لاختيارنا ، نحن بالذات ...

ريمون - اية مهمة ! اني اكره هذا المكان ... (يلتفت الى السجان) ايها الجندي .. ماذا تسمي هذه الغرفة ؟ (يشير الى غرفة التعذيب) فرنسيس - (مفاجا) هذه ...

ريمون - هي ... هي نفسها ...

السجان - اوه ، لست ادري يا سيدي ... على وجه التحديد ..

ريمون - لماذا .. « على وجه التحديد » ؟

السجان - انها تسمى باشياء مختلفة ، وهم يذكرونها ايماء احيانا ...

ريمون - - اتفني انه لا اسم لها ؟

السجان - (متخلصا) هو كذلك يا سيدي ... لا اسم لها ...

ريمون - ماذا يجري في الداخل اذن ؟ هل هي فارغة ؟ هل يعدونها لتصبح مكتبا ؟

السجان - (يغمز بعينه) على العكس يا سيدي ، انها ملائنة حتى

الطفح ...

ريمون - ملائنة

السجان - نعم ...

ريمون - بماذا ؟

السجان - (يغمز بعينه ثانية) اشياء كثيرة يا سيدي ...

ريمون - لماذا تغمز لي بعينيك ؟ هل انت مصاب بالرعشة ؟

السجان - انا ... اوه .. كلا يا سيدي ، اريد ان اقول ان الآلات

هنا ...

ريمون - (نافذ الصبر) هيا .. تكلم بسرعة ... اية آلات ؟

السجان - اتسخر مني يا سيدي ؟

ريمون - ولماذا بحق الشيطان ؟ لماذا تظن اني اسخر ؟ السجان - (محيرا) لانها معروفة تماما من قبل ضباطنا وجنودنا ، بل ان رسمها الخارجي ينزل الهلع في قلوب العرب ، رسمها فحسب .. ريمون - ان اشياء تجري هناك اذن ..

السجان - (مؤمنا) انه كذلك .. اشياء يا سيدي ...

ريمون - هل انت حارسها ؟

السجان - حارسها ... (متريدا) نعم ...

بيير - أيشركونك فيما يدور هناك ؟

السجان - (حزينا) .. ليتهم يشركوني فحسب ... اني طاف على سطحها ، اني عوامتها ، اني جرس الانذار ..

بيير - الست مشغوقا بمهنتك ؟

السجان - مشغوف ؟ .. لم لا ؟ اني مشغوف بها ..

بيير - ولكنك - كما لاحظ - تكاد تقضي سجرا ...

السجان - (ينزعج لالحاح الضابط) انك جديد هنا يا سيدي ، سوف تدرك بنفسك اني لا شيء .. لا شيء تماما ، لقد نسيت كيف أحدث الآخرين عن احوالي اني اغسلها يوميا ، وهكذا فهي موجودة وغير حقيقية في وقت واحد ... عندما يدق جرس الانذار ، تصوب عشرات الوجوه اعينها الفجة ، الجافة ، الى وجهي ، ثم الى يدي ، ان وجهي طري يا سيدي ، ما ذنبي ؟ انظن ان ذلك خطئي ، جرس الانذار ، لقد التقطت اذني هذا النداء مرة ، مفاجأة من داخل الغرفة .. واذن ، فانا جرس الانذار ، عندما ادخل تدور الآلات ، وتتوقف بخروجي .. ان وجهي طري تماما ، وهو يعكس برغمي - انفعالاتي - ... (يغمز بعينه)

من منشورات دار الآداب

دواوين الشاعر الكبير نزار قباني

انت لي

سامبا

طفولة نهد

قصائد نزار قباني

في طباعة انيقة مترفة ستكون زينة لكل مكتبة

السجان - (بالية) بسببها ، بسببها .. (يتنبه) ولكن من هي ياسيدي ...؟

(خلال الحديث تقترب اصوات من الخارج ، يشرع الرجال الثلاثة في الاستعداد ، يومئ ريمون الى السجان بان يلتزم الصمت .

فترة يدخل بعدها من يمين المسرح ، الملازم الثاني جاك ، وضابطان اخران برتبة ملازم ، وصف ضابط ، يدخلون في هرج وامارات القطة والانشراح تلوح على محياهم ، يستعري الانتباه بشكل خاص الملازم جاك ، القصير ، البدين ، ذو الرأس الاصلع الا من شعيرات شائسة منسقة على جانبي راسه ، يلوح نشيطا ، خفيفا ، مرحا ، قليلا مايواجه احدا بنظراته الجانبية الخبيثة ، التي ترسلها عيناه الضيقتان ، التمتعان وبالجملته فان مظهره ينبئ عن مهمته بصدق وامانة ، موظف عتيق في قلم المخابرات ، يستدل بسرعة على ان الجمع قد تجرع قدرا طيبا من السكر ..

جاك - (وهم يدخلون ، ودون ان يوجه كلامه الى واحد بالذات) كنت قد حملت معك تذكارا ...

الضابط الاول - (ضاحكا ، غامزا بعينه) اي تذكرا ؟

جاك - ولكن ..

الضابط الثاني - لقد انباهه ياسيدي بنص الامر ...

جاك - (متمهلا) لم يرتدع ، (يحيي الرجال الثلاثة)

الضابط الثالث - حتى انتن ياسيدي ...

جاك - من ... هو ...

الضابط الاول - اوه ، التذكرا طبعاً ، انتن في جيبي ، ولكنني اتساءل عما اذا كان في الوسع تحتيه ؟

جاك - (صافقا بيديه) ... او تحنط اذنا بشرية ؟

الضابط الاول - (يقف ممثلا في منتصف الحجرة) ، اسمع ياسيدي لقد انحنيت فوقه حتى لامست شفتاي اذنه .

جاك - انها دعابة ، دعابة كما قلت ...

الضابط الاول - بل انتظر قليلا ، لقد انحنيت اذن ، وهمست من خلال اذنه ، « هل جربت مرة ايها الفتى ، ان تلتقط الاصوات الخارجية بدون اذن ، ... اعني من خلال الفتحة الدائرية فحسب ؟ » ثم اصفت . هل تظنه كان مرتبكا ، ... اوه ، ... كلا .. كان يحلق في السماء ويوسع - الى اقصى ما يستطيع - فتحة عينيه ، محاولا التصامم ..

الضابط الثاني - هيا ، ماذا اصفت ، لماذا لا تفل ؟ .

الضابط الاول - صبرا ، صبرا ، اني سكران قليلا ...

الضابط الثالث - لقد ابتلعت في جوفي قدرا معادلا ... قل ، ماذا اصفت ؟

الضابط الاول - صبرا .. دعني اوضح لك ...

الضابط الثاني - لاتصدق ياسيدي اذن ، لقد اوقعت به ، كان ممسكا اذن الفتى وفي يده السكين ...

الضابط الثالث - وعند ذلك .. قطعها ..

الضابط الاول - لا يهم ، لا يهم ذلك شيئا . كنت منحنيا فوقه ، وقد همست في مودة في قلب اذنه تماما .. « انك لم تجرب يوما سماع الاصوات الخارجية ، بدون هذا الصفق اللحمي ، هيا ، جرب مرة ، ستخال الاصوات حادة ، مصفرة ، واخزة نوعا ، ذلك انها لن ترتطم بشيء وهي في طريقها الى اذنك ، جرب مرة ايها ... وعند ذلك فقط ستسعى خلفي ، لانتزع لك اخرى » ...

ويشرع في التمثيل ، في حين يلاحقه الضباط الثلاثة بنظراتهم المؤنسة ، المشجعة) كثيرا ما ازور مكانا ما في المدينة ... انتم تقدرون حاجة الرجل انكم شباب ، كالزهرات المتفتحة هذا الصباح بالذات ... ومن اجل ذلك تقدرون حاجات الرجل ... الا تحتاجون بدوركم الى الشمس ، والى الهواء ، والى الحرية ؟ واذن ، ان المرأة تعطيني الحرية ، هنا يختلف الامر ، الست ادري ربما كان الوضع نفسه في الحالتين ، لقد كانت تستعبد في هذه العاطفة ، ولكنني اتحرر الان في حضن المرأة ، ولسوف تقدر ماري كل شيء وتففر لي في النهاية ... ان ماري عطوفة ، لقد خطبنا منذ سنتين ، وها انذا ملتصق هنا بهذه الارض التي تفح اسى ...

بيير - (مؤكداً) انها عطوفة ، دون ريب ... اليس كذلك يا ريمون ؟ قل له ، شجعه مرة ..

ريمون - عطوفة ، يقينا هي كذلك ...

السجان - ارجوكما ... ارجوكما معا ، لاتسألني شيئاً ، ان الاسئلة تخرجني ، تدوخني تماما ...

بيير - لماذا تدوخك الاسئلة ايها الصديق ؟

السجان - الم اقل لك .. انك تعود الى نفس الموضوع ، كلا لاسئلة تعود الى النتيجة الواحدة ، كل الاسئلة تنتهي بهذه الكلمة ... لماذا ؟ سواء نظرات العيون المدهوشة ... والكلمات التي تنتقل بين الناس .. لماذا ؟ .. انها محيرة مكررة ... كل شيء ينطق هنا .. بهذه «(لماذا)» .. عندما ازور مكانا ما .. فتاة هي صديقتي في المدينة ، ادلف على مهل ، واتوسل اليها ان تكف عن مطاردتي .. ولكنها لا تطاردني ... ان عينها الحلوتين السليتين تمتلئان بالحنان من اجلي ، من اجلي وحدي ، فتحرمني ، موقنا فقط ، وعندما نتمدد معا ، وتشابك اذرعنا ، اعانق الرعب نفسه ، تعود الى ما بين يدي الالات .. وتأسرني ، اقول لها : دعيني امسك ذراعك يا صديقتي اللطيفة ، دعيني اتعلق بشيء ما فيك ، ولكنها تجيبني .. انك تمسك بفراعي ..!! واتساءل يا سيدي ... هل هذه ذراعها حقيقة ؟ تخال لي باردة ، متحجرة ، ولكن طيبة ومالوفة ايضا ان هذه الحالات نادرة يا سيدي .. ولكنها تطبع وجهي بالنفور ، والرغبة في الانفصال ، عن العالم ، وعننا ، وعن كل شيء ، ماذا افعل اذن ؟ .. اتكون خطيئتي اذا لم يقدر الي غسله ، ان جرس الانذار يصبح في نظر المأسورين هنا ، ذا وقع مريع ، وكذلك يداي ، فهما مرتبطتان في صميمية مع الالات ... مشبكتان معها ، صديقتان ، وهما ايضا ليستا صديقتين معي انا نفسي ...

روجييه - (كان صوته خارج من حفرة) من فعل بك هذا ؟ .. من فعل بك هذا ؟ ..

السجان - (يرتعد وهو يحكي وينظر الى يديه ، ويمسحهما على صدره وبين حين وآخر) ان تلك الصديقة الانيسة ، التي تنظر صوبي بحنان ، الحنان نادر يا سيدي ، انه يشبه النوم ، ان تلك الصديقة الحنونة تحرمني ، فيما عدا ساعات الاشتباك ، انها تاخذني اليها ، تبتلعني تماما ، كما لو ان جسمي يفرق في الماء ، الماء يدخل فيه ، ويجعله ثقيلًا ، ثقيلًا جدا ، ولكنه فارغ مني ، انا نفسي ،

روجييه - (في عطف) تروح في النسيان ؟ ..

السجان - (بالية) النسيان ... نعم ..

ريمون - وبعد ايها الصديق ، كل هذا بسببها ؟ ... (يشير الى غرفة التعذيب)

الضابط الثالث - لم تقل كل هذا . فقد استغرقت لحظة فقط ؟

الضابط الاول - وماذا يهم ؟ ها انذا اقله الان !..

الضابط الثاني - ولماذا لا يهم ؟

الضابط الاول - اي شيء ..؟

جاك - هيه ... اسمعوا الان ... لنر مايفعل هؤلاء الفتيان !

(يتقدم الضابط الثلاثة باسمائهم)

جاك - انت روجيه ...

روجييه - نعم ياسيدي ...

الضابط الاول - انظروا الى الفتى ، كم هو خجول ! (يدور خلفه) كل

هذا اتيت به من فرنسا ؟ ماطيب قلب هذه الام الرائعة التي تدلل

ابناءها ! انظروا ، انظروا الى خديه الموردين بدم الصحة ... انظروا

الى الشباب ذاته متقمصا رجلا ، (الى جاك) هؤلاء فتيانك ياسيدي ..

انهم مفرؤون ككتاب مفتوح ، نظراتهم البريئة ..

الضابط الثاني - طراوة افواههم التي ذاقت لذتين منعشتين معا ،

الشراب والتقبيل ...

الضابط الثالث - استقامة اجسادهم المذهبية المعدة اعدادا خاصا

للرقص .. ها ... ها ... ها ...

جاك - (صائحا) كفوا عن هذا ، اني امركم ...

ريمون - (متقدما) اني احتج ياسيدي ...

جاك - (في لهجة متعبة) اوه .. لا تكرر امامي هذه العبارة ، انهم

فتيان صالحون (يشير الى رفاقه) انهم فرنسيون تماما ، ولكن (يغمز

له بعينه) ولكنك تدرك الموقف ...

ريمون - هذه الاهانة غير ..

جاك - (يلتفت في حركة مسرحية) لقد اقترعتم حماقة اخرى ، اذن

الم انبهم مرة اثر مرة ، اثر مرة ، بان تقلعوا عن خبثكم ؟ (يعود الى

حالته الطبيعية الاولى) اذن . هنا .. لقد جعلتم من حصتي ؟

ريمون - (يهم بالاجابة فلا يمهله اللزوم)

جاك - (يفرك كفيه) فوج جديد . (يرفع رأسه الى سقف الغرفة)

ياالهي ان تمسك عني عطايك ؟ (الى الفتيان) دعوني اتعرف اليكم

تماما اتجدون تعباً في الخدمة ؟

ريمون - اننا نؤدي واجبنا الوطني ياسيدي ...

بيير - في خدمة وطننا الام ...

جاك - بالاروعة ! بالافخامة ! (الى رجاله) لقد كنتم تمجنون على

غير حق ... هاهم اولاء هنا ايضا ، كما هو حالكم بسبب فرنسا ،

(الى الفتيان ثانية) في الجبال ...

ريمون - نعم

جاك - (صارخا فجأة) نعم .. بكل بساطة .. ولكني لست على

يقين من ذلك ...؟؟ ان العائدين من الجبال لايسودون الرسائل ،

لايحققون قلب فرنسا بالفضب ، ان العائدين من الجبال يملكهم شعور

ما مختلف ، اتدري كيف هو ؟..

ريمون - لست ادري ياسيدي ...

جاك - صبرا ، صبرا ايها الصديق ، لماذا انت في عجلة ؟ (يلتفت

الى رفاقه الضباط) ارايتم الى هذا الفضب الذي يلهج به لسانه

انه يائس من الحرب ..

الضابط الاول - يائس من الحرب ...

الضابط الثاني - يائس ..

جاك - (صارخا ، غاضبا) كفى ... (يستعيد صوته رننه المتعبه)

لست افهمكم ايها الاصدقاء لست افهمكم ابدا .. يزجون بكم في صميم

هذا القتال الوحشي دون انذار ، دونما تحذير ، ان فرنسا الان حديقة

ازهار وعرائش ، انها تنبت الزهور ، وتصدرها ، فرنسا البستانسي ،

(يلوح بذراعيه معا) اية مهزلة ، اية فاجعة ، ولكن الكروم هنا ايها

الاصدقاء ، كروم الرجال الحقيقية ، المثقلة بالعناقيد ، الملوحة حياتها

بشعاع الشمس .. اية مهزلة !!

روجييه - (متقدما وفي نظراته تصميم مفاجيء) ياسيدي اللزوم ،

ارجو ان تأذن لي ..

جاك (يصغفه بنظرة مثقلة ، غصبي) لقد كتبت اشياء جميلة جدا

ايها الصديق ، انها منقوشة على صفحة قلبي ..

روجييه - اني مسؤول عن كل كلمة ياسيدي ...

جاك - ايها الصديق . اني اريد شجاعتك كلها .. ترى هل ابدها

بسبب بعض الكلمات الطائشة ؟

روجييه - اني مقتنع بها .. تماما ..

جاك - ادري .. ادري .. تكاد هذه الكلمات تلتفني .. ولماذا ؟ ليس

ذلك لانها مقنعة ؟

روجييه - اذا كنت تسخر

جاك - (يرفع يده في وجهه) اسخر ولماذا ؟ ان كلماتك حقيقية ،

مخلصة ، مبرئة ... لقد فتنتني ... بل لنقل انها قلبت تفكيري ، كما

لو انها محراث يشق ارضا مشققة السطح ، وينبش قلبها الطري ...

ولكن كلمات صديقتك الطف وقعا ، خيل الي وانا اتصفحها مرة ، تلو

مرة ، انها تقطف تعبيرات الاخرين ، كما يقطف بستاني حاذق ثماره

الناضجة ... ولكن صديقتك الجميلة (يغمز بعينه) لقد كانت جميلة

دون ريب في ذلك الثوب البحري ، واي ثوب !... بالفرنسا الرائعة !

(ترق لهجته المصطنعة) فرنسا اللطيفة ، ذات الابداعات الدقيقة المليحة

فرنسا الفتونة باصطناع تعابير جديدة كلما شاع تعبير وابتذله السوقه ..

روجييه - اني لافهم ياسيدي ، هذه الطريقة التي تتحدث بها عن

خبيتي

جاك - ايها اكثر ايلاما لك ؟ صديقتك ام فرنسا ؟

روجييه - ان فرنسا ملك لنا ، ملك للكل ، اما صديقتي ...

جاك - انظن ذلك ... انظن حقيقة ، اننا نملك فرنسا ؟.. واذا كنا

كذلك ، فما هي حظوظنا منها ؟ ماهو نصيبك انت مثلا ؟

روجييه - اني مواطن مثلك تماما .

جاك - هراء ؟!..

روجييه - ياسيدي ...

جاك - (يتسمر في منتصف الغرفة) يا سيدي ، انتم ، انتم الثلاثة

لتنسوا قليلا الان مواقفكم وتجزيراتكم ، لتنسوا ما تركتم من مباحج، لتفرغوا

جمعكم من الحواشي المجانية ، انهم يطعموننا هنا العسل المر ، لقد كتبت عن

القتل ، عن التخريب ، عن اتلاف النفس البشرية ، ان احدا يجب ان

يكون مسؤولا عن هذه الحرب اللعينة ... تقول انها ازمة ضمير ؟ وقد

تقول انه الله ! ماذا يهم ! ولكنك يجب ان تكف عن فضح اللعبة ، يجب

ان تكف عن الكتابة، يمكنك هنا ان تقتل ، فذلك هو واجبك ... نعم ..

لدينا عدة طرق للقتل .. ولكن هل يصح القتل مع الشرف ذا طعم

خاص ؟ يمكن لنا ان نتحدث ، ويمكن لنا ان نتجرع الخمر ، ويمكن لنا

ان نقتل ، انه اتلاف للنفس البشرية ، سواء في ذلك الحديث ، والخمر

والقتل ، هنا فقط ، هنا فقط ، ان فرنسا لن تستمر في اوربا اذا لم تنتصر هنا !

(فترة ، تنكس رؤوس الاصدقاء الثلاثة ، ويتحرك الملازم جاك كانما بهم بالخروج ، ثم يتوقف)

جاك - لقد استمتعتم هنا ، لتواجهوا الحرب عارية ، انكم فرنسيون حقيقيون ، سوف تغمسون ايديكم في نفس الوعاء ، لتتشعروا لزوجة الحرب ، وتتشققوا رائحة الدم الساخن ، انتظرون التحقيق او السجن؟ ان الخونة فقط يمنحون هذا الامتياز ، ان ياملوا كاعداء ، اما انتم الثرثارين تلامذة الكتب المسمومة ، والمقالات العارية ، فاننا نضعكم امام الفاجعة ذاتها ، سوف تكتشفون السبب الذي يجعل جنودنا ، ملونين مغموسين بالخطيئة (يتردد لحظة ويجيل طرفه في وجوه الفتيان، المتطلعة، الكدرة) اريدون ما هو خلف التبرير ؟ ماهو وراء الشر ، والوحشية ، ماهو وراء التعذيب ؟... ما هو خلف الجدران البشرية الصامتة ، التي لا تشف عما في داخلها ، ماهو خلف هذا الخداع والتمويه ، والزيف ما هو خلف الشرف ، ما هي فرنسا الحقيقية الان ؟ عندما تلمسون بايديكم الناعمة جسد الجبن في مقابل الشجاعة ، وقتها ندعوكم للاختيار ، فاما ان تمنحوا امتيازات الخونة واما .. واما ان تظلوا فرنسيين مع كل هذا العار ... (يمشي نحو الباب الخارجي ، يتبعه زملاؤه في حركة

آلية ، يستدير فجأة وبحركة مسرحية) انتظروا .. منذ الساعة ... اوامري (يتنهد) لنمض الان اخيرا ..

يخرجون

ريمون - (يتحرك فجأة) واذن ؟

بيسر - واذن ! (يلوح بذراعه) اننا مقلدوفون هنا ، على سطح المجتلسد .

روجيه - هم ، ونحن ، لننطلق ، ارجوكم ، اني اختنق هنا !

ريمون - (ساخرا) لننطلق في اولى اماسي عشنا الجديد ...!

روجيه - (يشب فجأة صوب غرفة التعذيب . ويقرع الباب بكلتا يديه) هم ، ونحن ، هنا ، هنا ، هنا في مواجهة العار ، في مواجهة فرنسا ...

السجان - (مجفلا) ماذا تفعل ؟ ياسيدي ، ياسيدي ، انك تؤذيهم .. سوف يصابون بالنز ... هذه اوقات الراحة ... ياسيدي .. رجاء .. روجيه - (يكف عن خبط الباب ، ويحملك صوب السجان) اوقات الراحة ؟

السجان - (مؤكدا) ان هذا يزعجهم يا سيدي ، سوف يبدلون فوراً مواقفهم ، في انتظار .. اووه ...

روجيه - (صارخا) ماذا ، ماذا ايها القبي ؟

السجان (يمد ذراعيه) ... ان يدي موقتتان الان .. اني اطفو ، ان خبطاتك تروعههم ...

روجيه - (في حالة تشبه الهذيان) منظومون ، اذن ، تماما !! ايها القنلة ، ايها السفاحون ، ايها الاغبياء ، هذه هي مرآتكم . هذه هي ..

(يجره صديقه - فيستسلم دونما مقاومة - الى الخارج)

السجان - (وحيدا) دعوني اطمئنكم ... لم يكن ذلك الا خطأ ، خطأ فادحا ... (يقترب من باب غرفة التعذيب ويسمع) .. عودوا الى جلدكم ثانية ايها الاغزاء ، ماذا في يدي انا .. (ينظر الى يديه ثم يخفيهما بسرعة خلف ظهره) لقد كان تصرفا خاطئا ، ان يخرجكم دونما عذر ، من اوكار راحتكم ، من تحت جلدكم المهمل ... (يهز رأسه في اسف) ... ان يسارع انفاكم ... عودوا ثانية .. ماذا في يدي !!... (تتملكه حيرة هستيرية ، وهو يحاول ان يخفي يديه في غير ما مكان .. ويتلفت كالماخوذ .. في حين يسدل ستار الفصل الاول)

الفصل الثاني

المشهد الاول

(الكاتبن جوزف خلف الطاولة ، مسند الرأس الى الجدار ، ورجلاه محمولتان على المكتب ، الى اليمين يقف الملازم جاك ، وفي اقصى الزاوية صف الضابط روجيه ، باب غرفة التعذيب موارب ، تسمع بين الفينة والفينة - ما ظل الباب مفتوحا - انات المعذبين دون ان تغطي على الحوار ... الوقت نهارا)

جوزيف - واذن ايها الصديق ؟

جاك - (يمط شففيه) - ينبغي لنا ان نجز بعض التبديلات .

جوزيف - (متثابرا) ولماذا ؟

جاك - نعم ، لماذا ؟

جوزيف - (يلتفت برأسه جميعا دون ان يرفعه عن الجدار) الا تروق



فيلسوف البعث العربي الكبير

ميشيل
عُفلق

في

معركة المصير الروامد

أنتم وأدركت في لبعث
والوصية والقومية
بقلم المؤلف
المهندس المعماري
العربية والنحو الملهم لها.

لك ... كل هذه الآلات ؟ (يضحك) اعني .. الم تعد الاصوات التي تطلقها تصدي في اذنيك كالمعادة ؟

جاءك - (بهز راسه) كلا ، انها تصدي في كفاية الم يكن ذلك تعبيرى؟

جوزيف - (ضاحكا) بالضبط ..

جاءك - (كانما يهمس لنفسه) انه ظمًا قتال ، جاف ، انه ظمًا صحراوي.

جوزيف - لم اكد اسمع ...

جاءك - نعم ، ونعم .. اريد ان اسالك ..

جوزيف - ماذا ؟

جاءك - الى متى تطبيق الاحتمال ؟

جوزيف - اي شيء هذا الاحتمال ؟

جاءك - ساعات اخرى ، ام سنين ، حتى تشيب اعصابك ... لماذا لا تشيب الاعصاب ؟ انها تسلف فحسب (يومىء الى الغرفة) .. غالبا ما تجعلهم هذه الآلات ينحصرون فوق شفاههم ... يدق كل شيء وينتهى، تصطدم النفس في جدران الاوعية وتخرج الى الحلق، ولكن لماذا ينتهي الصراع فجأة ؟

جوزيف - اي صراع ؟

جاءك - (في صوت خفيض) بين النفس ، والنطق ...

جوزيف - عندما لا يطيق الانسان بعد ان يستمر ...

جاءك - واذن ، واذن اريد آلة اخرى جديدة ، انسانية فوق الظن (مؤكدًا في تلهف مسعور) آلة ، تفصل بين النفس والنطق ... ترجيء الاولى ، تردها الى ما تحت الحلق ، تمدها خلال الاوعية الداخلية المتشنجة ، وعندئذ ...

جوزيف - (متابعا في فضول) وعندئذ ..

جاءك - وعندئذ ، يخرج النطق وحده !.

جوزيف - (ضاربا المكتب بعقب حذائه) اي شيء شيطاني هذا ؟..

جاءك - وما الفرق بين ان يكون شيطانيا ، او انسانيًا ؟ المهم هو ان نصنعها ...

جوزيف - (ينزل رجليه من على المكتب ويصالب ذراعيه في مواجهة اللازم) جاءك !..

جاءك - نعم ... نعم ..

جوزيف - اتدري ؟ اني لم اعد اتذوق هذه المتعة !

جاءك - (متعبًا) ارجوك ، ارجوك ان تكف .. هو .. (يومىء الى روجيه)

جوزيف - وما شأنه ؟ لقد كسبناه ...

جاءك - حقا ؟

(يلتفت جوزيف صوب روجيه ، ولكن هذا لا يحير قولا)

جاءك - لم يعد يكتب ... لقد انقطعت المناقشات ، ولكنه لا يتحدث في شيء ، ولا يختلط مع الزملاء .. ايها العزيز روجيه ! ما رأيك في اقتراحي الشيطاني (يصر على الكلمة الاخيرة في خبث) .

روجيه - (جامدا) انه ليس شيطانيا ...

جاءك - هـ ..

روجيه - في قاع العار ، ليس هناك من قياس ... لا فرق في اي شيء ...

جاءك - قد غمستُ الـ ...

روجيه - .. غمست ...

جاءك - كفرنسي ..

روجيه - كفرنسي تماما !

جاءك - (يصفق في حركة تظاهرية ساخرة) دونما خجل ؟

روجيه - دونما خجل...

جاءك - حتى ...

روجيه - (حدة) حتى لا استشعر الندم او الحياء ، او القرف ..

لم يعد شيء معرضا للتلف .. انها عمليات صداقة .. اننا نعطف على العرب ، اننا ندللهم .. اتريد ان نستمع معا الى هذا النشيد الجماعي المتصاعد من عشرات الحناجر المتقلصة ؟ اتريد ان نبدأ بالمساء ، او الكهرباء ، او الكي ، او القرص ، او ننشئ الاجساد ... اتريد ان نستخدم المقصات او الكلايب ، او البطاريات المتقطعة ، او التيار التليفوني ، اتريد ... كلا ... كلا .. دعني . اتريد ان نشغل الآلات ام نعيد من تجاربنا التحليلية الناعمة ... من هم ... ان الحيوانات لا تعرف النطق ، ولكن الله خصهم بالزيتين ، ان يكونوا حيوانات ، وان ينطقوا في الوقت نفسه ... (يرتجف من التأثير ولكنه يظل متماسكا ، ساكن التقاطيع)

جاءك - (يمد اصبعه في وجهه ويريد ان يتكلم ، ثم يعدل فجأة ، وينزل يده)

جوزيف - .. هيا .. هيا .. لنر ماذا يجري هنا ، حقيقة (بصرخ)، فرنسيس !

فرنسيس - (من الداخل) على الفور يا سيدي .. (يدخل السى المسرح من غرفة التعذيب في صوت مبتهج) نعم يا سيدي !!

جوزيف - الم تستطع شيئا ؟

فرنسيس - صبرا ، صبرا ... ان دلو الماء مدلى في مواجهته تماما ان عينيه تحترقان ظمًا .. تحترقان ..

جوزيف - ماذا بعد ؟ .

فرنسيس - اننا لم نكد نبدأ يا سيدي !!

جوزيف - ادع بوعلاق ...

فرنسيس - اين ؟

جوزيف - اين ؟ .. في الخارج ايها الفبي !

(ينطلق فرنسيس)

جوزيف - لنر ما سوف يفيد هذا الوغد .. يخيل الي انه يخدعنا ..

جاءك - (في صرامة) كلا ...

جوزيف - الم تلحظ حركة اصبعه جنب فمه ...

جاءك - وماذا تعني ؟...

جوزيف - وما يدبرني ؟ ... ولكنه يفكر ويلعب باصبعه قبل ان يشرع في الادلاء بشيء !!

روجيه - يريد ان يتمالك يا سيدي .. ان افشاء السر يتطلب في كل مرة شجاعة جديدة ...

جوزيف - نعم ، نعم .. ولكني لست على يقين من صدق اسراره .

جاءك - (محتدا) قلت كلا .

جوزيف - حسنا ... فهو في خدمتك انت .. ولكن [يدخل في اللحظة فرنسيس ومن وراءه بوعلاق .. وطني في رداء شعبي ، يحيي القباط في حركات مستحفية]

جاءك - بوعلاق ...

بوعلاق - (يتقدم)

جاءك - بوعلاق ... اتحسب انك مفشوش ؟

- التهمة على الصفحة ٥٥ -

الغضب

- تتمة المنشور على الصفحة ٢٨ -

بوعلاق - (يهز رأسه نفيا)

جاك - بوعلاق .. لقد استخدمنا - تقريبا - كل الطرق .. ولكنه

يصر على الرفض ..

بوعلاق - نعم ...

جاك - (صارخا) ماذا تمنى بنعم هذه ؟

بوعلاق - اعني ، اعني .. انه يرفض ..

جاك - ولكنني ادري .. انا اخبرك بهذا ..

بوعلاق - (في برودة) اني اعلم يا سيدي حتى من قبل ان تخبرني ..

جاك - ولماذا ؟

بوعلاق - انه من اكثر ضباط جيش التحرير افتنانا بنفسه، انهم

يسمونهم هناك (يشير الى الخارج) الصقر ...

جاك - هو .. ابن حمود ؟

بوعلاق - (في صوت مستسلم ، مسترخ) هو .. ابن حمود ..

جوزيف - واذن ايها الصديق بوعلاق ...

بوعلاق - (ينظر اليه دون ان يستطيع اخفاء تشفيه تماما) ..

واذن لقد يئستم ؟

جوزيف - اوه ، كلا .. بوعلاق .. انك خبيث .. مكر .. انك

كلب حقيقي !!

بوعلاق - شكرا يا سيدي ، حتى اخون شعبي ، يجب ان اتمتع بقدر

وافر من الضمة وكذلك من اجل ان اتشبه بكم !

جوزيف - (يضرب المكتبة محنقا .. ويرده جاك بنظرة عما يوشك ان

ينفجر فيه من غضب)

جاك - حسنا ، يا بوعلاق ، لقد يئسنا ..

بوعلاق - (مبتهجا) وعندئذ ، ياتي بوعلاق

جاك - (متظاهرا بالاستسلام) كما ترى ..

بوعلاق - (يمضي محاذرا الى باب غرفة التعذيب ، فيدفعه كل جسمه

حتى يوصد تماما) الان ، الان .. اليك طريقتي ايها السيد الملازم ..

اليك طريقتي كما هي (يتنهد) ان لابن حمود اخنا هنا ، هنا نعم ، في

قلب المدينة ، يتوونى بها ، وهي وحدها قادرة على ان

تحل لسانه ... ان ابن حمود شغوف بها حتى الوله ، ذلك انها بقية

اهله ... وهي معقودة اللسان ايضا .. اتدري ايها السيد الملازم بسبب

ماذا ؟ لقد سفك دم اشقائها الثلاثة معا امام بصرها ... حملت حملا

على ان ترى ... لقد كان ذلك من صنع احدكم ... واحد من اكفأ

الضباط واكثرهم ندالة ... (يتمالك الفرنسيون بصعوبة من لسعة

الغضب) انها البقية الباقية لابن حمود ، يتقذى منها بهذا الحقد اللاهب ..

ومن اجل هذا تراه مفتتنا بنفسه .. بطلا .. وغير انساني (يهز

رأسه) اني ادري .. لقد كان ابن حمود ودعا .. حيا .. من

انصار ثقافتكم ايها السيد الملازم ... وعندما خرج الى الجبل تغير كل

شيء ...

جوزيف - (يقترب من بوعلاق) بوعلاق .. بوعلاق ..

بوعلاق - نعم يا سيدي ؟

جوزيف - بوعلاق ... الا تريد ان تفضي الي شيء ... بشيء صغير؟

بوعلاق - (ينكس رأسه)

جوزيف - كان تصدقني مثلا .. ما هو السبب ؟ ..

بوعلاق - لست افهم يا سيدي ..

جوزيف - انك تفهم ... انك تفهم بالتأكيد ...

بوعلاق - (الى جاك) هل انا مضطر الى مثل هذا ايها السيد الملازم ؟

جاك - (يهز رأسه) كلا ...

بوعلاق - ولكنك تدري يا سيدي ... (تلفت الى الكابتن) .. اليس

في انا النذل دليل على بطولة شعبي ايها السيد الكابتن ؟ ..

جوزيف - ليكن ... ليكن ...

بوعلاق - اليس في ، انا العربي اسما ، دليل على ان الخيانة التي

تخرج منا ، تبدو غريبة ، مضحكة .. فريدة تماما ؟ ..

جوزيف - (يضبط ثورته) ليكن ...

بوعلاق - واذن ؟ اليس يرضيك ان يقع تحت يدك ... فسي

مواجهتك تماما خائن عربي .. الا يفنيك هذا ، ويزيد في بسالتك ايضا

في مواجهة العار ..

جوزيف - (يندفع صوب الرجل ، ويصفعه على وجهه بجمع كفه ..)

ايها الكلب ايها الكلب ...

بوعلاق - (في رنة يائسة) هذا هو السبب ايها السيد الكابتن ...

لقد كنت دائما كلبا وجبانا ... ان الفرصة وحيدة ايها السيد الكابتن ،

فرصة العربي وحيدة ... يمكنه ان يسقط ، فيستمر الى الابد في

سقطته ... (يتوقف ليمر بكفه على جانب وجهه حيث صفع) ما هذه

انها لا تترك الا اثرا حسيا ... ذلك اني ذليل ... لقد ادخلت الى

هنا مرة ... (يشير الى غرفة التعذيب) .. فلم استطع ان اتوقف ...

صرعني الرعب .. فأنحل لساني ، لقد اسفت .. حتى اني تمنيت الموت

... ولكنهم اندروني بهذا الشيء .. « لن تموت يا بوعلاق ، لن تموت

يا بوعلاق ، لن تموت يا بوعلاق » ..

روحيه - .. (في لهفة) ولماذا ؟ هيا قل لماذا ؟ .. (يتنبه فجأة الى

نفسه فيحمر قليلا)

بوعلاق - لماذا ؟ انك جديد هنا .. (يتسهم في خبث) تريد ان

تكشفهم ايها السيد الملازم ؟ دعمهم يخبروك عن انفسهم ... اعطهم

الفرصة ايها السيد الملازم .. لماذا ؟ ولكن في أي شيء يفيدهم قلتي؟

لقد اعلنت اني على استعداد للموت ... وكنت ذاهبا اليهم سعيا

اليه .. ولكنهم اندروني « لن تموت يا بوعلاق » .. لن تموت يا

بوعلاق .. »

روحيه - (مندفعا دون وعي كرة اخرى) واذن ؟

(جوزيف وجاك ينظران اليه في استنكار)

بوعلاق - واذن .. (ينفض ذراعيه معا) .. ان لساني يدور في

فمي ، دائما ، دائما .. حتى .. حتى لا يقطع ايها السيد الملازم ..

جاك - (ساخرا) انه يدور اذن ؟ يدور دونما عذر ، دونما مكافأة ..

بوعلاق - انتظن يا سيدي ؟

جاك - انت نفسك تظن ..

بوعلاق - سوف يدور بسرعة متزايدة ... حتى يفهمهم غضبا ...

وعند ذلك ..

جاك - لن يقدروا على هذا يا بوعلاق ! .. انك مخفي تماما .. دعني

اصارحك بشيء الان ... سوف نحفظك دائما ، حتى من غضبنا ..

بوعلاق - نعم .. نعم .. بسبب من هم على شاكلتي، أولئك المقصودون من قماشتي أنا .. ولكن ايها الملازم ... انراي مهملًا بليدا ؟

جالك - (في سخرية ناعمة) كيف يا بوعلاق ؟

بوعلاق - واذن ؟ فسوف استهلك عما قريب ايها السيد الملازم ... عندما تستنفدونني، عندما تصبح خبراتي قديمة ، معفيا عليها ، عندما لا يستطيع ان اتجدد ... عندما اعيش بينكم فما ادري فوق ما يدري صغار جنودكم .. عندها ، ان تتخللوا عني ايها السيد الملازم ؟ ان نفع امثالي مرجو عندما اكون بين شعبي .. نعم .. نعم .. ايها السيد الملازم سوف استنفد يوما ، اني ادري ، ولكني لست في حزن ..

جوزيف - ولماذا تكون في حزن .. ما دمت حيا ؟ ..

بوعلاق - لماذا ؟ (يتلمس اثر الصفة مجددا) لن يقدر لك ان تدرك ايها السيد الكابتن ... معنى ان اكون حيا ، فذلك هو العيب الحقيقي ... ان العربي الخائن يجب ان يموت .. دائما ، دائما ..

روجيه - ولماذا لا تقتل نفسك ؟ ..

بوعلاق - آه .. نسيت شيئا .. يا سيدي الشاب .. اني جبان ...

روجيه - لن يفيدك شيء ، سواء شجاعتك ، او جبنك ...

بوعلاق - كلا يا سيدي ، لن يفيدني شيء ، ان لساني يدور بسرعة حتى يعجل نهايتي (كانما يحدث نفسه) سوف يفضيئون كفاية ، ان ابن حمود غال جدا ، ليتهم يفقدون الصبر ، ليتهم يفعلون ، ليتهم يفعلون ...

جالك - هيا .. تمن .. شيئا اخر .. لنفرغ اولاً من ابن حمود ... (يفرك كفيه ارتياحا) روجيه !!

روجيه - نعم يا سيدي ...

جالك - سوف يرشدك بوعلاق .. عليك ان تأتي بها حية ..

حية برغم لسانها المقود ... روجيه .. انها مهمة ممتازة ...

روجيه - نعم يا سيدي ..

جالك - (في رنة خاصة) روجيه ! ان هذه المهمة متقنة ..

روجيه - ادري يا سيدي الملازم ... سوف انجزها ...

جالك - حسنا ، حسنا ... والان هذه هي طريقتك يا بوعلاق، خارجا ...

ليكن ذلك في الخارج يا بوعلاق ... [يخرجان]

جالك - (يدور في الغرفة قلقا متوترا) لنر الان ، لنر الان ... (يتوقف) هل ندعو الكولونيل ... (لا يمكن الكابتن من الرد) .. ولكن كلا ... انه حصتنا ... ان يكون منظرا عجا .. هذه طريقة ممتازة ... وفوق ذلك فهي شائعة تماما ، ايها الصغير بوعلاق ، ايها الصغير بوعلاق ...

جوزيف - (متأنيا) لا تعتمد على ذلك ...

جالك - على ماذا ؟ ان بوعلاق لا يكذب ، فهو يشي بهم بدافع من العيب، انه مصروع بفكرة الموت ... (يفمز بعينه) سوف نريه ايها الكابتن ... العربي الخائن يجب ان يموت .. والفرنسي كذلك ، اوه ، الكل بدون استثناء ... انها جائحة الموت .. في كل مكان يضح الموت في الصدور ، والحلق ، على الموائد ، في ساعات الصحو ، والموت ، اننا في سباق معه ، يجب ان يموت الناس ، والا كف كل شيء عن الدوران ...

جوزيف - جالك ، جالك ...

جالك - (في لهجة متممة) لماذا نتوقف يا سيدي .. لماذا ؟ اخبرني ..

جوزيف - انهم يفضجون حولنا ... لن نترك على هذا النحو ...

جالك - من ؟ (ملحا) اخبرني ..

جوزيف - آه ، انك تدري جالك - ادري ... ولكن من يستطيع ان يقف في وجه المجزرة ؟ لجان التحقيق ؟ سحقا لها ! ان عيونهم تحمر غيظا ، ثم تبرد وهي تخلف وراءها اخر ثنية لارض الجزائر ، عندما يغيب كل شيء حقيقي هنا وتبقى الذكريات .. في الطريق الى الوطن يختلط كل شيء مجددا الحقيقي والزائف ... يعودون فيشربون خمورنا .. ويذكرون لباس الميدان .. واللهجة الفرنسية المتعبة ، ومع ذلك يكتبون شيئا دونما حرارة ... يجهبزون رواية الفاجعة عبر الكلمات .. والمسؤولون يقرأون فيموت السقط تماما .. سحقا لهم ! سحقا لهم .. جوزيف - جالك ، اني من صفك ، ولكن الآباء .. العاندين !!

جالك - الآباء .. ايهم ؟ هذا الحارس للفضيلة الذي يتعقبنني ؟

جوزيف - الاب جولي ...

جالك - هو .. سوف يأتي هنا .. لقد انذرني بانه سوف يأتي (يتطلع في ساعته) آه .. انه ينتظر منذ ساعة تقريبا .. اين المهرب ؟

جوزيف - دعه ينتظر ..

جالك - انتظر ، كلا ، لن يياس .. انه يؤنسني حقا .. يقول ان الله اختاره للحراسة .. يقول ان الله لا يعرف التعب ... ولكني متعب في الحقيقة ...

جوزيف - لماذا لا يبشرون في مكان اخر ؟

جالك - اين ؟ في فرنسا ؟ ان تعب فرنسا اقل انهاكا ، وهنا يرسم طريق خلاصهم . ان النفوس المهجورة ، لا تبغي الهداية .. الا انها صيدهم الحقيقي وهي لذلك نادرة مرغوبة ...

جوزيف - (هازنا) هكذا ... هكذا .. ان يمكنك ترويضه ؟

جالك - لقد فعلت ... يقينا .. ولكني احفر عناده في الحقيقة ...

دعه الان ! ما هذه الضجة ؟ (يتناهى من الخارج صدى اصوات) لن يمسكوا عن مطاردتنا ؟ [يرن جرس الهاتف]

جوزيف - (ياخذ الآلة ويتسمع) كلا ... لا اريد احدا .. قلت كلا من .. لينهبوا الى الشيطان .. انتظر (يبعد الآلة عن اذنه) ... المستوطنون ..

جالك - (متريدا لحظة ثم مصمما فجأة) ولماذا لا ؟ دعهم ! الا ترى كم انا تائق الى الحديث ؟ لشر ابن حمود !.. فيما بعد ... عندما يأتي دور الصبية ...

[فترة ، يقرع الباب ، ثم يدخل ثلاثة من المستوطنين ، وامرأة نصف وفتانان صغيرتان وصبي .. وخلفهم الاب جولي ..]

السيدة وواحد من الرجال معا - اين القائد ؟ اين القائد ؟

جوزيف - صبرا ... فيم الصخب ، صبرا يا سيدي !

السيدة - (تتقدم) - كيف ؟ الا تعلمني ، الا تعلمني كيف يكون الصبر؟

جوزيف - بعض الهدوء يا سيدي ، استريح قليلا ، [يهرع فرنسيس ويقدم لها مقعدا]

السيدة - (ترفض المقعد) اني لا اطيق القعود ، لم اعد احتمل ، انها اعصابي ايها السيد ، ماذا تفعلون ؟ لماذا انتم خلف مكاتبكم (تصرغ وجهها بين كفيها) يا الهي ! لماذا لا تتحركون بحق المسيح ؟؟

جوزيف - سيدي !

السيدة - (متضرعة اليه) اطفالي ايها الكابتن انظر .. انظر اليهم جيدا (تشير لى الفتاتين والصبي)

جوزيف - ولكن ماذا يجري ؟ ان ابنائك اصحاء موردون ، يتفجرون

عافية !!..

الرجل الاول - (في حوالي الخامسة والاربعين) اني عمهم يا سيدي
... ولكنهم يمشون في رعب قاتل ...

السيدة - (للرجل) لماذا تقاطعني دائما ؟ انك تقعد خلف النافذة
وبجانبك بنديتك ، وذلك الشيء الصغير.. ذلك الكاس الذي لا يفرغ
ابدا .. وتشير علي بالصبر .. انك سكير ليس غير ..

الرجل - اواه (متضرعا اليها) لا تقولي هذا يا مادلين ، ارجوك ...
السيدة - .. انظر اطفالي الان ، تفحصهم جيدا ، انظر انهم اطفالك
تماما ، كما لو كنت ابا حقيقيا لهم ... ولكنك تقعد مجترا نشوة
الخمر .. انظر اليهم ! (تمسك الصبي) وتجسه بكفيها المرتجتين ، ثم
تنحني فجأة وتحتضنه) اليس ولدا صالحا ؟ الا ترى كيف يعمر العزيز
الراحل خلاله ؟

الرجل - (يشيح بوجهه) ولكنه كذلك ، تماما (ينتهد في ياس)

السيدة - واذن .. لماذا لا تفعل شيئا ؟

الرجل - مادلين .. (في ضراعة) الم نتذاكر معا في العودة؟

السيدة - الى اين .. يا الهي ؟ العودة ! العودة ! ما امر الكلمة !

الرجل - ولماذا ترفضين يا مادلين ؟ من اجل الله ؟

السيدة - لماذا ؟ .. ولكن ، هل انت على يقين من رغبتك في العودة؟
تكلم .. لماذا تنكس رأسك ؟

جوزيف - (متدخلا) لست افهم يا سيدتي .. عفوا !

الرجل - سوف تفهم يا سيدي.. انها ترفض ان تعود .. هذه هي
الحقيقة .

جوزيف (نافذ الصبر) ولكن لماذا ؟ .. لماذا تريد العودة ... ولماذا
ترفضها ؟

جاءك - يا سيدتي اهدئي قليلا ! (الى الصبي) تعال هنا .. الى
جنبتي (يسبط له يده)

السيدة - (تهرع في جنون فتمسك الصبي قبل ان ينطلق) كلا ...
اواه .. كلا

الاب جولي - دعيني اساعدك قليلا .. تشجعي ابنتها السيدة ...

السيدة - (تنظر اليه في رعب) لا اريدك انت.. كلا .. كلا .. ان الله
لا يستطيع شيئا هنا ...

جوزيف - صبرا .. ولكن لماذا تنوين بهذا الرعب؟

السيدة - (للصبي) قل لهم يا ولدي .. تكلم ! .. ماذا رأيت ؟

ماذا حملت الي امس .. مساء ؟ هل نسيت يا ولدي ..؟

الرجل - تكلم يا ميسو !.. هيا ..

السيدة - لقد امسكوه عند طرف المزرعة .. وحملوه رفعة صغيرة،
كلمة واحدة .. كلمة واحدة.. الفريضة .. يجب ان ادفع .. ولكنهم
اوشكوا على اختطافه .. اليس كذلك ؟ اليس كذلك يا طفلي ؟ لقد كاد
ان ينطفيء رعبا ..

جاءك - (الى الصبي) حدثني يا ميسو ... ماذا اجري بالامس ..؟

الصبي - (مستغربا بعض الشيء) .. اقترب رجل مني وحياني
جاءك - نعم ؟..

ثم فرك رأسي برؤوس اصابعه .. وكان يتسم لي .. ثم ..

الصبي - ثم اعطاني ورقة .. الى ماما ..

جاءك - (في لهجة رفيقة) الم تكن خائفا يا ميسو ..؟

الصبي - (متطلعا صوب امه) ماما .. لقد قلت لك .. لم اكن خائفا.

السيدة - يا صغيري المسكين .. ولكنك لا تذكر الخوف .. لقد كادوا
ان يختطفونك ...

الاب جولي - يا ابنتي .. سوف تخلصين .. ولكن الطفل ...

العم - مادلين، مادلين، ارجوك ... ان السيد الكابتن

السيدة - دعني ، (الى الاب) ابي .. اني لم اعد اطيع ... انهم
يدورون حول المزرعة ، وهو قاعد ، متصبر خلف النافذة .. اواه

العم - الم اخرج للحراسة ؟

السيدة - أه ، أه .. لقد فعلت ..

الكابتن - يا سيدتي ، قدمي شكواك ، وسوف نجعلك في مأمن ..

السيدة - شكواي .. ولكن القضية مختلفة ، اية شكوى يا سيد
الكابتن ؟

الكابتن - سوف نحرسك في ايما مكان ..

السيدة - لماذا ؟.. اوه ... لماذا ؟

الكابتن - ولكن ماذا في وسعي ان اصنع من اهلك ؟

السيدة - (مندفعة) تستطيع بالتاكيد .. عليك ان تحررني .. عليك

ان تعيد الي امني .. ان هؤلاء الاطفال (تشير الى ابنائها) مروعون ..

ان ابنتي لا تنفان طعم النوم وكذلك أنا .. ماذا تريدون ان نفعل ؟ عليكم

ان تتدبروا القضية ؟. فورا ، فورا ايها السيد ..

الكابتن - سوف نفعل !

السيدة - انهوا كل شيء .. اعيدوا الى هذه الارض امنها ... لقد

وجدت هنا منذ البداية .. وماذا ترى في وسعي ان اعمل ؟ لقد افسدتم

كل شيء . الحرائق .. ان النار تتوقد طيلة الليل في كل مكان .. النار

ثم تسود الاشجار وتصبح فحمية .. وتطل علينا في الدروب هياكل

البيوت المتداعية ، المخربة .. ان اجراس الكنائس تفرع مؤذنة بالرعب..

ويتدفق الخائفون من كل صوب .. هل سمعت قرع الاجراس ؟ اجراس

الانذار (الى الكاهن) ان مهمتكم غريبة يا ابي.. ان مهمتكم ان تحلوا

السلام وليس الرعب ...

الاب جولي - نحن نلم الخائفين في بيت الله ...

السيدة - ولكن لماذا الخوف يا ابي ؟ من صنع الخوف هنا ؟

الاب جولي - (محيرا) ادري يا ابنتي ..

السيدة - ماذا ؟.. هيا قل شيئا ..

الاب جولي - سوف ينتشر السلام من جديد .. سوف ينتشر السلام

باسم الاب ، يقينا ..

السيدة - (الى الكابتن) اننا مدعورون ... اطفالي وانا .. ولكن

هل ترسلون لي حرسا فينتشرون حول البيت ..؟ لماذا اذن تفنون الرعب

لماذا لا تنهون كل شيء ؟

جاءك - (في شيء من نفاد الصبر) اليس ذلك مضیعة للوقت يا

سيدتي .. سوف نحرس اطفالك ..

السيدة - اتسمى استهلاك النفس البشرية مضیعة للوقت ، انظر الى

هذا الرجل (تشير الى العم) انه ليس اكثر امانا منا ... وفي حضنه

بنديته ... يشل ، ويتحفر للمقاومة .. ولكنه يلقي بنظراته المنطفئة،

المستسلمة ، الذاهلة في ارجاء البيت ، ويسقطها في قلبي وفي قلوبهم

(تشير الى الاطفال) هل تسمي هذا امانا ؟..

جاءك - ولكنه ليس اكثر من مزارع .. ان جنودنا ...

السيدة - ... كلا أه .. يا سيدي .. ان جنودكم يسمرون الرعب

حول البيت وفي منافذه ، وفي صدورنا .. كلا .. سوف ادفع ...

ولكني منتهية تماما

جاء - واذن ... عندما تدفعين ينتهي دورنا .. ان ذلك من حقه، رغم ان شرفك كفرنسية

السيدة - لست اهتم .. سوف ادفع .. ولكن اطفالي يجب ان يستمروا ..

جاء - اذا كنت قد قررت ... فسوف يستمرون بعد اداء الفريضة ! السيدة - (محتدة) اواه ... لماذا لا تريد ان تفهم .. ليست القضية هي في ان ادفع او امتنع .. الكل يدفعون ... كلا ، .. اقتلوا هذا الرعب الذي يحتاج الصدور ! اننا نقرأ عن الفظائع ، انكم تندافعون معا لتسويد القلب البشري ... الاطفال ، اه ياسيدي .. انهم يبصرون في صدور الصحف وفي صورها الافواه المقلعة من مكمنها في الوجه .. الاذان المشرومة ... الرؤوس المفصولة عن اجسادها .. الرجال المدفونين وهم احياء .. سوف يختطفون اطفالي يوما .. اننا نعيش في ترقب ذلك الضرر الزاحف الاتي رغم كل شيء...

جاء - ولكن يا سيدتي .. ان تكفي ؟ من هو الذي يختطف اطفالك؟ ان الناس في امن هنا ، تحت رعاية الجيش ..

السيدة - (مبهورة النفس) هم ... وربما انتم .. سوف تختطفون الصغار يوما .. [يتدخل واحد من الرجال ، وهو في سن الشيخوخة] . الرجل - استميتك العذر يا سيدتي .. اني اقدر عواطفك تماما ... ولكن مسألة الاختطاف .. دعيني اعبر لك .. (الى الملازم) ايها السيد الملازم .. الا ترى هذا الياس الشين الذي يعمر قلوب مواطنينا ؟ ان الياس ينتشر دائما ، بدون توقف ... انه يكتسح اعنى القلوب واشدها اعتدادا بأرومتها .. خذ حالتي مثلا ايها السيد الكابتن .. انني املك مصنعا للخمر .. وماذا تبقى لدي الان ؟ انكم تطاردون عمالي ، وهم ليسوا من المتعصبين بآية حال ، ولكن بآية طريقة يمكنك ان تتفاهم مع ضابط باسل مملوء شجاعة ، ومقتنع في نفس الوقت ان اجرائي المساكين هم من غلاة الثوار ، ومن اكثرهم ولما بسفك الدم ..

ولنقل يا سيدتي انهم في صف الثورة ، جبنا ، او شجاعة ، او كرما .. ولكنهم يعملون في تقطير الخمر ... اني اصدرها الى الوطن .. ان رئيس الوزراء نفسه ، وضباط الجيش في باريز يتجرعون خموري .. ماذا افعل اذن ... واذا انقطعت فاني اموت ياسا ... وكذلك ساموت اذا استمر ضباطكم الشجعان في مطاردة صناعي . اني ميت لا محالة! ولسوف يجتاحني هذا الدمار ... سوف يجتاحني يقينا ... خذ قضية الاطفال مثلا .. انها واحدة ، المسألة ليست في ان ادفع ، واوفر نفسي .. ولكن الشعور بالمطاردة هو في صميمي .. كانه جنور كرمة مسنة .. اني مطارذ ، مثل ورقة بانسة ، جافة ، مطروحة في وجه تيار محصور مدفوع دائما في كل اتجاه ... ماذا تريدني ان افعل ؟ ... ان اجرائي ولكن يا الهي .. الست اكرر القول .. خذ قضية اخرى ..

الرجل الثالث - (يقاطعه) لتكن قضيتي انا ..

جاء - (منتفضا من الضجر) كفوا ، كفوا جميعا ... ولكن من ساقكم الينا ، بحق الشيطان ؟ اليس هنالك دوائر مدينة البوليس . والجيش؟ العم - لقد قلبوا شفاهم في وجوهنا ..

الرجل الثاني - اوصانا احدهم بالصبر .. لقد قال .. الستم فرنسيين تماما ... واذن عليكم ان تستمروا ...

الرجل الثالث - اعذرني ايها السيد الملازم ... لقد اسروا في اذني ... ان قوة الجيش الحقيقية هي هنا ...

جاء - (متعبا) كلا .. كلا ... ان عملنا من نوع اخر ... اتريد ان اوضح لك ؟

المستوطن الثالث (يهز رأسه) اذا شئت يا سيدي ...

جاء - حسنا .. نحن نتعامل مع العرب ، والخونة ..

السيدة - واذن .. ماذا تريد ان تصنع باطفالي ؟

جاء - دعيهم كما هم تماما ...

العم - مادلين ، مادلين ، ارجوك .. لنعد بهم سريعا ..

السيدة - الى فرنسا ... كلا ... سوف اتلف سريعا ..

العم - (في صوت متذلل يائس) مادلين .. لنعد سريعا ، لنفادر أرض

الرعب .. يجب ان ينقذ الاطفال ...

السيدة - (في احتياج) قلت كلا ... (تتطلع صوب اطفالها ، وتلين

قسمات وجهها المتعبة فجأة) ربما ، ربما ... يا اعزائي .. يجب ان

تفتحوا عيونكم في الصباح على نور الشمس الحقيقية .. ويجب ان

تهرعوا الى الحديقة ، وتقتطفوا زهور الصباح .. وتفردوا كالعصافير ..

يا الهي .. لنمض .. لنمض من هنا (الى العم) ان نكون في مامن

على الدرب ؟

العم - (يمد اليها ذراعيه) يقينا .. دعيني اساعدك .. سوف نمتطي

عربة مقفلة ..

(يحتاط البنتين بذراعيه، ويمضي بهما نحو الخارج ، تتبعه الام

منحنية بحيث تلف ذراعها حول الصبي)

(فترة)

جاء - (منفجرا) ماذا تبقى لديكما ؟

المستوطن الثاني - سوف نستمر ايها السيد الملازم .. سوف نستمر

... ان خلوقنا تفص حقدا عليهم (يتهمل) ولكن ان تدبر الامر ؟ (متوسلا)

الان .. قضيتي ايها السيد الكابتن .. مرهم ان يدعوا اجرائي في حالهم

.. ان خموري ..

صدر حديثا

حشاؤنة شرفت!

مجموعة قصص رائعة

للقصاص العربي المعروف

الدكتور يوسف ادريس

دار الآداب - بيروت

جاءك - (صارخا) لتذهب بها الى الجحيم ... هيا .. سوف نجلد العرب حيثما وقفنا عليهم .. سوف نسوطهم كالحيوانات .. سوف نجعلهم ينفضون اسرارهم لمجرد رؤيتنا ... ولكن انتم ؟ .. اية مذلة ؟ خارجا ... خارجا ... سحقا لكم ..

(يتدافع الرجلان في طريقهما الى الخارج)

المستوطن الثالث - ايها الكابتن .. ولكنني قضيتي ..
جاءك - (بتعقبه هادرا) الى الشيطان .. اشك أمرك الى دوائر الامن ..
المستوطن الثالث - (بائسا) ولكنها لا تحير قولا ... ان قوة الجيش الحقيقية ..

جاءك - انها قادمة اليكم ، انتم ايها الجبناء ، سوف تطاردكم قوة الجيش حتى تقتلع بنور المذلة ، والرعب من اعماقكم ... هيا ... خارجا خارجا (الى الاب جولي في صوت ارق) في وقت اخر يا ابي ، في وقت اخر (يجر احدهما الاخر ، ومن خلفهما الاب مودعين بنظرات الغضب ، وتلويحات الملازم العصبية)

جاءك - (ما يزال في ذروة احتياجه) لنبدأ الان ... هنا .. هنا ، (يدق الارض) هنا قوة فرنسا الحقيقية ... لقد ماتت فرنسا فسي قلوبهم ... يجب ان تطارد الكل ... الفرنسيين والعرب .. يجب ان تجز هذه الحشائش الطفيلية ... هنا مقصها الصلب (فترة) دورك يا ابن حمود ... دورك لتمثل بكل عظمتك امام الحد المسنون المهرف .. اسفا ... اسفا ... اننا نضطر الى معاندتك ، ان عينيك المبلولتين بدم العذاب تؤرثان حقدي . انهما عيتان مرفوعتان .. حقيقتان تفران باللمس ... كما تفرى بحيرة من الماء البللوري .. اسفا ، اسفا ان نضطر من اجل هذا السقط من الناس ، ان نوغل فيهما الموت .. فتنشفا تماما ثم يجففهما الدم (في لهجة صارعة ، متوقدة) ابن حمود ! ابن حمود ، انها معركتنا الوحيدة ، معركة الرجال ، والفرق انك مأسور ايها الصديق .. الفرق انك مقعد بكل عظمتك .. وان في يدي جلدك سوط الغضب .. انه يحس ، ابن حمود ، حتى قبل ان يبدأ رجفة الهزيمة ..

[يسقط الستار تدريجيا مع كلمات الملازم ، وما يكاد ينطق بالعبارة الاخيرة ، حتى يسدل تماما .. يدوم ذلك دقائق ، ثم يرتفع عن المشهد الثاني ، في نفس النهار وذات الاشخاص]
المشهد الثاني

الكابتن ، جاءك ، فرنسيس ..

الكابتن - (من خلف المكتب) هذه المقابلة ...

جاءك - (ينفض من على المقعد ويقف قبالة) اريد واحدا يا كابتن ... واحدا فينهاه الصف مرة واحدة ، كما لو ان حجرة الثقل قد تداعت في جدار قائم ...

(فتسرة)

الكابتن - جاءك ...

جاءك - نعم ...

الكابتن - انظن ان ابن حمود ...

جاءك - ما يدريني ؟ ان هؤلاء الرجال قساة حقيقيون ...

الكابتن - (مرجعا في صوت حزين) هؤلاء الرجال ...

جاءك - اسمعني يا كابتن ! سوف ينتهي بعضنا الى اليأس ، بعضنا الى الجنون ، بعضنا الى الفراغ ، ولكننا مشدودون الى هذه الارض الخراب ... اندري يا كابتن بم أفكر ..
الكابتن - ادري ، وما الفرق ..

جاءك - (غير منتبه) ... الان تنفجر حرب التحرير ... لقد هزمنا في الهند الصينية .. ومن قبل دحرنا في اوربا ، ولكن الان ، الان الان يلزنا النصر ، دونما اعذار ، ولا تبريرات ، النصر ، كيما يرتد شباب فرنسا اليها (بتمهل) قلت دونما اعذار يا كابتن ...

الكابتن - ان تجري المقابلة ...

جاءك - (يتوقف ويواجه الكابتن) اتريد ان نبدأ حقيقة يا كابتن ؟ ..

الكابتن - اريد .. اريد ...

جاءك - اتري كم انت مشوق اليها يا كابتن ؟

الكابتن - كيف ، اليس عملا يوميا مكررا ؟

جاءك - (غير منتبه) لاذع وامين ، اننا نخوض اليه سبحة العمل اليومي انه محسّر ..

الكابتن - نعم ، قد يكون لاذعا ومثيرا ، فما هي امانته ؟

جاءك - (يقترب منه) سوف تقف الساعة على انفجار كبرياء حقيقية عندما تصطدم بالعار ، انظن ان الرجل الصامد هو الحقيقي ، الصامد فحسب ؟

الكابتن - اليس هو ؟

جاءك - بقينا لا ... زود رجلا عاديا بالطلق ، ثم بقليل من الحماسة ينجز الرجل الصامد بين يديك ! ان الفلاحين يموتون ببسالة ، يعصبون على قلوبهم حقدا مروعا فينتهي الحب ، والامن ، والرغبات ، وحتى الامل ، ان الفلاحين يحاربون بدون امل ، همهم ان يقدفوا الاخرين في الموت ، وان يوفروا انفسهم اذا امكن ، انهم بشر ، لهم صلابتهم ، ولكنهم منتزعون من دائرة الشرك اليومي ، انهم منسيون برغمهم ، مفصلون للموت ، احياء فقط ليؤدوا دورا واحدا ، مكررا ، هو ان يجهزوا الموت للاخرين (بفادر مكانه ، ويتجه صوب الباب الخارجي) سوف نعرف الان معنى الامانة الحقيقية ...

الكابتن - (حائرا) امانتنا ؟

جاءك - (يتوقف) من طرازها يا كابتن ، ولكنها بكيفية مختلفة ، لماذا ؟

اجل لماذا ؟ ان لنا عشرات الدوافع كيما نزع بانفسنا في الحرب ، النصر مثلا ، فرنسا ، شرف الجيش ، العادة في ان نحكم الاخرين ، تفوقنا ، اوربيتنا ، الا تكفي نصف دسنة من التبريرات ؟ ..

الكابتن - بالنسبة لي .. يكفي ان نتصر !

جاءك - يكفيك واحد .. يلزمني انا عشرة ، فماذا يمنعا بعد ذلك من السفوط ؟ نستطيع ان نمد ايدينا فنخرج هذه اللعب واحدة ، واحدة ... ولسوف نفرنا احداها ، فنعلق بها ، كما يعلق طائر في الشرك ، ان جنودنا يموتون بفعل العادة ، قد يكونون اقل بسالة من الفلاحين ، لانهم يتلقون الرسائل من فرنسا ، ويطلبون الحب والعودة وسهرة المساء الممتعة ، ان لهم احلامهم ، وبيوتهم ، وزوجاتهم ، وتسلياتهم ، ومن حقهم ايضا ان يقتنصوا مئات الرغبات الممنوعة ، ولكن الفلاحين معزولون عن الشرك اليومي ، عندما يصارع جندينا الموت ينشق في مواجهته مصيره الحقيقي ، اما قدرته على الموت ، ويعني هذا ان يصمد ، او قدرته على ان يحيا ، ومعنى هذا ان يتخزل ، وعلى الفلاح ان يموت فحسب ، لقد لعبوا بنا يا كابتن ، ان العربي يموت لانه لا يعرف حتى اليوم حقيقة اخرى ، ماذا ترى تعني البندقية للعربي ؟ عندما يمتلكها ينعكس الوضع تماما ، انها تستحوذ عليه ، انها تستخدمه ، انها طريقه الوحيد يا كابتن ..

الكابتن - (متعبا قليلا) الى اين ..؟ الا تريد ان تفرغ ...

جاءك - صبرا يا كابتن ، فسوف نلتقي ...

الكابتن - في نظري سواء ، جنودنا ونحن والفلاحون ، صنعنا الموت ليس غير ، يكون الجندي امينا عندما يؤمن بحتمية الموت ، هذه هي القضية ، اما ابن حمود فهو يشرنى لسبب آخر ...
جاك - ما هو السبب يا كابتن ؟

الكابتن - (يهز رأسه) لست ادري بالضبط ، ربما كان اغتباطي ناشئا عن الامل في لقاء ثائر غير عادي ، ثائر ممتاز، مثقف ، ابن حضارتنا ، وكذلك ...

الكابتن - (يتأمل) انتظن اني ؟

جاك - وكذلك ؟

جاك - بلى ، بلى ، انك مشغوف مثلي تماما بهذا اللقاء ، متلهف لا تكاد تحبس فضولك ... اننا لا نستطيع ان نقف مع ضباطهم وجهها لوجه الا ويلازمنا العار ينبثق فجأة في محاذاتنا . ذلك الظل الكريه المقبض ، ظلنا نحن ، عندما تنحسر اوامرنا ، وشارات الرقعة التي نعلقها على اكتافنا ، عندما يقف الرجل في وجه الرجل ، عندما نتحرر من الزيف ، فاذا بنا مسلوبون اغز ما نملك .. مسلوبون الحق في ان نقتل، نقلب الى مسوخ ، مجرد الات للتعذيب ، مجرد وسائل لفصح الشرف، والمجد ، عندما نصبح غير مستحقين هذا اللباس الذي صنع من اجل الموت المختار ، المنتقى ، الموت النظيف !

الكابتن - (مثارا) اية تسميات ! انه هذيان ايها الملازم .. اني لا اؤمن بشيء مما تقول ...

جاك - وما جدوى الاقرار او النكران ؟ .. سوف يموت هذا التأثير بين يديك ، ولكن بعد ان تسلبه كل الامتيازات التي تستحقها انت ولكنها مستحيلة في وضعه هو .. ان تعامل بشرف وامانة ، ان تموت كما ترغب في الموت ، ان تحترم فضائلك الغالية ، ان يكرم الانسان الثاوي في أعماقك ! ولكن مهلا ، ألم اقل لك اننا سوف نلتقي ، وهذا نحن الان مع خط واحد ، خطوة أخرى ليس غير وتكشف امامك الهاوية ولا بد ان تزل بك القدم يا كابتن ! .. لا بد ... انه عارنا نحن ... ورجولتنا تلزمتا دائما بحمله .. من يخلصنا ... ؟ عذاب الفلاحين الجهلة السفاحين ، قتل جنودنا ، الخرائب ، التدمير .. كلا يا كابتن اليك الفرصة الثمينة ، عذبه ، املا قلبه رعبا ، دعه ينطوي امامك ، وتاكل احشائه ديدان الشرف والاستقلال والمثل والفضيلة .. عذبه بايمان حتى يشعر بان فرنسا عاجزة ، مسحوقة ، مريضة وانها منشبة انيابها في جسده الطري الدسم ، راشقة مناهل دمه ، فجتر الحقيقة كلها في وجهه يا كابتن ، قل له اننا انتهينا

الكابتن - (صارخا) هراء ، هراء ... انك تهذي ..

جاك - (ملتهب العينين) الواقع يا كابتن ، الواقع ..

الكابتن - اي واقع في ان نجعل من انفسنا سفاحين، جلادين ؟ .. مفرغين من ايما معنى رجولي؟ اي واقع هذا ؟ .. ان نميز في تعذيب الرجال ، فنسوق الجموع الى الموت ، ونخشع امام قداسة مثل هذا الرجل .. ان تنهوى فضائلنا جميعا ، وتردى في مواجهته ، اذا كان هناك من عار فانه واحد ...

جاك - (مشيحا بوجهه عنه) العار الواحد خرافة يا كابتن ... هناك النموذج دائما ..

الكابتن - هراء ، مرة أخرى ...

جاك - ليكن ... ليكن .. دعنا نستقدمه يا كابتن ، وسوف تجد بنفسك الحقيقة

الكابتن (يهتف من حيث هو) فرنسيس ..

فرنسيس - (يتقدم من طرف المسرح ، فيفاجيء الكابتن) نعم يا سيدي ...

الكابتن - ماذا كنت تفعل هنا ؟

فرنسيس - (مضطربا) لقد كنت هنا يا سيدي دائما ...

الكابتن - أه .. أه دائما اذن .. هيا استدع روجيه والمرأة ...

[يخرج فرنسيس]

الكابتن - (مثارا) سوف نرى ، سوف نرى ، ان امتيازاتهم فارغة . كلهم سواء ، كلهم .. ماذا كنت تقول ؟ النموذج ؟ ماذا في ذلك ؟ هل ستشعرنا اشرطته بالخجل ؟ رجل ممتاز ، ولكن ما هو السبب ؟ ما هو السبب ؟ اليس لانه اكثر قسوة ؟ اكثر ميلا للقتل ، اكثر حظا من النجاة؟ ان ثقافتنا لا تقنيهم شيئا .. ولكن .. ولكن ربما اودت بهم وجردتهم من هذه البدائية الجامحة التي هي عنوان جدارتهم .. دعنا نرى ابن حمود في مواجهة التعذيب ... سوف يتلاوى ، وتكبح عواطفه، ويسقط، متهاكلا (يمد اصبعه في وجه الملازم) مثل الآخرين ، تماما ... [يخبط الباب] نعم .. ادخل حالا، حالا .

(يدلف من الباب الخارجي بيير ومن خلفه روجيه ، جارا خلفه على مهل ، فتاة عربية ذات وجه طفولي رقيق، ابرز ما فيها عيناها السوداوان الكبيران ، يطلقها روجيه بعد ان يقودها الى منتصف المسرح ، تحاول ان تسحب الى الزاوية فيردها روجيه ، وعندما تكرر ذلك بصورة غير ارادية يحيطها بيير من جانب وروجيه من جانب ، تلتفت مذعورة الى الخلف والى الجانبين ، ثم تستسلم وتتكس برأسها)

الكابتن - هل هي ؟

روجيه - نعم يا سيدي .. انها هي ..

الكابتن - ألم تحاول النطق بشيء ؟

روجيه - كلا يا سيدي ...

الكابتن - (يتقدم صوبها) اينها الابنة اللطيفة ... نحن لا نريد ايداعك وصدقيني، لن يمك واحد بسوء .. افهميني، جيدا ، سوف نقابلين حالا ابن حمود (ترتجف الفتاة برغم ارادتها) نعم ابن حمود انه لا يريد ان يتفوه بشيء ، سوف تقربين منه وتلامسينه تماما .. وبعد ذلك سوف يقص علينا شيئا ما (تخفي وجهها بين يديها) نحن ندرى مدى تعلقه بك ... كوني لطيفة الان وسوف ينتهي كل شيء سريعا ... هيا، رفعي وجهك ، الا تودين رؤية ابن حمود ؟ ابن حمود كما هو ؟

الفتاة - (تهز رأسها يمنة ويسرة ثم في كل اتجاه)

الكابتن - ماذا ؟ لا تريدان ؟

جاك - الا تريدان ان تري ابن حمود ؟ اخاك البطل ..

الفتاة - (تدور على نفسها وتصبح الان في مواجهة الجمهور)

جاك - (ينهب الى جنبها) سوف تجعلينه يقول شيئا .. هه ..

الفتاة (تهمهم باصوات غير مفهومة)

جاك - (يقترب منها) يا صديقتي الصغيرة ، قد لا يكون مرآه لطيفا، ولكن ، ولكن ستخففين عنه ..

الفتاة - (تحاول الافلات منه فتصطدم بروجيه الذي يمسك ذراعيها باقل ما يمكنه من الشدة)

جاك - (بلاحقها) سوف نجعله يتكلم يا صغرتي ، رويدا ، رويدا ، (يلتفت الى فرنسيس الواقف قرب الباب الخارجي) اخرج .. اخرج .. اخرج .. كما هو ...

(بيسر وفرنسيس يفتحان باب غرفة التعذيب ، ويغيبان قليلا ، ثم يعودان حاملين ابن حمود حملا من تحت ابطيه ، يتقدم الكابتن فيسوق الفتاة من حيث هي ويرميها فجأة في وجه الاسير)
الفتاة - (تتسمر لحظة ، ثم تقفز بحركة مفاجئة ، وتحوط رأس الاسير بغراعيها ، وتروح تمسح على شعره ، وتتفحص وجهه المتعب ثم تفتش عينيه المطبقتين)

ابن حمود - (وهو في غيبوبة) .. لن اقول...ل .. لن اقول...ل
الفتاة - (تعانق الاسير ، وتلمسه حيثما تقع شفتاها على وجهه وهي تخرج اصواتا غير واضحة)

ابن حمود - (منتهيا شيئا فشيئا) .. ا...ه .. نسيمه ..
الكابتن - ابعدا الان !

(يدفع فرنسيس الفتاة عينا ، فيتقدم جاك ويخلص ذراعيها)
جاك - اهديني يا بنية ! (يسوقها بعيدا ، ويطلقها ، فتحاول الاندفاع الى الاسير من جديد) اه ، ولكن اهديني ! (يصفعها فجأة بقوة على وجهها) يحسن بك ان تفعلين...

ابن حمود - (صارخا بصوت ما يزال واهنا من التعب) كلا ، ايها الملازم ، ايها الملازم ..

جاك - (يمشي اليه) ابن حمود .. انك وجها لوجه مع اعنى جلاديك ، ابن حمود ، سوف تنزع الي ان اكف ... (يتوقف في مواجهته ويحمل شعره بكفه ثم يشده الى اعلى) تطلع في يا ابن حمود ، جد ما اذا كنت قادرا على اثاره صغيتي .. انها هنا ، لتشرف عليك ، حتى اخر نفس..
ابن حمود - كلا ، ايها الملازم...

جاك - ماذا ؟ ماذا بالمقابل ؟

ابن حمود - (يلوي وجهه محاولا التخلص من قبضة الملازم التسي تشد رأسه) الم تر ... الم تر ..

جاك - (مثبتا راسه فترة) ماذا ؟

ابن حمود - الم تر .. (تنفجر الدموع من عينيه) انها بكاء ...
بكاء .. (يختنق صوته)

جاك - مذ عطلت لسانها يا ابن حمود ... مرة ..

ابن حمود - ... اطلقوها .. اطلقوها !!

جاك - كيف ، الا يشوقك ان ترى ضحيتك مائلة امام اعدائك ؟ كيف .. هل اطلقتها انت ؟ افعل الان (يطلق شعره) من هو اكثر قسوة يا ابن حمود ؟ جلاذو فرقة المظلات ... ام فلاحوك .. ام انت ؟ ..
ابن حمود - لماذا ، لماذا ؟ جربوا في ، في انا ؟ لماذا الصغيرة ؟

جاك - اتريد ان تلعب اذن ...

ابن حمود - اختاه ... نسيمه ، تشجعي ..

نسيمه - (تهز رأسها في ايمان)

ابن حمود - سوف تلتمعين يا اختاه ...

نسيمه - (تهز رأسها باصرار)

ابن حمود - اني اصدقك ، نسيمه ، لم اعد احسن ... لقد هتكوا مواطن الالم .. نسيمه غفرانك .. اشيجي بوجهك .. تسمعي الي ، نسيمه ان مصير الالاف من مواطنيك معلق على كلمة منك ، لا تصرخي من اجلي ، اختاه ...

(يقفز جاك صوبه ، ويلطمه بجمع كفه على وجهه ، مرة اثر مرة اثر مرة)

جاك - تشجعي اختاه ، سوف تخوضين الى الشجاعة بحرا من الالم ،

اختاه .. (يرفسه في بطنه ، فتخرج من الضحية صرخة ملانة وتنهار الفتاة فجأة على ركبتيها) تشجعي ابنتها الصغيرة ، لم تري بعد ما نخبيء لك ، لن تتكلم ؟ ابن حمود !.. ابن حمود وفر على الصغيرة لدعة اخرى واخرى واخرى ...

ابن حمود - (من بين اسنانه المشدودة) نسيمه ، لا تتعلمي يا اختاه ..
جاك - اسحبوه الى الداخل

(فرنسيس وروجيه وبيير يجرون الضحية الى داخل غرفة التعذيب)
الكابتن - سوف اتهمده ، ابق البكاء على مقربة (يلحق بهم)
جاك - (يذهب الى الباب الخارجي ، ويعود بجنديين) احملا هذه (الى الفتاة) واجملاها تنظر الى الداخل (يصرخ) يا كابتن ...

الكابتن - (من الداخل) ماذا ؟

جاك - ارجوك يا كابتن ، واحدة ، واحدة ..

الكابتن - (مفهقا) دع اذنك تلتقطها ، جرب هذه ... هيا .. (ترتفع انات الضحية متلاحقة ، مكتومة ، منفجرة ، تنظفيء احيانا قبل ان تبلغ المسرح ، وترتفع احيانا اخرى ، الجنديان يشدان الفتاة عند باب الغرفة المفتوح ويقسرانها على التطلع صوب الداخل)
جاك - انك تسرع يا كابتن .. اليس هذا وخز الابر ؟ ..

الكابتن - كيف ، كيف ...

جاك - (يروح ويجيء في الغرفة) امسك عليه حساسيته ، يا كابتن انك تسرع ، اجعله يتصاعد قليلا ... قليلا ...

الكابتن - هيا ، ايها الملازم ، انك تفيظني ..
(الفتاة تحاول التملص عينا ، فتشرع هي في الصراخ بدورها مرغمة ، تلوي رأسها ، فيشدنها الجندي من شعرها ويرغمها على تثبيت وجهها في اتجاه الداخل)

جاك - اه الملقاط ، ولكن لماذا ؟ انك تنتش لحمه يا كابتن ...

الفتاة - (صارخة في جنون)

جاك - اسرع الان ، يا كابتن ..

الكابتن - تمهل ، اننا نجرده ..

جاك - اه .. انك تورثني الخجل ...

الكابتن - (ضاحكا) لن تجد فيه هذه الصغيرة شيئا جديدا ، فقد افرغا من بطن واحد ، والان ، اتود ايها الملازم ان نبدأ من اعلى ام من اسفل ...

جاك - (يلوح بغراعه) اشرح للصغيرة ...

الكابتن - ايها الملازم ، الا ترى اني لا اريد القيام بالمهمتين معا ؟
جاك - حسنا ، سوف افعل بنفسي (يقترب من الفتاة ويهمس في اذنها ، تتأوى الصغيرة مع كل كلمة) .. والان اعيدوها كرة اخرى ، سوف نبدأ بالتيار فيما بين الاصابع ووراء الاذنين ، ثم يسقط التيار قليلا ... قليلا .. استميتك العنبر يا صغيتي ، ان ابن حمود صيد ثمين ، سوف نرغمه بالتاكيد ، انتبهني يا صغيتي (الى الجنديين) ارفعا رأسها ايها الفيان ... سترين فوق ما تطيق عيناك الحلوتان اللذيتان ، امسحا دموعها ايها الخبيثان ، اجعلا سواد العينين براقا ، مصفى . وبعد .. يا صغيتي ، سوف نمر معدته بالماء المجمع من فضلات الاستعمال ، يا صغيتي ، مهلا ...

(تسقط الفتاة بين ذراعي الجنديين مثلأشية)

جاك - وفره الان يا كابتن ... لقد تلاشت الصغيرة (يجر الجنديان الفتاة الى مقعد يسنده الملازم الى المكتب ، ويحطان جسدها المهمل عليه)

انعشها ايها الفبي ، هيا ...

(يعود الكاتبن ، ومن خلفه روجيه ، وبيير وفرنسيس)

الكابتن - (يعالج الفتاة بزجاجة صغيرة في يده يمررها تحت انفها ، فستيقظ تدريجيا) انتبهى يا صغيري ، ما .. ما هذا ؟ سوف نعالجك مرارا اذن ... ولكن لماذا ؟

(يظهر ابن حمود ، عند الباب ، عازيا الا من سرواله التحتسي ، مترنحا ، مجنونا من الالم ، يستند بيديه جميعا على طرف الجدار ، ثم يتقدم ، متهاويا ، بحيث تلوح للنظارة في الصفوف الامامية مواضع النتنش في جسده محمره ملتهية ، تبصره الفتاة دون الجميع المحيطين بها الفاقلين عن الاسير ، تمد ذراعيها المرتجفتين في حركة عفوية متضرعة ، وفي اللحظة التي نفشل فيها بالنهوض ، يسقط ابن حمود عند قدميها ، ويلفهما بذراعيه)

ابن حمود - نسيمة... نسيمة... نسيمة... ..

(يفاجأ الجلادون ، فيمسكون عن الحراك فترة ، حتى تخمد حركه الضحية عند قدمي اخته ، تنحني هذه فوق راس اخيها ، ثم تسقط جسدها بحركة بانسة جنبه ، وتقر رأسه بذراعيها ، كأنما نحول بسين الجلادين وبينه ..)

جاك - (متنبها وفي سخرية جافة) اي مشهد ..؟

الكابتن - (يهز رأسه) تلك الصبية .. تلك الصبية ...

جاك - (يرفسهما برجله) ثبته على العارضة ، ولتنتظر برهة ..

(ينفذ روجيه وبيير وفرنسيس اوامر الملازم ، فيسحبون الاسير الى داخل غرفة التعذيب)

جاك - (يرفع الفتاة الى المقعد ثانياة) ايها الصغيرة ...

نسيمة - (تسد اذنيها بكفيها)

هل قرأت

ديواني الشاعرتين الكبيرتين

نازك الملائكة وفدوى طوقان ؟

قرارة الموجة

وجدتها

اطلبهما من

دار الآداب

جاك - ابتها الصغيرة .. مري ابن حمود ان يفعل شيئا ...

نسيمة (بخفيء رأسها في صدرها) ..

جاك - (في صوت متعجب) ابتها الصغيرة اني اندرك ..

نسيمة - (تقفز فجأة ، وتروح نلطمه بذراعيها وكفيها على صدره ، وهي تقول وتخرج اصواتا منغممة غير مفهومة)

جاك - حسنا ... افرغي غضبك يا صغيرتي ... هيا ..

(تتوقف يانسة عن الحرب ، وتنطلع بعينين زائفتين ، ملتهيتين الى الكاتبن حينما والى الملازم حينما اخر ، ثم تسقط عند قدمي الملازم وتوميء له في حركات متضرعة)

جاك - كلا .. كلا .. كلا يا صغيرتي ، ان كلماتك لا تعبر جدر الفولاذ اني محصن ضد الشفقة ، اتردين يا صغيرتي ، كان لي قلب ذهبي .. مفطور على الشفقة .. ولكنه (بفروغ اصابعه) كما ترين ... فر يا صغيرتي ، فر !..

الكابتن - (يشيخ بوجهه) دعها ، من اجل المسيح .. جاك

جاك - (غير متنبه) ابدأ الآن ، ان صوبين عريين يصدران معا ... واحد من تحت قدمك ، وواحد من تحت قدمي .. يهزان الجدر الكريمة الفليضة ، يسقطان الشفقة في صدري من جديد ، يعيدان الي هذا القلب الغار ... (يدور الآلات ، والانات المذبذبة في الداخل) . هكذا اجرف الفضب من صدره يا روجيه ، دعه يصمد كما يصمد الفلاحون ... اجعله ينفجر غيظا ضد القتل (يصرخ) ... ابن حمود ، اين هي نماذجك الباسلة ، الا تفوقك الصغيرة بأسا وتمردا ؟ ابن حمود سوف نجعلها تواجه الرعب بعد قليل ، ولكنك صامد ايها الفتى ، شامخ كجبال بلادك ، لقد انحت لهم الوقت كيما ينسفوا خططك فلم تعد نافعا لنا ، ابن حمود يجب ان تسقط ... يجب ان تسقط (في لهجسة هستيرية) يجب ان تسقط ... (هامسا لنفسه ، مصر على اسنانه) كيما يسقط عنا العار يا ابن حمود ..

الكابتن - (يصرخ) توقف ، حالا (يهرع الى الباب) انك تقتلته ايها الفبي ..

جاك - (يتملص من ذراعي الفتاة) ماذا ؟

(يقب الكاتبن في غرفة التعذيب ، ثم يعود بعد فترة)

جاك - (ملحا) ماذا ؟ ..

الكابتن - (لنفسه) ادري ، ادري هذا الشيء ..

جاك - يا كابتن ؟

الكابتن - (يلتفت) جاك ! لتتوقف ..

جاك - اي شيء هذا ..

الكابتن - انه لا يقاوم ..

جاك - واذن ؟

الكابتن - يترك نفسه للموت ، الا تلاحظ شيئا ؟

جاك - نعمي ...

الكابتن - (محتدا) اعني .. ولكنه لا يعاند ، ولا يكبح نفسه ، انه يستدعي الموت .. لقد غشى وجهه اليأس ، جاك اتراهم يستطيعون استدعاء الموت هكذا ؟

جاك - هراء ، انها خدعة !

الكابتن - انظر اليه ، لماذا لا نفعل ؟

جاك - ولكن كيف ، ونحن لما نبدأ ؟ ..

الكابتن - بسببها .. (يشير الى الفتاة) ولكن ..

بفرق المسرح في ظلام كامل ، وينطفئ كل شيء ... المشهد والاشخاص والاصوات. تمضي الدقائق ثقيلة، والمسرح مظلم ، ثم تعود الانوار ، فتكشف جوانب المسرح بصورة متدرجة ويلوح شبح الكابتن متوسدا ذراعيه خلف الطاولة كأنه غارق في السبات ، عندما يكتمل النور يفتح باب غرفة التعذيب ، ويتسلسل منه الملائم ، يتقدم الى منتصف المسرح منتفضا بين لحظة واخرى كأنما يطرح عن جسده عبئا حقيقيا ولكنه غير منظور [

الكابتن - (دون ان يرفع راسه) اين نحن من النهار ؟
جاك - ان ؟ ربما في العصر ، كلا . [يكف فجأة كمن خطرت له سائحة]

الكابتن - لماذا انا متعب اذن ؟

جاك - هل انت متعب ؟

الكابتن - فليلا .. فليلا جدا .. ولكنه عميق ..

جاك - من ؟

الكابتن - التعب ، كأنما هو مخدر ...

(فترة)

الكابتن - ما رأيك في شيء من الخمر ؟

جاك - الخمر .. نعم .. هنا ؟

الكابتن - ما الفرق ؟ في مكان اخر

جاك - هل تعني ...

الكابتن - نعم .. نعم .. يجب ان نذهب (في نغمة خاصة) من هنا ..

جاك - (تكتسحه انتفاضات متتالية ، سريعة) لنمش ...

الكابتن - (دون ان يتحرك) لنمش ...

(فترة)

صدر حديثا

الحندسة العنيفة

رواية

بقلم الدكتور سهيل ادريس

قصة اسرة تسجل صراع جيلين في لبنان

دار الاداب - بيروت

جاك - ليس في وسعنا التراجع يا كابتن ، وكذلك ليس من حقنا ان نختار ... ابن حمود فائد في هذه الثورة ... ان فرنسا تريد ، فرنسا وليس انت او انا ... يجب ان تستخدم الصغيرة الان تحت ابصاره [فترة صمت ثقيلة]

الكابتن - ان ذلك جديد علي ، جديد ...

جاك - اترهبه ؟ ..

الكابتن - ليس الانوعا ، صنفا ، ادري ، ولكني مأخوذ ببعض الشيء ..

تري استحق فضيلة الوطنية كل هذا ... كل هذا ..

جاك - كل هذا العار ؟ ..

الكابتن - نعم .

جاك - في رأيي ، اننا لا نضع الفضائل في مرتبتها مواجهة ، او مداورة .. في رأيي ان فرنسا يجب ان تنتصر ... لمصلحة من ؟ ربما كان ذلك لمصاحبة الحضارة ، ربما لمصاحبة كل الفضائل العظيمة التي انضجتها اوربا خلال القرون ، ربما كان هذا زائفا .. النصر ... النصر انها الكابتن ... هو الحقيقة الوحيدة ..

الكابتن - (مقفما) اي نصر ؟

جاك - لا تستمع اليه .. يجب ان يصمت هذا الصوت في داخلنا ...

مؤقتا على الاقل ...

الكابتن - وما نفع هذه الاشكال الخارجية اذن ؟ قل لي ما نفعها ؟

جاك - (بهز كتفه) وما بدرني ؟ في مثل هذه اللحظات بخيل الي ان كل شيء حقيقي لم بعد كذلك .. ان الاصطلاحات غير مجدية في مواجهة الموت ، اننا نؤكد وجودنا ، يجب ان تستمر فرنسا ، سواء اكان ذلك وهي ممتلئة حصانا خشبيا ، او مزنة بحزام الكهنة ! ان العالم كله بحاجة اليها ، من اجل فنوننا ، من اجل عهنا ، من اجل خفتنا ، من اجل موقعنا في اوربا ، لست ادري .

الكابتن - (في نبرة موحجة) اية وسيلة ؟

جاك - (ساخرا) الوسيلة ؟ لماذا يكون الموت اشرف من التعذيب ، وبخاصة اذا وفرت الحياة في النهاية .. قل يا كابتن .. ماذا يهم ؟ ان تستمر الحياة او ان تسقط في حماة اصطلاحاتنا السخيفة ، ماذا سوف يصيب الصغيرة ، ربما تروع ... ولكن الجرح سيلتئم .. قد يهدمها العار .. ولكنها تستمر برغمه ... وربما انبثق العزاء من خلال الندبة الميتة .. ليس اكثر من اطلاق بعض الاغشية فلماذا نهول الفعل ؟ (فترة) لماذا تقاوم يا كابتن ؟ ان كلمات عادية يطرحها ابن حمود وهي تشبه ملايين الكلمات التي تطرح عبثا خارج الفم - قد توفر عشرات ، مئات بل عشرات الالوف من الارواح الحقيقية ، شيئا من الشجاعة يا كابتن ليس اكثر ...

الكابتن - (متخلصا) ليكن ، ليكن ! (صارخا فجأة) ليكن ...

اعدوا الذبيحة .

[ينطلق جاك الى الداخل ، وتجري الحوادث فيما بعد في صمت كامل ، يسوق روجيه وفرنسيس الفتاة الى داخل غرفة التعذيب ويتبعهما بير صامتا ، الكابتن يروح ويجيء في الغرفة متمللا ، يخفق الارض بحذائه ، تجرب القعود وراء طاولته ، ثم ينفجر في حركات عصبية طائشة وهود يردد في صوت مخنوق هذه الكلمات « ما هذا .. ما هذا ؟ .. اي شيء هذا ؟ » . تضعف انوار المسرح تدريجيا ، وبوصد باب غرفة التعذيب ، ولا يبقى الا الكابتن على المسرح ، تنبثق صرخة حادة مفاجئة من الداخل ، وتسقط العتمة مع الثواني حتى

ان انقر عليه الساعة هل تراهني ايها الملازم ؟ فسوف يرجع الصدى ...
كما ترجع مفارة صدى صوتي ... صوتي انا (يفرع صدره بكلنا
قبضتيه) .. القفص الصخري .. اسمع ... اليك الصدى نفسه ...
لقد ماتت شجاعة القلب وفضائله في عيني انا .. انا ... انا .

الملازم - (متضرعا) يا كابتن .. ارجوك ، يا كابتن ..
الكابتن - دعني ، دعني ، سوف اوغل فيه قدرتي ، آتني انا، تفوقي
... سوف اميته ، اميته ، اميته حتى النهاية .. كيف يجوز ان يخجل
الله امامي ؟ ما معنى ان يستمر انسان ، بدون شجاعة ، بدون نذالة
بدون فرح ، بدون امل ، ما معنى ان تقتله ويستمر ؟ ما معنى ان تتحرك
خيالات ، اشكال مرتدة فوق ارض حقيقية ... (يصرخ) ايها الملازم ...
انها بالنسبة لي ارض البشر الحقيقيين ، لا يمكنني ان اعيش جنب رجل
مقتول ، متحرك ، جنب رجل مسروق كل ما يملك في داخله من معنى،
جنب رجل باقى باجهزته فقط ...

(يندفع الى الداخل ، وهو يصرخ في وحشية .. وبوصد الباب
خلفه)

الملازم - (مسمرا) اي شيء هذا ؟ رجل باجهزة ... (يخط رأسه) اني
ماخوذ بشيء ما .. هل هذا حقيقي ؟ آه .. آه .. رجل باجهزة فقط،
رجل باجهزة .. (يدور في الغرفة ، متلويًا ، متهدما ، ويسقط ستر
الفصل الثاني ، والصخب يرتفع اكثر من داخل غرفة التعذيب)

مصطفى الحلاج

اللاذقية

- التتمة في العدد القادم -

صدر حديثا

ديوان الموسم

ساق على الدانوب

(شعر)

للشاعر هلال ناجي

الكابتن - يجب ان نعد تقريراً للكولونيل ..
جاءك - انتظن ؟
الكابتن - نعم
جاءك - يا كابتن
الكابتن - (يرفع رأسه) ايها ...
جاءك - ... الصغيرة
الكابتن - حسنا ، انها الصغيرة اذن ...
جاءك - انها الصغيرة (مترددا) لقد شهقت ..
الكابتن - فوراً !
جاءك - فوراً ...
(فتره)
جاءك - ... لقد راقبها بعينين مفتوحتين ، لقد مضغ جزءاً من شفته.
الكابتن - وبعد ؟ ..
جاءك - لقد استدعت الموت .. خيل الي .. خيل الي ..
الكابتن - نعم ما هو ؟
جاءك - ان شيئاً ما قد طق في صدرها ..
الكابتن - ربما انفجر قلبها ..
جاءك - قلبها ... كلا .. فوق .. لم تخرج الا شهقة واحدة ..
لقد ماتت حنجرتها اولاً ، ان جسدها ما يزال ساخناً ..
الكابتن - (ينهض) لنمش من هنا (ينقل خطوته في اتجاه الباب)
ولكن (يعود)
جاءك - الى اين ؟!
الكابتن - (يتوقف فجأة عند باب غرفة التعذيب) .. الظل الكريه
ايها الملازم ... ولكن ما اريد ان افعله يحرقنا .. الا تذكر .. الا
تذكر كلماتك !!
جاءك - دعه يا كابتن .. ربما كان ناقصاً
الكابتن - (ساخراً) وماذا عن الظل ؟
جاءك - (محتجاً في لهجة متعبة) يا كابتن ...
الكابتن - (بنفس اللهجة الساخرة) الظل ايها الملازم ... آه ...
انتظر .. شيء اخر ، الشفقة ايها الملازم ، يلزمك قلبك الفارء ... من
اجل متعة المساء على الاقل ايها الملازم ، نحن نزحف في اتجاه النصر
.. الديدان تزحف ايضاً ايها الملازم ، ها..ها..ها.. الديدان .. ماذا
عن الحصان الخشبي (يصرخ فجأة) لقد انتهى دور ابن حمود ايها
الملازم .. انه لم يعد شيئاً ، لم يعد رجلاً ... هل انت سامع ...
عندما تصير الله ، يكون من حقل حينئذ ... حينئذ فقط ان تجعله
يستمر مفرغاً كأنه مثقوب (يعلو هياجه) لقد افرغته ايها الملازم ... اطرحه
اذن الى الديدان ... اريد ان تعرف اشياء مبتكرة عن الرجل ...
التفسخ والتنانة والانسلخ في غمرة الحركة المهمة العمياء للحياة ...
تسل به اذن ! دع آلتك تظمعه ، عينان فقط ، متحركتان ، شفتان
متقلستان ، ارجل مهمة تستطيع ان تجري في اي اتجاه ، ولكنه لا اتجاه
له ، قلب مطاطي ، ايها الملازم ... ايها الملازم .. ان الله خجل من
نفسه في مواجهتنا ، الا ترى كيف تتعري الحياة ، الحياة التي يكرس
نفسه لدفنها منذ الاف السنين ، فتصبح تراجمًا ، ما هو ... ما هو
(يحملك في الاشياء من حوله مستغرباً مستحيلاً) شيء من الاشياء ...
لقد طق صدرها ... ولكن صدره هو ... قفص صخري ، من خلفه
!القلب والرئتان .. اي قلب ! انه لا يريد ان يكف من اجلنا ، يمكنني

بقية الحسن

اسم المغني حسن :

فتى نحيل شاحب قوامه ممطوط ..
لكن جذوة في عينه تحببه
تعرفه بأسرها كل قرى اسيوط ..
وكلما تطوف عندها ليالي الانس
يدعوه داعي القوم للطرب ..
وحين يشرب المساء حفنة الضياء
يرى فتى في شاله الموشى بالقصب
يخطو كنسمة المساء ..

اتى حسن :

شهرين كان رهن الفرش والسقم ..
لكنه برغم ماعليه من هزال
جاء محبا وابتسم ...
وبعدما ابتدا وردد الليال ،
ارتجل الموالم عن فتى رقيق الحال
صياد غزلان يهيم في الجبال ..
ذات صباح جثا امامه غزال
ينزف منه جرحه السيل
فشق ثوبه وشد جرحه داواه
ونحو بيته دعاه
غذاه من حنانه سقاه ..
.. ويذكر الموالم ،
ان الفتى الصياد صاده الغزال ..
.. كان الربيع مشرفا على الحياه
فجن في هواه ..!

قال حسن :

تعاهدا على الكمال ،
تساقيا كأس الوداد والوصال ..
ماجمل الوفاء لو يدوم !! ..
كان المغني يستوي على المجال
بنبرة تثير صبوة الخيال
وتفتح الكوى على الخدور ..
.. قال : وممر حول بعد حول
قال : ودارت الايام والليال ..
وفجأة سكت
كان روحه في صوته انتهت !
عادت اليه علتة
فلم يفقه بغير كلمة اعتذار
قد طير الكرى وطار ...

بقية الموالم

رددها لنفسه الفتى النحيل
وهو يमित في كفيه وردة حمراء
القت بها عذراء من شباكه عليه ...
خان حبيبه الغزال ،
مشى وراء عاشق اغراه بالال
زف اليه من شهرين ..

المبتلون يحملون سرهم ياليل
ويسهرون وحدهم ياليل
فارفق بهم ياليل !!

كامل ايوب

القاهرة

العمارة تاج العرب!

بقلم غالي شكري

ورغم ان المجتمع شيء موضوعي تماما ، الا ان انعكاس قيمه ومثله وتطوره ، على وحدة اجتماعية صغيرة - اسرة مثلا - هو ما يستهدفه الفنان الصادق ، اذا اراد ان يعرض مفهومه الخاص عن الحياة . ومن هنا قيمة التجربة الذاتية حين تصبح تجسيدا واعيا ، لكافة الظروف المحيطة بالواقع النابعة منه ، والذي هو بدوره نتاج طبيعي للواقع الاشمل ... اي المجتمع الانساني بآسره .

و « الخندق العميق » هو حي في لبنان اختلف الناس في تبرير تسميته - وفيه تسكن اسرة يعمل رب البيت فيها بالتجارة . ولذا كانت « ندوة البساط » الشهيرة للمشايخ ، من اقدس واجباته ، لتزداد تجارته عمرانا ، ثم لكونه هو ايضا ... شيخا - شيخا يمثل جيلا كاملا ، تبلورت في جيبته وعمامته كافة القيم والمثل التي كانت - فيها مضى - افرازا حتميا لمرحلة تاريخية سابقة ، والتي تحاول ان تكون « تنويجا » لكافة القيم الانسانية ، بان تعترض كل ما يحاوله الجيل الجديد من خطوات جديدة .

والجيل الجديد اذن ، هو ابناء الشيخ ، الذين نشأوا في احضان الاسرة حقا ، ولكنهم عاشوا - في نفس الوقت - خلخلة في القيم الجامدة التي يتشبث بها عامل الاسرة ، والتي هي تعبير عن خلخلة النظام الاجتماعي القديم ، الذي تكون في ظروف مرحلة تاريخية مضت . والقصة هي تصوير الصراع بين هذين الجيلين ، لينتهي بانتصار هاسم للجيل الجديد الناشئ ، وقيمه ، ومثله .

✱

وهكذا نمش في بداية جولتنا مع الفنان على « الحدث الروائي » الذي تنمو به الاحداث نموا حيا متطورا ، من شأنه ان يساعد على خلق بناء درامي متكامل . وهذا ما انتقدته عند سهيل ادريس في روايته « الحي اللاتيني » . فقد خلت من نقطة الانطلاق هذه . اعني « الحدث الروائي Novel-action » رغم تراحمها بالاحداث Events وهذا ما

حال بينها وبين تكامل البناء الدرامي على النحو الفني الصحيح .

اما في « الخندق العميق » فاننا نرافق هذا الحدث منذ تأبطنا الفنان في رحلة الصبي الصغير « سامي » الذي تجسدت فيه الام جيل واحلامه ، هزائمه وانتصاراته ... منذ كان يصير على الجلوس بين المشايخ وهم يرتلون الذكر ، لياكل « على راحته » ، وليدندن بصوته الجميل الذي ينوب بين اصواتهم العالية الخشنة فلا يبدو ما في كلامه من اخطاء .

كانت الظروف المحيطة بـ « سامي » كلها ، تهيئه لان يصبح شيخا . واريد ان اقف عند هذه النقطة ، لاننا كثيرا ما نهمل التأمل في الاحداث الواقعية التي ربما كانت رموزا لواقع اكثر عمقا .

فانني ارى - مثلا - ان الشيخ « ابا سامي » الذي يمثل جيلا كاملا ،

تطور القصة العربية ، لا يمضي في خط مواز لتطور الفن الروائي على الصعيد العالمي . ذلك ان تاريخنا وثقافتنا ، لا يتناسبان طرديا مع التاريخ الاوروبي او الامريكي ، وثقافتهم ..

غاية ما يمكن ان نفيده من الادب الاجنبية ، هو ان نضع ايدينا على نواميس تطورها ، وقوانين تقدم المجتمعات التي عبرت عنها . والرواية العربية الحديثة حلقة جديدة في سلسلة طويلة من الاشكال الفنية المتباينة ، التي صورت تاريخنا على مدى العصور . سواء فیس هذا التاريخ على نحو « طولي » ، ام سبرت اغواره في لحظة زمنية قصيرة .

وقد تحررت القصة الاوروبية من عبء التاريخ منذ بداية هذا القرن . اي اننا لا نلحظ في الخمسين عاما الماضية ، ميلا غالبا عند الكتاب الاوروبيين لكتابة الرواية التاريخية . في الوقت الذي كان فيه ادباؤنا يولون تاريخنا جل عنايتهم ، احساسا صادقا منهم ، بان هذا التاريخ يجب ان يخلد في قوالب مرنة تختلف عن كتب التاريخ . وتعبيرا مخلصا عن ازمنا التاريخية في لنصف قرن الاخير ، حين لم نجد الا في ماضينا امجادا يعتد بها ، وتجسيدا لفرغ وجداننا من رابطة روحية وثيقة بارضنا الاجتماعية، حيث اغمضت عيوننا عدة ظروف مريرة قاسية ، عن ان ترى في وجودنا الانساني الراهن خامة غنية لادبنا . ومن ثم اصبح المفهوم السائد للرواية التاريخية هو ان نبحت في بطون الكتب عن حادثة شيقة ، او فضيحة مثيرة ، او نيا غريب . فحين قلت ان اوربا تخلصت من التاريخ فصدت انها القت بذلك المفهوم التقليدي وراء ظهرها ، واخذت تنسج اياتها الفنية من حاضرها ومشكلاتها المعاصرة . غير ان هذا لا يعد سبقا فنيا ، الا اذا عدناه سبقا تاريخيا زمنيا .

وقد تقلصت محاولات الادب العربي الحديث في اجترار حوادث التاريخ القديم ، اي انها بدأت تتحرر من المعنى الكلاسي للرواية التاريخية . وبدأت في نفس الوقت عنايتها بتاريخنا الحديث .. اما بتصوير مراحل تطوره عبر الزمن ، واما بالتعبير عن قطاعات عريضة وجوانب معمقة ، في مجرى زمني قصير .

على اية حال ، اذا اردنا ان نميز بين الفنان الذي يؤرخ لمجتمعه احدى مراحل تاريخه ، والفنان الذي يقتصر في تعبيره عن المجتمع على لحظته الخضرارية الموقوتة ، بموقف انساني خاص ... يجب ان نعي ان ادبنا في حاجة ماسة الى كليهما معا ..

وفي الادب العربي الحديث ، محاولات ناجحة من كلا الجانبين . واحدى هذه المحاولات هي رواية « الخندق العميق » للدكتور سهيل ادريس .. قدمها نموذجا جديدا للفن الذي يؤرخ مراحل التطور الاجتماعي في قطاع بشري خاص .

يريد ان تتجسد كافة القيم والفكرات التي يعبر عنها ، بان يصبح ابنه - اي الجيل الذي يليه - امتدادا جامدا لنفس القيم والمثلثات بمعنى ان الجيل القديم يحصن مستقبله ، بان يستودع مثالياته قلوب الجيل السابق ، وانما يبقى « شكلا » حديثا لمضمون « الجيل القديم » . ومن هنا « ينشب الامس اظافره في يومنا نحن » (١) وليست عملية «التحصين المستقبلي» هذه ، الا دفاعا واعيا عن بقاء النظام الاجتماعي والاقتصادي الذي افرز الشيخ « ابا سامي » وجيته ، وديامته . وقد كانت مقومات النظام ودعائمه في خدمة هذا الدفاع . فحين دخل « سامي » المعهد الديني ، وليس الحجة والعمامة - فاصبح تعبيراً مؤقتاً عن سلطة الجيل القديم - فانه ذات يوم ص ٣٩ « وكان لم يتجاوز الزقاق المؤدي الى بيتهم حين رآته جارة لهم ، كانوا يدخلون حديثها ، هو ورفاقه ، كلما عطشوا ، فيشربون من انبوب يصب في برميل هناك . وكانت الجارة واقفة على الباب الخارجي حين مر بها ، فاذا هي تطلق صرخة استغراب صغيرة ، ولكنها ، ما تلبث ان تقول :

- اسم الله عليك يا سامي! لقد اصبحت شيخا ؟ انظروا : ان نور الجنة مسطر على جبينه !

فابتسم ، ولم يلتفت اليها . وحين ابتعد قليلا ، وضع يده على جبينه ، يتحسس هذا النور »

اما قريبه الثرى ، حين سمعه يرتل القرآن ، فقد اهداه ، قلما مذهبا ثميناً . وهكذا ، فالظروف جميعها تدفع الطفل الى ادخال جسمه في الحجة ، ورأسه في العمامة .

ولا شك ان هذه الظروف جميعها التي اوردها الفنان « رمزية » بمعنى انها تعبير فقط عن الظروف الموضوعية الكبيرة المحيطة بالجيل كله . وما « الطفل » نفسه ، وجيته وديامته ، الا رموز « صغيرة » .

ولكن هذه الظروف ليست « متجانسة » ، وانما تحتوي في صميمها على « تناقضات » خفية . تبدو اول الامر ، وكأنها « ظواهر » طارئة ، ولكن تفاعل الاحداث يوميء باهمية هذه الظواهر ، وخطورتها في المستقبل . واذا عدنا الى الشيخ سامي ، يوم ان امره رئيس المعهد - هو وزملاؤه - بحلاقة رؤوسهم وارخاء ذقونهم ، فاننا نكتشف ان اثنين فقط ، اطاعا الامر ، بينما عصى الجميع امر رئيسهم بشأن حلاقة الرأس . وان كل بعضهم قد ارخى ذقنه ... الا ان سامي - وشعر ذقنه لم يظهر في وجهه الطفل بعد - اخذ عقابه مضاعفا ، وتساءل ص ٣٧ « لماذا نال كل زميل من زملائه عصا واحدة ، وهو عصوين ؟ وهل يكون الذنب ذنبه ، اذا لم تظهر ذقنه بعد . ثم تأخذه الثورة فجأة ، فيتحسس موضع الضربة من رأسه ، ولا تهدأ نفسه قليلا الا بعد ان يشتم لحية الرئيس). واذا توغلنا الى مضمون الحجة والعمامة ، فانا نزداد وعيا بهذه الظواهر المتناقضة . فدرس « الحديث » ص ٤٤ « كان يقذفهم في حيرة وتململ شديدين . ذلك ان المدرس ابلفهم اول الامر ان هناك ما يزيد على ثلثمائة الف حديث منسوبة الى النبي وهي زائفة ، وانه لن يدرسهم الا الاحاديث الصحيحة ، ولكنه مع ذلك كان ياتيهم كثيرا بما يشبه الخرافات على انها من صحيح الحديث ، وكان يشرحها لهم شرحا غريبا ، لا يطمنون اليه ، ولا يشقون به . وقد شك احد الطلاب يوما بحديث اورده لهم هذا المدرس الشيخ،وعبر عن شكه امامه، فاذا به يقضب ويثور، ثم يروي لهم، ان رجلا شك في حديث ينوي يقول (اذ قام احدكم من النوم فليغسل يده ، فانه لا يدري اين باتت يده) ، واضاف المدرس ، ان هذا

(١) محيي الدين محمد - الاداب - يوليو ١٩٥٩

الرجل الذي شك بهذا الحديث سخر من مضمونه واخذ يتساءل : (اين يمكن ان تبث يدي ؟ انها الى جانبي!) . قال الاستاذ الشيخ : وحين نهض الرجل في اليوم التالي ، وجد يده داخله حتى المرفق في استه .. واضطر الطبيب الى قطع يده ! وعلق مدرس الحديث على ذلك بقوله : فلا تشكو يا ابنائي باقوال الرسول ... »

وقد برع المؤلف في التوفيق بين « تناقض » هذه الاظهار ، والنتيجة الحتمية - المتناقضة - لهذا التكوين النفسي والاجتماعي .

فالشيخ سامي ، يؤدي الفرائض الدينية في اوقاتها . ولا ينسى ان يزور السينما مع رفاقه الذين يتمادون في غيهم حين ينحرفون الى زقاق معتم مجاور للسينما ، لا يعرف هو تماما : ماذا يوجد او يحدث هناك (ص ٥٤)

واذا كان المضمون الانساني لاعمالنا اليومية يفرض شكله المناسب ، فان الحجة والعمامة لا مكان لهما في السينما (ص ٥٣) . والصلاة والصوم لا يمنعهن من «الكذب» عند اللزوم . فاذا سألوه ابوهم الى اين هو ذاهب، كان الجواب انه مدعو الى سهرة مع زملائه لتلاوة القرآن .

هذه التناقضات الثانوية الصغيرة التي اسهمت في بناء الصبي ، كانت في تفتح دائم الحدة والوضوح . الاب في البيت يحدثه بلهجة جافة ص ٧٨ :

- انني امنك على كل حال من مجادلتي .. لقد اصبحت وقحا بالفعل !

نفس الكلمات التي سمعها من رئيس المعهد .. وهكذا فالبيت والمعهد ، كلاهما في وفاق ... اي ان رسالتهما واحدة : تجسيد القيم الهرمة ، بكظم اية انطلاقا من الصدور الجديدة النامية .

ولكن هذا كله ، لا يسد على الانطلاقة الوافدة طريقها ، اذ سرعان ما يجيب سامي (ص ٧٨) :

- لا .. لست بالوقح .. كل ما هنالك انني اخالفك بالرأي ! ومن هذا الموقف يتضح الصراع جليا واضحا ، فبعدما كانت تناقض الحياة والمجتمع تصطرع بين اضلع سامي في خفوت هاس ، اصبحت مضطرا ، لان يفصح عن حقيقة ما يثور بداخله .. هذا الذي اوشك على ان يبدو معركة سافرة بين جيلين .

وقد كان « الحب » هو الثقاب الذي اشعل المعركة . ذلك الحب الذي يلتهب في وقدة الكبت والحرمان ... فاذا هو تعبير عن « نار الجنس » التي اخفت لهبها جذران التقاليد ، دون ان تطفئها .

والجيل الذي مثله « سامي » واخوته ، هو جيل « ضحية » . فالعواطف البشرية لا تنمو في وجدانه صحيحة صادقة ، لانها لا تجد ظروفها نقيية طبيعية تسمح بالنمو الطبيعي غير المنحرف . فسامي لم « يصادق » سميا ، لم يقربها قريبا حقيقيا ... ونما « ابنة الجيران » التي فوجيء جسده بقربها . واذا العاطفة النامية بينهما هي تحرق الجسد الظاهري الى الجنس ، وليست تحرق العقل التواق الى المعرفة الحميمة ، بالصدق الآخر .

والقيم المعبأة في العمامة ، تحول دون هذا الحب ... و « سميا » تقولها صريحة مخلصة (ص ٧١) :

- ارجوك ... لا تذهب معي ... انت شيخ اما ابوه ، فقد احس زلزالا يخلع اساس البيت حين سمع الخبر ، ومن ثم يزجره بعنف (ص ٧٧) :

- بلى ! انه لا يليق بك ، انت الشيخ ابن الشيخ ، ان تتبادل الرسائل

حتى تشرق الشمس

« الى الشاعر احمد عبد المعطي حجازي »

كالضوء في اجفان مغوار
ونشيد جزار ،
مانفعه . . . ورياح موعدنا
تجشو هناك . . . وراء اسوار
عرجاء باكية
كالنجم في افق من العار
في قلب احجار
ما نفعه وانا
اتشرب الساعات والصمتا ،
اتشرب الموتى ،
ارنو لاطماري . . .
مانفعه . . .
والشمس لم تشرق على داري ؟ . . .

حسن النجمي

قطر

هي بضع ساعات
- ملعونة كالدم - ساعات -
سود كماءة
وتطل من خلف القصور كئيبه
صفرا كفاتنتي
كعظام اموات . . .
فأهدأ هنا
في صدري العاري
ياايها الضاري
أهدأ هنا . . . في صدري العاري
ستظل باردة كمقبرة ،
كرهاد اجنحتي
وتجف اطماري . .
آه لنا

مانفعه هذا الهوى المشبوب كالنار

ارضا ، بكل ما ملكت قواه ، ثم لا يكتفي بذلك ، بل ينحني فيأخذها
عن الارض ، ويحل المندبل عن الطربوش بسرعة فائقة ، ويحاول ان يمزق
المندبل بيديه ، فيمزجه ذلك ، فاذا هو يتناولها بين اسنانه ويعمل
فيه تمزيقا وتقطيعا ، وقد احمرت عيناه ، وانبعث منهما شرر حيواني
غريب . . .

وهذه فمة الصراع الحادة في الحدث الدرامي . . ورغم ان « الرمز »
يلعب هنا دورا كبيرا ، فانه لا يتعالى فوق المستوى الادراكي للغاري .
وازمة اللقاء الحاسم بين النقيضين ، تولد دائما تلك الشرارة الجديدة ،
التي نصهر الشكل الاجتماعي للتجربة الانسانية . فبينما ينتصر النقيض
الجديد النامي ، نكتشف نقيضا جديدا - في نفس اللحظة - يتولد على
الخط الرئيسي للحدث ، وتتوالد نقائص ثانوية صغيرة . . . وينمدد
الصراع من جديد .

وحين خلع سامي عمامته ، فانه كان على وعي تام ، بان القيم الفكرية
التي يتضمنها نسيج العمامة ، لم تعد بقادرة على ان تسير المجتمع
الجديد البازغ . فقول ابيه «العمامة تاج العرب» هي كلمات صادقة في
نعبيرها عن مرحلة متخلفة من تاريخ العرب .

ونقطة التحول في حياة هذه الاسرة ، هي انعكاس امين لنقطة التحول
التي اجتازها المجتمع العربي في لبنان ، بعد الحرب العالمية الاخيرة .
وآثار هذه المرحلة العصيبة على الاسرة رمز الى آثارها على طبقة
اجتماعية معينة في القطاع العربي ، بصفة عامة ، ورغم ان دخلها يتقلص
شعرا بعد شهر ، الا ان ربهما « يرفض ان يعترف بان عهد الرخاء قد

أنغرامية مع ابنة الجيران !

وناظر المعهد الديني ايضا ، نه رأي في القصة (ص ٩٨) :

- ان الطلاب هنا للدراسة ، لحفظ القرآن والحديث والفقه ، لا للخفة
والطيش والحب !

ولكن سامي لم يعد ذلك « الفر » الذي ينهكه الصراع الداخلي المر ،
دون ان يملك « بوصلة » موجهة لهذا الصراع . فهو يدرس للغة
الفرنسية ، ويقول لحبيبتة انه « شيخ مودرن » ص ٧٤ ، ويتحدى اياه
صارخا (ص ٧٧) :

- ان الله لم يخلق المشايخ بلا قلوب !

وينكب على الدراسة المدنية في المنزل ، ثم ينال « البكالوريا » . . .
وتتبلور معالمة الابيجابية حين ينزع الجبة والعمامة !!
فاذا اعلنت وجه ابيه سمات الجزع والمفاجأة ، قابله في شجاعة
ص ١١٩ :

- ان هذا امر لا يعنيك !!

فيكون نصيبه صفتان لاهتان ، وتروى لنا الابنة «هدى » ان اباها
امسك بعمه ابنه ص ١٢٢ « . . وحاول ان يضعها على رأس سامي كرها
وقسرا . وكان وجه اخي قد احتقن بالدم من اثر الصفتين ، ومن غضب
وحشي كان قد استبد برأسه لحظة ، ولكن هاتين اليدين الكبيرتين الضخمتين
تقلبان على امره ، ثم ترتفعان بصفتين اخريين اعنف واقسى . . واذا
ذاك سمعنا صرخة توجع واستنكار تند من فم سامي ، ورأيناه يتراجع الى
خلف ، ثم يتناول العمة التي كانت قد استقرت على راسه ، ويقذف بها

زال ، وانه يوشك ان يؤول الى الفقر . ان الله يرزق ، ما دام هذا البساط يعقب دائما ليلة ذكر فيها اسم الله كثيرا » ص ١٢٥
اما «سميا» فقد نزلت الى القاهرة ، حيث تزوجت ابن عمها ص ١٢٠ « ودخلت المجتمع الارستقراطي ، واصبح لها فيه مركز مرموق » - وحين يلتقي بسامي - بعد سنوات ثلاث - تقول له « تذكرتك ، وانا اقرا اسمك في احدى الصحف في برنامج اذاعة اليوم ، فقلت لا بد ان اراك . انك على الاقل صديق قديم » .

ولا تقتله المفاجأة ، وانما تزود فراغه العاطفي بطاقة ضخمة من العمل والكد ، والمثابرة ، انه يعبر مرة اخرى - عن هذا الجيل « الضحية » الذي تمزقت حناياه تحت وطأة الفصل الحاد ، او النقلة التاريخية من المجتمع المنتفخ الملق ، الى مجتمع الرشد .

ولا تلبث هذه الايجابية الرائعة ، ان تتجسد في العلاقة الجديدة بين رفيق - زميل سامي - وهدى . فقد تحول سامي ، ذلك الشيخ المغم ، الى شاب يعي في عمق ، مدى ما يعتلج في صدر شقيقته نحو صديقه « رفيق » ، ومن ثم يقف حائلا بين اظافر الجيل القديم متمثلا في سلطان الاب ، وبين مستقبل هذه العاطفة الوليدة . وهكذا يفسح لهما فرصة التجاوب الصادق الحر ، حتى يتأكد من عاطفتهما ، ويبدأ في ثقة واخلاص ، بناء عش الاحلام . حتى اذا اعتاقت سبيلهما العوائق ، كانا على موعد جاد مع الزحف السريع الى الغد الافضل .

وكان لا بد من هذه المواقف ، فالاب - والاب دائما - يقف سدا منيعا في وجه هذا الغد حين يقول ص ١٤٦ « ... ولهذا فقد قررت ان تنقضي عن المدرسة التي تعلمك الفساد ، وأنا امتنع منذ اليوم عن ارتياد هذه المدرسة ، ولن ادفع لك الاقساط بعد الان »

ولكن الجيل الصاعد لن يقف ... لن يتردد سامي في ان يقول : « انك تستطيع الا تدفع الاقساط .. ولكني اؤكد لك انها لن تنقطع عن المدرسة » . لقد افلت الزمام نهائيا من مركز القيادة ، ولا بد ان تحدث «الخلخلة» التاريخية ، بين تداعي الاساس القديم ، وقيام البناء الجديد . وبسدت هذه الخلخلة واضحة ، عندما اهتزت المعايير الاخلاقية في الاسرة ، فالاب الشيخ يعادي سامي وهدى ، لانه « ليس هناك من صالح الا فوزي ، رضى الله عنه ... انه على الاقل يساعدني في الانفاق على البيت ، ويتحمل نصيبه من المصروف » ص ١٥٦ . بينما هو الابن الصالح ، قال اشياء كثيرة اثناء نومه ، الليلة الماضية ، وكان فمه يفوح برائحة الخمر ... قال ص ١٥٨ « اسمعي يا حبيبتي ... انت امرأة داعرة ... جانيبت خير منك .. انها ترفض رقصا رائعا .. وجسدها حار ... وعفاف خير منك ، انها اكبر داعرة في الدنيا .. هاتي شفتيك اينها ... لا .. اسمعي .. اعطيني الكأس ... خذه ! هذه عشر ليرات .. ساعطيك كثيرا غيرها ...! اغلقي الان فمك .»

وبدا هذا الاختلال ايضا في العلاقات بين افراد العائلة . فقد صاح سامي بامه يقول ص ٨٠ « دعوني وشأني ... فانه لا علاقة لاحد باموري الخاصة » ... وفوزي اجابها مرة أخرى ص ١٥٧ « ان هذه امور لا تعنيك ... وخير لك ان تعودى الى مكانك الطبيعي : المطبخ ! » . والاب الشيخ نفسه ، حين اعلن زواجه الثاني ، اخذ يهددها بقبضة يده ، وهو يكر على اسنانه قائلا ١٦٧ « ان لك ان تخرسي .. لقد قلت لك انه لا دخل للاولاد .. لا دخل للاولاد بذلك !! ان هذه قضية تعنيني ... تعنيني وحدي » .. فهذه الفردية الحاسمة التي تفشت بين الجميع فجأة هي المظهر الانحلالي للأسرة ... او الانفصال الروحي بين افرادها ..

وهو الانفصال التاريخي بين جيلين ، تأثرت بهزته الاسس البنائية للمجتمع الجديد . اذ كان لا بد لهذه الوحدة ان تنفصم لتستعيد صياغتها على نحو مغاير للمجتمع القديم .

وعندما تقف هدى عند باب قاعة الامتحان ، يصافحها سامي بحرارة قائلا ص ١٧٩ « لا تراجعى يا هدى .. انك بحاجة الى ان تنظري امامك جليا واضحا ... وينبغي الا تكون على عينيك غشاوة » . وفهمت سريعا ما كان يرمي اليه ، فمدت يدها ، ونزعت عن راسها ووجهها الحجاب ، ثم سلمته اياه .. فتناولته على مهل ، واخذ يطويه ، ثم نظر اليها مبتسما وقال : اتعرفين عماتي ؟ ... انه يذكرني بها !

وسقطت القاعة الاخيرة ... ورفع رب البيت يده الى السماء مستنجدا ص ١٧٧ « اللهم غفرانك ورحمتك .. انني اعوذ بك من هذا الجيل ، وابرا من هذه الاسرة الفاسدة » .

ويبدو ان السماء ، فهمت دعاءه بشكل مختلف ، فما لبث ان اصيب بالشلل ومات . بينما خطبت هدى الى حبيبها رفيق ، وتوجه سامي شطر باريس ليكمل دراسته . وانشد الجيل المتوئب اغنية النصر ، فليس موت الشيخ ، الا جنازة حقيقية شيعت بها قيما ادت دورها ومضت .



وليس شك ان الدكتور سهيل ادريس ، قدم لنا عرضا فنيا دقيقا لعملية « المخاض » الاجتماعية ، التي عاناها ابناء جيله .. وقد استفل تجربته الذاتية استفلا موضوعيا .. بمعنى انه كان يرى الاحداث النابعة من دائرته الخاصة بعدسة موضوعية . ومن ثم رأينا شخوصه جميعا من خلال ذواتهم الحقيقية ، لا من وراء نظارته الشخصية ، وربما جاء التركيز الدقيق في عرض التجربة ، نتيجة طبيعية لابرار المحتوى الانساني للقصة ، دون اللجوء الى هوائش الحدث الروائي . ومن هنا بسرزت العلاقة الطبيعية بين الشخوص في جو سيكولوجي ناجح ، وتناسقت الابعاد الزمانية والمكانية لدرجة اوحى - على الدوام - بصديق التصوير وطبيعة السيرة الدرامى للحوادث . وقد صور المحتوى الفكرى للرواية - منذ البدء - اطاره العام ، فاذا طريقة العرض والتناول لا تعتمد اسلوبا هلاميا ضبابيا في تغليف المواقف الانسانية .. وانما غلفت بلفة سليمة واضحة .

غير أن هذا البنيان الناجح قد تأثر - وتصدع - حين عزل الكاتب البناء الاقتصادي والاجتماعي للأسرة ، عن « الفرشة » الاجتماعية الاقتصادية ، للمجتمع اللبناني . ولذا لم احس في حي «الخندق الفميق» والجيل ، والمعهد الديني ، وبيوت الاصدقاء ، بالرائحة المميزة لهذا المجتمع . ذلك ان المؤلف فد اهل همزات الوصل الحية بين طبقات المجتمع ، واغفل - بالتالي - ما بينها من تشابك عضوي ، لا ريب انه قائم بالفعل ، خلال الحركة الدينامية في داخل هذا المجتمع .

ولست اطلب من سهيل ادريس موقفا فلسفيا خاصا في نظره للحياة . لانه - لا شك - صاحب موقف ما ، سيطر على عمله الفني بوعي او دون وعي . وربما كان هذا الموقف - او المنهج - هو السبب في عزله عن الواقع الانساني المحيط به . فلاحداث الاولوية في القصة وقعت في الفترة ما بين الحربين .. وهي فترة خصبة مليئة بالتغيرات الجسام ، التي كان لها انعكاس واضح على المنطقة العربية . ولكننا لم نشهد لهذا الانعكاس اية اثار على الارض الاجتماعية في البناء الروائي « للخندق الفميق » . وهكذا بدت بعض المواقف الانسانية باردة من حرارة التلوين التاريخي للتجربة . فعندما اراد القصاص ان يؤرخ لمرحلة معينة في

مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني

بيروت شارع سوريا ص.ب. ٣١٧٦ تلفون ٢٧٩٨٣

ناتج العلامة ابن خلدون

يسر دار الكتاب اللبناني ان ترف البشرية الهامة الى
جميع وزارات التربية والتعليم وجميع المؤسسات
الثقافية في البلدان العربية :

انها تعلن عن قرب انتهاء طبع الموسوعة الكبرى
للعلامة ابن خلدون ، وقد انتهت الان من طبع المجلد
السادس ، وقريبا جدا ينتهي طبع المجلد السابع .
ان دارنا اذ تلقت انظار جميع هذه المؤسسات وجميع
الادباء والعلماء في الاقطار العربية ان ثمن المجموعة الان
مئة وعشر ليرات لبنانية تحت من يهمله امر اقتناء هذه
الموسوعة على الاسراع بحجز مجموعته ، اما عن طريق
الناشر رأسا او بواسطة المكتبات الكبرى في العالم
العربي ، مع العلم بان ثمن المجموعة الكاملة سوف يصبح
عند انتهاء الطبع ، اي بعد مضي ثلاثة اشهر مئتين
وعشرين ليرة لبنانية .

هذا وقد صدر حتى الان ثلاثون جزءا ، ولم يبق الا
ثلاثة اجزاء فقط ، ونلفت نظركم ايضا الى الفهارس
العلمية الهامة والى ان النسخ محدودة .
فبادروا الى اقتناء نسخكم .

الرواية ، اكتفى بان يحيطنا علما بان الحرب العالمية الثانية كانت قد
اعلنت منذ ثلاثة ايام (ص ٩٤) وتأت ذلك احداث كثيرة ، لم تنعكس
انوارها على الاسرة الا في اضيق نطاق . وقد تخلف عن هذا المنهج غير
المتكامل ان تعرض التصوير الموضوعي لخيوط التجربة ، لعدة اهتزازات .
فالتحرر الذي اصاب سامي ينظر به في وساطته بين رفيق وهدى الى
حدود غير معقولة . ثم ان التجسيد الفكري لبعض الشخص - كرفيق
مثلا - لم يكن واضحا ، حتى يمكننا ان نقنع بسلوكهم الخاص ، وربما
كان ذلك نتيجة طبيعية لمنهج المؤلف في التحليل النفسي . حيث انه لم
ير في التشريح السيكلوجي من خلال التفاعل الدرامي ، منهجا سليما
في تسليط الضوء على شخوصه من الداخل والخارج . ومن ثم بدا بعضهم
باهتا تكاد ملامحه لا تبين .

وعندما اراد المؤلف ان ينفذ بفارئه الى موقف ما ، وارتأى ان الراوي
بضمير الغائب لن يتمكن من هذا النفاذ . اسند دفة الرواية الى لسان
« هدى » لانها اقرب الشخوص الى تبيان ذلك الموقف .

واعتقد ان الكتاب الاوروبيين ، والذين كانوا يتهجون في كتابة رواياتهم
هذا النهج ، بان يروى القصة القصيرة الطويلة ، اكثر من شخصية في
العمل الفني ... اعتقد ان الامر عندهم لم يكن مجرد « تغيير وجوه » في
طريقة تناول الحدث . وانما كانت الضرورة الفنية ، هي التي تحدد
ذلك الشكل ، بما يتناسب مع المحتوى الانساني للعمل الفني . ولم ار
في « الخنادق العميقة » ما يبرر هذه الوسيلة ، بل انها في بعض الاحيان
تحولت الى « عائق » سيكلوجي عند المتلقي .

✱

غير ان كل ما يعترض طريقنا من عوائق ، ذاب تماما في حرارة النبضات
القوية التي خفقت بها صدور سامي وهدى ورفيق . والقراء ايضا ، لان
انتصار هؤلاء الثلاثة ، لم يكن انتصارا شخصيا ، وانما كان انتصارا
موضوعيا لجيل كامل .

هذا الجيل الذي عبر عنه - بغير وعي - تعبيرا سليما ، احد شيوخ
المعهد الديني ، حين اقبل اليوم الذي سيرتدي فيه سامي ، الجبة
والعمامة ص ٢٩ « وتقدم بخطي ثقيلة نحو الخياط الذي وجد له جيبته
بسرعة ، فالبسه اياها ، ولكنه لم يقل له ، كما قال للذين سبقوه « مبروك
يا مولانا » بل قال له « اسم الله عليك » فابتسم له بسداحة ، وتقدم
من مدرس التفسير وبسط له طربوشه ، فاخذ يلف عليه العمامة .
ولكنه لم يكذب يفرغ من لفها ، حتى انفرطت بين يديه ، فتأفف قليلا ، وعاد
الى ادارتها على الطربوش من جديد . غير انها ما لبثت ان انفرطت مرة
اخرى لسبب لم يفهمه هو ، ولم يفهمه المدرس الذي التفت اليه ، وقال
له بهدوء :

- انت منحوس ... ستكون شيخا منحوسا .

فلم يدرك كيف يكون الشيخ المنحوس ، ولم يهتم كثيرا بهذا القول ، فقد
كان نافذ الصبر يود ان يفرغ المدرس من لف العمامة «
ولو رأى مدرس التفسير « سامي » هذه الايام ، لضحك كثيرا وهو
يرى رأسه عاريا ، فقد صدقت نظريته ، و « نحس الولد » .. ولكن
هذه الضحكة ستموت ، حين يرى في وجه سامي شيئا يقول : كلا ..
ان العمامة ليست تاج العرب ... وانما هو التطور ... تاج العرب ..
والبشر جميعا .

غالي شكري

القاهرة

حتى تشرق الشمس

« الى الشاعر احمد عبد المعطي حجازي »

كالضوء في اجفان مغوار
ونشيد جزار ،
مانفعه . . . ورياح موعدنا
تجشو هناك . . . وراء اسوار
عرجاء باكية
كالنجم في افق من العار
في قلب احجار
ما نفعه وانا
اتشرب الساعات والصمتا ،
اتشرب الموتى ،
ارنو لاطماري . . .
مانفعه . . .
والشمس لم تشرق على داري ؟ . . .

حسن النجمي

قطر

هي بضع ساعات
- ملعونة كالدم - ساعات -
سود كماءة
وتطل من خلف القصور كئيبه
صفرا كفاتنتي
كعظام اموات . . .
فأهدأ هنا
في صدري العاري
ياايها الضاري
أهدأ هنا . . . في صدري العاري
ستظل باردة كمقبرة ،
كرهاد اجنحتي
وتجف اطماري . .
آه لنا
مانفعه هذا الهوى المشبوب كالنار

ارضا ، بكل ما ملكت قواه ، ثم لا يكتفي بذلك ، بل ينحني فيأخذها
عن الارض ، ويحل المندبل عن الطربوش بسرعة فائقة ، ويحاول ان يمزق
المندبل بيديه ، فيمزجه ذلك ، فاذا هو يتناول بين اسنانه ويعمل
فيه تمزيقا وتقطيعا ، وقد احمرت عيناه ، وانبعث منهما شرر حيواني
غريب » .

وهذه فمة الصراع الحادة في الحدث الدرامي . . ورغم ان « الرمز »
يلعب هنا دورا كبيرا ، فانه لا يتعالى فوق المستوى الادراكي للغاريء .
وازمة اللقاء الحاسم بين النقيضين ، تولد دائما تلك الشرارة الجديدة ،
التي نصهر الشكل الاجتماعي للتجربة الانسانية . فبينما ينتصر النقيض
الجديد النامي ، نكتشف نقيضا جديدا - في نفس اللحظة - يتولد على
الخط الرئيسي للحدث ، وتتوالد نقائص ثانوية صغيرة . . . وينمدد
الصراع من جديد .

وحين خلع سامي عمامته ، فانه كان على وعي تام ، بان القيم الفكرية
التي يتضمنها نسيج العمامة ، لم تعد بقادرة على ان تسير المجتمع
الجديد البازغ . فقول ابيه «العمامة تاج العرب» هي كلمات صادقة في
نعبيرها عن مرحلة متخلقة من تاريخ العرب .

ونقطة التحول في حياة هذه الاسرة ، هي انعكاس امين لنقطة التحول
التي اجتازها المجتمع العربي في لبنان ، بعد الحرب العالمية الاخيرة .
وآثار هذه المرحلة العصيبة على الاسرة رمز الى آثارها على طبقة
اجتماعية معينة في القطاع العربي ، بصفة عامة ، ورغم ان دخلها يتقلص
شعرا بعد شهر ، الا ان ربهما « يرفض ان يعترف بان عهد الرخاء قد

أنفامية مع ابنة الجيران !
وناظر المعهد الديني ايضا ، نه رأي في القصة (ص ٩٨) :
- ان الطلاب هنا للدراسة ، لحفظ القرآن والحديث والفقه ، لا للخفة
والطيش والحب !
ولكن سامي لم يعد ذلك « الفر » الذي ينهكه الصراع الداخلي المر ،
دون ان يملك « بوصلة » موجهة لهذا الصراع . فهو يدرس للغة
الفرنسية ، ويقول لحبيبتة انه « شيخ مودرن » ص ٧٤ ، ويتحدى اياه
صارخا (ص ٧٧) :
- ان الله لم يخلق المشايخ بلا قلوب !
وينكب على الدراسة المدنية في المنزل ، ثم ينال « البكالوريا » . . .
وتتبلور معالاه الايجابية حين ينزع الجبة والعمامة !!
فاذا اعلنت وجه ابيه سمات الجزع والمفاجأة ، قابله في شجاعة
ص ١١٩ :

- ان هذا امر لا يعنيك !!
فيكون نصيبه صفتان لاهتان ، وتروى لنا الابنة «هدى » ان اباها
امسك بعمة ابنه ص ١٢٢ « . . . وحاول ان يضعها على رأس سامي كرها
وقسرا . وكان وجه اخي قد احتقن بالدم من اثر الصفتين ، ومن غضب
وحشي كان قد استبد برأسه لحظة ، ولكن هاتين اليدين الكبيرتين الضخمتين
تقلبان على امره ، ثم ترتفعان بصفتين اخريين اعنف واقسى . . واذا
ذاك سمعنا صرخة توجع واستنكار تند من فم سامي ، ورأيناه يتراجع الى
خلف ، ثم يتناول العمة التي كانت قد استقرت على راسه ، ويقذف بها

على ارجوحة النجوى تلاقى الليل والوتر
جناحين من الشوق
تمنى الشعر لونهما
وحار العطر بينهما
وغاصا في جراحتي
اكانت غصة الشكوى سوى ما تتمم القدر
نشيدا غائما المعنى
غريب اللفظ والمبنى
على الاوهام ينساب
ويغفو بين آهاتي؟

* * *

سألت الليل عن احلامي الندياء فاضطربا
الم انثر ذوائها على شطآنه ذهبيا
الم اطلق لوافحها على غدرانها لهبا
لم يضحك لها الزهر
الم يرقص لها النهر
الم يتناقل الفجر
اهازيجي وانساني؟

* * *

ليعف الحب عما فات من غيبي ومن ذنبني
انا اطعمته قلبي انا وسدته هدي
معاذ الوجد انكره
اذا ما انساب في دربي
عيون الله تخفّره
واغسله بدمعائي

* * *

طريقي شائك بالنار والاعصار سيّجته
ولم اشفق على جفني وقلبي حين ضرّجته
طريقي نيط بالازل
ومد يديه للأبد
انا بالشعر ارجّجته
وشدت عليه مأساتي

زكي قنصل

الارجنتين

مأساة

...*

...*

وداد قصة

بقلم فتحي بك

زوج اختها رفعت بك وهو قادر على حل هذه المشكلة التي لا شك سيلوص فيها رغم بساطتها كل معارف ابي وزملائه « اللي على قد حالهم » . ولم ير ابي حكمة في ان يعارضها ... ويقول لها ان توفر مجهودها ... لانه يعرف مقدما ان رفعت بك لن يحرك ساكنا كعادته ... وخاصة اذا كانت المشكلة تتعلق بأخي حسين فان لرفعت بك ابنا في مثل سنه ... ولكنه لم يفلح في الدراسة .. بل انحرف وضل السبيل ..

ورأيت ابي تلك الليلة ينظر الى سقف الحجرة في سهوم بعد ان انهى حديثه مع امي وهو يكثر من تنهاته المبثلة بدموع ذكريات الطريق الشاق الذي قاد فيه أسرته بلا عون من مال او صديق او قريب ... الا حماسه الذي يتفجر من ينابيع اعماقه نحو ابنائه ... ووظيفة بسيطة تعجز كل نظريات علم الاقتصاد على ان تجعل مرتبه منها يسد النفقات الطائلة لاربعة ابناء ... يريد ان يعلمهم جميعا احسن تعليم ... ليكونوا احسن الخلق ... وليجنبهم ما عاناه هو من اضطهاد الوظيفة الصغيرة واصفادها الجائرة .

ماذا كان يقرأ في سقف الحجرة تلك الليلة الا الخاتمة السعيدة لقصة صراع طويل .. قصة تحد وحرب مع اهل زوجته ... وخاصة رفعت بك؟ فقد كان رفعت بك هو النجم التلالي في سماء عائلتنا ... ولا عجب ان يخطف نوره البراق ابصار الاقارب جميعا ... فقد كان موظفا كبيرا بوزارة المعارف .. وكان ابي يلجأ اليه احيانا مضطرا ليساعده في مشكلة ما من مشاكلنا الكثيرة .

وكانت اخر مشكلة لجأ فيها اليه عندما التحق اخي بكلياً لهندسة .. فذهب اليه ابي كي يساعده ليحصل اخي على المجانية . في ذلك ليوم عاد ابي ثائرا يلعن ... وسر غضبه ونقمته ان رفعت بك لم يدع رغبته في مساعدته فقط .. بل نظر اليه في تعال يقرب حد الاحتقار وقال له :

- أنا من رأيي يا عبد الحق انك تشوف له شغله ... اهو على الاقل يساعدك في تربية اخوانه . ومتأخذنيش في دي الكلمة ... انت حنكفيهم من اين ... ومن ناحية ثانية الشهادات الجامعية اليومين دول مبالغهاش قيمة ...

ولكن ابي اصر على ان يمضي في طريقه الشاق . كان يحرم نفسه من كل شيء كي لا يشمت لانهزامه رفعت بك المتجرف . ومنذ تلك الليلة وامي تنظر الى ابنها البكري الذي ذقت في تربيته المر نظرة فحمة وقد اصبح في نظرها عظيماً .. نعم فقد كان حسين من دوننا صعب العلاج عنيدا ... مسرفا في طلباته ... يأخذ ما يريد

واقتربنا اخيرا من الميدان . لم يكن الطريق طويلا ولكننا تعبنا . كنا نحس اننا نكتب بخطواتنا القصيرة البخيلة فقرات حزينة من قصة لم تمر بحياة اسرتنا الصغيرة من قبل .

وكانت قلوبنا ترتشف قطرات من اسي طفيف ... كانت تزداد وتنهمر كلما اقتربنا خطوة اخرى من الميدان . فقد كنا ذاهبين لتوديع اخي .

اخيرا آن الاوان . منذ سنوات وابي المعجوز يتطلع الى مثل هذا اليوم عندما يستطيع ان يزج من فوق كاهله مسئولية واحد منا . فكم كان الحمل ثقيلا عليه .

ومنذ شهر اعلنت نتيجة امتحان اخي وحدثت المعجزة . لقد نجح حسين واصبح مهندسا . وفي ذلك اليوم جاء بعض الجيران وقد علموا بالنبا ليهنئوا امي .. وسمعت كلمات ثرثرة تتردد في البيت تفيض بالامل والتمني ... ورجاء الحظ السعيد .

وعاش بيتنا الصغير يوم اعلان النتيجة ساعات سعيدة . كم سمعت ابي يرفع يده الى السماء شاكرا لانها حققت له اجمل امل بالنسبة لابنائه .. وكم شاركته امي بنظراتها الوردية في صلاة تفيض بالامتنان لله .

وعندما اغلقت امي الباب تلك الليلة وراء آخر المهنيين من الاقارب والجيران تنفست الصعداء .. وتعجبنا عندما راينا دموعا صامتة تشرق في عينيها . ولكنها اسرعت وتداركت الموقف ومسحت دموعها ... وجلست الى ابي تبحث معه امورا تتعلق بالمستقبل ... وعرفت من لهجتها المتحمسة ان الصبر الذي طلى وجهها في السنوات الاخيرة قد افرج الان في اعماقها رغبة متقدة ... تفور وتغلي بالامنيات المشرقة لابنائها ... امنيات تمحو صدا تلك الايام التي ذقت فيها قافتها الصغيرة كثيرا من المتاعب والوان الحرمان .

كانت تنفعل بحماس وهي تحدث ابي بشأن الوظيفة التي يجب ان يشغلها ابنها المهندس وكان ابي اكثر منها اتزانا في احلامه وهو يخبرها انه سيتصل منذ القد بكل معارفه القدماء في المصلحة ... ومن بينهم منصور وعبد الرازق افندي .. وانه سيعمل كل ما يستطيع ليجد لاهي وظيفة مناسبة في القاهرة . وان ليس هناك داع لحمل الهم ... فهناك ازمة مهندسين في البلدان ... ولا بد ان سيحصل على الوظيفة المطلوبة .

اما امي فكانت ترى انه من الافضل ان تذهب هي في الصباح الى

- أيسن ؟!

ومع ذلك فان مبروك افندي رد السلام في سرعة وذهب لحاله . وفقد ابي فرصة اطلاق واحد من الذين يعرفهم عن سر فرحه الكبير وكبريائه . وظلت عيناه تمسحان المكان وتفحصان وجوه الناس بمظمة غامضة ... حتى قاربنا باب الرصيف .

بعد دقائق سيركب اخي القطار ... وسنظل نحن واقفين على رصيف المحطة ننظر اليه نظرات الوداع .

وكما توقعت لم يسألنا عامل الباب عن التذاكر .. فان لابي بقية من النفوذ ... ولو بحكم الثلاثين عاما التي افناها هنا . ثم اخذنا نشق طريقنا بين افواج التحيات العابرة التي لم تعط فرصة لابي كي يشفى غليله . وكان ينتظرنا على الرصيف بعض اصدقاء اخي . لطفي .. وعبد السميع .. ومحمود وبعض الذين كانوا يترددون على اخي في البيت دون ان اعرفهم . كم كان اصدقاءه كثيرين ، لن يجيئوا بعد الان الى بيتنا ويسهروا معه حتى قرب الفجر .. دون ان تفلح تهديدات امي الطيبة .. ولن يسببوا القلق لابي المتعب بكلامهم ومناقشاتهم وضحكاتهم القاقسة الظائمة .

واخذوا يتحدثون معه بصخب وهم معنا على الرصيف حتى اختنقت كلمات امي وهمسات امي . قالوا له الكثير . نظر اليه لطفي في محبة وزمالة وقال :

- ابقى اكبتلنا يا حسين اول ما توصل .

فلاحه محمود :

- عشان تشجعنا نكتبلك احنا كمان .

واخذوا يثرثرون ويفضحون ... وانتبهز ابي فرصة هدوتهم لحظة

صدر حديثا

نزار قباني شاعر وإنسانا

دراسة وافية بقلم

محيي الدين صبحي

الثلثون ليرتان لبنانيتين

دار الآداب - بيروت

عندما يريد حتى لو كان ذلك عسيرا على اب لاربعة ابناء يعمل موظفا بسيطا بمصلحة السكك الحديدية .

ومنذ ان اعلنت نتيجة الامتحان واسرتنا تعيش في دوامة من الافراح المختلطة بالاسى فقد ادركنا ان من المستحيل ان يجد اخي وظيفة في القاهرة ... وغاية ما كنا نحلم به ان يجد تلك الوظيفة في بلدة قريبة من القاهرة تمكنه من ان ياتي لزيارتنا ولو مرة كل شهر . ولكن حتى هذا الحلم البسيط ضاع عندما جاء اخي منذ ايام ليزف الينا والفرح يعصف به انه قد عين مهندسا في شركة للمقاولات ... وسيتمسلم وظيفته اول الشهر القادم .

ومنذ ذلك اليوم ... ونحن نعد له الترتيبات ... والمخ في عيني امي كيف يمكن ان تغلب الافراح فجأة في قلبها الى مزيج من الاسى الخجول والحيرة الهادئة .

لم يكن هناك بد من ان يغبل ابي تلك الوظيفة .. فان العرض كان مغريا . واخيرا مرت السبعة الايام الباقية على حلول الشهر الجديد سريعة هائلة بدعوات امي الساذجة للترثيث والبقاء ...

وها نحن نندفع رغم ارادتنا الى محطة السكة الحديد .. كقافلة مسلوية الارادة - تدفعها من وراء ريج عاتية نحو باب الحديد .

وكان كل منا يحمل في يده قطعة من العفش ... اخي الصغيرة كانت تحمل حقيبة صغيرة فيها بعض الكتب والاوراق ... وانا تطوعت لحمل الحقيبة الكبيرة التي كادت ان تنفجر من الملابس التي بداخلها . والتي لم نستطع ان نضع فيها البطانية الصوفية فلفناها حولها بحبل كبير . وابي المتعب كان مسرورا بحمل السلة الصغيرة التي وضعت فيها امي كل ما استطاعت ان تجهزه من زاد لعشاء اخي في القطار . فانه سيبيت الليلة فوق عجلاته ولن يصل كوم ابو قبل ست عشرة ساعة على الاقل ... كما قال ابي العليم باحوال القاطرات .

اما امي فكانت تحمل في قلبها هما مبهما كان يتجلى في كلماتها الحنون التي كانت تهمس بها في اذن اخي وهي توصيه ان يعتني بنفسه في غريته ... وان يسلك بما يرضى الله .. وان يحذر العقارب والثعابين التي سمعت ان بلاد الصعيد تحفل بها كثيرا . كان حسين في تلك اللحظة قد انقلب في نظرها الى طفلها البكري الذي حملته فوق صدرها وارضعته منذ اربعة وعشرين عاما ... ولم يكن شاربه الكث ولا ملامحه الخشنة تشفع له عندها وتطمئننا بانه قد اصبح رجلا .

وضمنا بعد لحظة سور المحطة ... واندفعت مجموعتنا الصغيرة بلا رغبة الى الداخل ... لم يكن هناك مفر من ان نواصل السير ... رغم ما كانت تحسه امي من رغبة مكتومة في العودة من حيث اتينا .

اما ابي فقد احسست وهو يسير مندفع بلا ارادة ... وراسه يرتفع الى اعلا كالمثدنة انه يدخل لأول مرة محطة باب الحديد مرفوع الرأس ... فقد امضى بين جدرانها ثلاثين عاما من عمره موظفا بسيطا .. اما الليلة فانه يدخلها في موكب نصره .. فهو ذاهب لتوديع ابنه الباشمهندس .

واحسست من خطواته المضطربة المتعثمة ونظراته الفضولية التي كان يصوبها في كل اتجاه انه يريد - لولا الملامة - ان ينادي على كل من يعرفه ليقول للجميع ان ابنه البكري قد اصبح مهندسا .

وعند باب الدخول واثت ابي الفرصة .. فقد سمعته وانا غارق في تأمل المكان يحيي احد المودعين بحرارة لا اعهدا فيه :

- اهلا يا مبروك افندي ... اتفضل ..

فقال بابتسامة واثقة نقرأها دائما على شفثيه عندما يتكلم عن شيء يعرفه جيدا :

- اعمل حسابك انك مش حتوصل قبل الساعة ١١ بكرة الصبح
اذا ربنا ستر ومحصلش حاجة تعظه في السكة ... اصل الخط من بعد
اسيوط مفرد .

وتدخل محمود مع ابي في الحديث فساله :

- وعلى كدة يوصل اسيوط الساعة كام ؟!

- والله لو مشى على الميعاد ... يوصل الساعة ٣ صباحا .

وعلفت ابي على كل هذا الخليط بدعواتها المشقة وتهدياتها المألوفة ..
وفهما الكريم لا يكف عن الدعوات .

ثم لمحت في الشباك المجاور من العربة شابا يركب مع زوجته الجميلة
والاهل يودعونها .. ولكنه كان وداعا لحسين .. وتعلقت عيني لحظة
بوجه الزوجة النضر وبسماتها التي كانت تنسع وتللا بالسعادة . يبدو
انهما عريسان ... وهي مسافرة مع زوجها الى عمله بالصعيد . وتمنيت
في تلك اللحظة لو كانت لآخي زوجة مثلها تؤنس وحدة لياليه الفارغة
التي تنتظره هناك في البلدة البعيدة المقفرة .

ثم انتهز ابي فرصة انشغال اصدقاء اخي بالحديث مع بعضهم في
مسألة ما ... فوضع في يده خلسة ورقة مالية من ذات العشرة جنيهات .
واحسست من ملامح وجه ابي الداكنة وهو يعطيه النقود انه يريد ان
يقول له الكثير . كم تعب حتى حصل ابي على هذه الجنيهات العشرة .
كم اعيتته الحيل الشريفة .. وكم لجأ الى الاصدقاء ومن بينهم عبد
الرزاق افندي واخيرا اضطر ان يقبل ذهاب ابي الى رفعت بك لتستدين
المبلغ منه بعد ان اخذ في مقابله كمياالة للسداد في وقت محدد ... وهو
يعتذر اعتذارا - قبلته المرأة الطيبة - لان كثيرين من الاقارب قد خدعوه
ولم يردوا ما اقترضوه ... فاقسم الا يعطي احدا الا بضمان .. ولا
ترضي ابي بحال ان يسقط يمينه .

كان لا بد ان ندبر المبلغ لآخي باي ثمن حتى لو كان ذلك على حساب
كرامة ابي ونظرة العائلة الينا جميعا . فان اخي لن يقبض مرتبه الا بعد
شهر . ولكن ابي لم يقل شيئا ... بل نظر اليه نظرة طويلة عميقة ...
تعب عن الكثير من تلك الكبرياء المختنقة التي كان يعانيتها . وفهم اخي ما
لم يرد ابي ان يقوله .. واجاب بنظرة شكر طويلة عميقة ... ولحمت
على تضاريس وجهة الصارم وعدا خشنا اكيدا انه سيجنب اسرتنا مثل
هذه المواقف المخرجة . سيتكفل من الشهر القادم بكل العجز الذي تعانينه
ميزانية اسرتنا الصغيرة . بل قرأت على وجهه الجاد تأكيدا حارا بانه
سيرتقي بهذه الاسرة .. وسينقلنا من الشقة البسيطة التي ضمت متاعبنا
والامنا هذه الاعوام الماضية الى شقة اخرى كبيرة تدخلها الشمس ...
فتطيب رجل اخي الريفة بلين العظام .. ويفرح فيها الصباح
بالسمات والنور .

وسرح خاطري في الماضي القريب وما حفل من متاعب مرت بها اسرتنا
منذ ان احيل ابي الى المعاش وزادت نفقات اخي بالجامعة .. ونفقاتي انا
... ومحاولات ابي اليائسة لتدبير شئون هذا العالم الصغير المثقل
بمصرفات الجامعة ... واثمان الكتب واللوحات الهندسية والملابس ...
والسهر طول الليل . ومرض ابي العضال

وتوقفت خاطري لحظة وانا اذكر مرضه الطويل الذي ارقده الفراش
عامين كاملين لم ينم فيهما ليلة واحدة من الالم المجرم . لقد اسر السى
الطبيب الذي كان يعالجه بمخاوفه من ان يكون ابي مريضا مرض الموت ..

وان لم ييس هناك فائدة ... يقول هذا بعد ان يكون قد حصل على اجرة
الكشف . وقال لي ايضا ضمن ما قال ان المرض اللثيم قد تاصل في
جسده منذ خمسة اعوام ... وانه كان من الممكن في بدايته ان ينتصر
عليه بحقنة واحدة .. ولكن ابي كعادته ... كابر وعاند الالم .. كي
يوفر قروشاً من اجلنا ..

كم كنت اسمعه يتمتم وهو يتأوه بالليل ناظرا الي وانا اعطيه الحقنة
التي تخفف الالم :

- مش عاوز اموت قبل ما اشوفكم كويسين .

وعبنا كانت كلمتنا التي تفوح برائحة الياس تطمئنه انه سيعيش .
ايام سوداء .. كنت اراها وانا اقف على رصيف المحطة صامتا كالجماد
تترى امام ناظري كشريط سينمائي لشفاء يولى ظهره منكسرا ... ارى من
خلال كآبته افراح الفجر المنتظر .

وانتهيت من خاطري المتخمة بالاحزان على نظرة متفائلة من حسين
وهو ينظر الى ابي المتعب وكأنه يطمئنه باصرار :

- لن تعود هذه الايام يا ابي .. لن تعود .

وانقضت اللحظات الباقية دون ان احس وانا غارق في صمتي
تمتصني تلك الذكريات الاكلة . كان لا بد ان تنقضي .. وان يتزغني
من اخر فقرة منها صوت جرس المحطة وهو يعلن في نغمة كئيبة قرب
قيام القطار . النذير .. لقد اوشك على الرحيل في ظلام الليل .
ورن صداه في الجو حاملا تيارا من الاحاسيس تجيش في اعماقنا ...
ويذب بقايا صور الماضي النفس من خاطري .

وكانت اختي الصغيرة اسرنا في الاستجابة لتأثير هذا النذير . فقد
سمعت صدرها يجعش ببكاء مر بعد ان احسست ان القطار على وشك
الرحيل وانه سيأخذ حسين معه في جوف الليل . انها لا تريده ان
يسافر . كان يحبها ويداعبها اكثر من اي فرد منا . انها تحس انها
ستفقد بنهاية شيئا غاليا . وحاولنا ان نسكتها ... وانشغلت ابي
بتهدئتها بعض اللحظات عن رغبتها هي ايضا في البكاء .. واخيرا قال
لها حسين :

- متعيطيش بقى يا نوسة ... انتي صغيرة واللايه ؟ .. انا حاسافر
واجيلك بعد شهر ومعاي هدية كبيرة .

اما ابي فقد شمعت ان زهوه قد تطور الى دوار ... كان مطرقة
الجرس قد هوت على راسه .. وظل صامتا ينظر الى ابنة نظرات غامضة
تفيض بالاستسلام .

واخيرا ... بكت ابي . فاض بصمتها الكيل . كانت تريد ان تنفس
عما بقلبها من جمر فلم تجد خيرا من دموعها الصريحة .. ولاول مرة
رايت اخي ينحني من شبك القطار ليطلع فوق رأسها الذي بدأ يشوبه
البياض قبله يتوج بها شقاءها المخلص معه لدى اربعة وعشرين عاما .

وفجأة دوى رنين الجرس الثاني ... كان الصدى قويا .. اكثر اصرارا
من ذي قبل . وبعد لحظة انطلقت صفارة ولكن رنينها ضل واخترق
نسيج قلبي . وتابها صوت وش البخار وهو ينصرف من محبسه
بالقاطرة . كان القاطرة كانت تنفس هي الاخرى عما باعماقها من ضغط
محتبس ... مثل صهر العواطف التي كنا نكتوي بها عندئذ .

واخذ القطار يتحرك .. كان يدا مجهولة عاتبة اخذت تشده الى
الامام رغم نظراتنا التي كانت تتشبث وتمسك باصرار يأس بوجه اخي
وهو يغيب معه في زحام المودعين .. ونحن نلوح له بايدينا ...
ونسמע من حناجرنا المجروحة كلمات وداع .. وامنيات بسلامة الوصول .

الكتاب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

بيروت

ص.ب. ٤١٢٣ - تلفون ٣٢٨٣٢

★

الإدارة

شارع سوريا - راس الخندق العميق ، بناية الاسمر

★

الاشتراكات

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : جنيهان استرلينيان

او ٥ دولارات

في اميركا : ١٠ دولارات

في الارجننتين : ١٥٠ ريالا

الاشتراكات الرسمية : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها

تدفع قيمة الاشتراك مقدما

حوالة مصرفية او بريدية

★

الاعلانات

يتفق بشأنها مع الإدارة

★

توجه المراسلات الى

مجلة الاداب ، بيروت ص.ب. ٤١٢٣

وسرنا وراء القطار نجر اذبالنا في خيبة حتى باب الرصيف . وعند
الفناء الخارجي ودعنا لطفي ومحمود وعبد السميع وذهبوا لحالهم ...
وسرت بجوار امي وابي صامتا . ولكن ابي مزق الصمت ونحن نصعد
كوبري شبرا في اتجاهنا الى المنزل وقال لي وهو يربت على كتفي
بخشونة جمعت بين الاستياء والحنان :

- شد حيلك انت كمان ... عشان تتخرج زي اخوك .

كانت كلماته تفوح برائحة الامل المرهق وهو يطلب مني ان اريحه
انا ايضا من متاعبي وان اجتهد في دراستي هذا العام ... ووجدتني
لا اعرف كيف اجيب بل ظلت انقل معه الخطى في غير تردد وانا اشعر
ان احاسيس الليلة وامنياتنا كلها قد انمقدت علي وحدي.

ودخلنا المنزل . كان ضوء الصباح الخافت في الردهة يهمس في
ملل ... المكان كله كان يبدو شاحبا تنقصه الحيوية لم اعهد
من قبل بمثل هذه الكتابة والصمت ... فكم سمعت هذه الجدران
صراخه العالي وكلماته التي كانت لا تخلو احيانا من الوقاحة عندما كان
يشتط في طلب شيء ولا تستطيع امي ان تلبيه .. اما الان ..

ودخلت حجرتي .. كانت هي الاخرى فارغة ... واحسست انني
اشم رائحته في كل قطعة من اثانها ... وانا اتجه في تداخل لاجلس على
الكتب .. كنت اراه امامي ... فكم شاركني في الماضي الجلوس هنا
ليالي طويلة .. هي سجل شبابنا المتخم باحلام ظامئة ... ثم اخذت
كلمات ابي ترن في اذني ونهيب بي ان اجتهد ورغم اننا كنا لا زلنا في
بداية العام الدراسي .. الا انني شعرت انني يجب ان اذكر .. ان انجح
هذا العام .. واحقق امية ابي .. يجب .. يجب .

وانقضى اغلب الليل . لم اعهد في نفسي حماسا مثل هذا من قبل
... كنت لا احس باللحظات وهي تمضي منطلقة بي الى القد ...
وانا غارق في دروسي .. كنت اقاوم التعب والرغبة في النوم كمن
يصارع غريما وهو يشتغل بالارادة والعزم .

واقتربت الساعة من الثالثة صباحا ... فاحسست ان قسوي
تضمحل ... فقممت من حجرتي وانا اشعر بشيء من الرضا . يجب ان
ادوم على هذا كل ليلة .. لن اذهب غدا مع صديقي احمد الى سجيننا
مترو كما وعدته .. وكما تعودنا مساء كل خميس ... ولن التحق هذا
العام بفريق التمثيل بالكلية .. ولن .. ولن .

ودخلت حجرة النوم .. وسمعت انفسهم تتردد في رتابة .. ورايت
ابتسامة تطل وجه ابي وهو غارق في النوم .. ابتسامة تنسى بانه قد
اسلم ابنه حسين لعناية الله واطمان .. اما اختي فكانت هي الاخرى
تبتسم وكأنها تحلم بالهدية التي ستاتيها بعد شهر كما وعدنا حسين
فتزهو بها على اطفال الجيران .

واذ كنت على وشك ان اصعد الى فراشي واطفيء النور ... وجدت
امي تتقلب على ظهرها ، واذا احست انني ما زلت يقظا قامت من رقتها
وسالتني وهي تفرك عينيها :

- انت لسه صاحي يا ابني ؟!

- ايوه يا ماما ..

- هي الساعة بقت كام دلوقتي ؟!

- ثلاثة وزيادة ..

- يعني تفكر وصل اسيوط ؟!

فتحي زكي

القاهرة

من فكرة رجل مضجع

- ١ / ٧ لماذا ؟
 ٢ / ٧ اما من جواب
 يبرر بطشك ؟
 ٣ / ٧ قميء وجودك .. فاخسق
 خيوط السؤال
 ٣ / ٧ لماذا ؟
 ٤ / ٧ سأهدم عرشك
 ٥ / ٧ انا عنكبوت ، ولي الف رجل
 أصيد الذباب
 أزعج للسادرين شبكي
 على كتفي جراب
 وملء جراحي سباب
 امج السباب بوجه السحاب
 مشانق للعابرين نصبت
 علكت الحديد
 وأعلك حقدتي
 ويجتر حقدتي عروقي
 ٦ / ٧ كجرذ يطارده الصبية الاشقياء
 فيقع بين المجاري
 أنا هكذا يا صديقي
 دمائي صديد
 اسير ، وملء طريقي
 حراب
 عيون السعاة كهوف عميقه
 يموت الضياء بموتي ..
 تقيأت حتى حقيقة نفسي
 ظلام طويل نهاري
 وحقدتي قباب
 ٧ / ٧ ... وعشرا ونهدي اله
 افرخ شيئاً صغيراً ضريراً
 اقول : يصير بصيراً .. كبيراً
 واشفق الا يصير
 لاني - وطن انا -
 اخاف الجحود
 ففي الطين طبع جحود
 ٨ / ٧ لحقدتي نحت القيود
 وها انذا كالرزين الوديع
 اطامن حقدتي المريرا

- اكوره في صميمي
 جبلا من الصمت - يا شفتي
 اشهدا لي -
 عقدت لاجسه في دمائي
 فحقدتي غشوم
 وحقدتي لا يستبين التخوم
 اخاف اذا ثار يوم
 وافلت ان يستقر بوجه الوجود
 ٩ / ٧ ظلام يشق بقلبي طريقه
 زؤان ولا شيء غير الزؤان
 دمائي غريقه
 هنا في بحار الهوان
 أنا من زمان
 حرائق صدري تنث الدخان
 وتذرو الرماد
 وشيء كحقدتي اسود
 يسيل ، يزيد اتقاد
 وهذا انا في طريقي
 تمزقني دهشة عاريه
 أموء
 تموت رؤاي
 ادير - غريباً هنا - نظراتي
 وشيء بلون الزؤان
 يهز دمائي
 يقى بقلبي الدجان
 ظلام كثيف يشق الي طريقه
 واستقبل الشارع المستطيل
 ١٠ / ٧ كساق عجز تموت
 انا عنكبوت
 نسجت شبكي
 تربصت فيها
 وعشرا تفوقعت بين المجاري
 وعشرا تنفست ربح الصديد
 وعشرا نحت القيود
 وعشرا كرهت نهاري ..
 .. وهذا انا من جديد
 احرر عمري البليد
 واستقبل الشارع المستطيل
 وارمي الى ما خلعت
 ١٢ / ٧ وخنته
 واشعر ان عصوراً ترامت
 علي بحبسي
 يهز الدوار دمائي
 والهث ، كلبا عدا الف ميل
 تسلفت تلا
 والهث لصا يطارده (العادلون)
 واضحك كالابله اللامبالى
 وتعصر قلبي الحقيقه
 وابصق : مات ورائي
 ومالي أمام ، لان الأمام ضير
 وما للأمام عيون
 واشهق ، هذا الهواء الجديد
 انا منذ جيل عرفته
 شممته
 تفيأت دنياه طفلاً
 وبغد الطفوله
 الفت هواء المجاري
 نسيت الوداعه
 عرفت الضواري
 حببت الظلام
 كرهت الضياء
 وهذا انا من جديد
 اجوس خلال الدروب العتيقه
 كأني وليد جديد
 تدغدغني فرحة عاتيه
 وتجرحني نسمة صافيه
 ولكن هذا الدوار اللعين
 يهز دمائي
 ١٤ / ٧ وأمشي وأمشي
 وتمتد ملء الدروب
 صحارى جليد
 واقبية من لغوب
 ١٦ / ٧ تسلفت - لي الف رجل -
 جداراً
 اتخذت حبيبته
 سلخت السنين الجميله
 افرخ شيئاً ، اكونه بمزاجي
 ازوقه ، استثير بعيني ناراً

لا حرق جذبي عليها
وهذا انا بعد عشر
اعانق ليل الضياع
فما لي شرع
سني الجميلة ماتت
اماني تذوي
شراعي تكسر بين الفجاج
وعيني زجاج
بوجه الذي قد خلقت، رأيت
واعبّر هذي الطريق ٧/١٧
ثلاثين مره
مسيحا : صليبي حديد
تقهقه في وجهي الجلجله
اعب عذابي حتى الثمالة
وتهوي يد فوق راسي
تمط شفاهي
لا كرع سؤر الحثاله
واشعر اني ذباله
تؤرجحها العاصفه
وعين مضللة واجفه
تغذ بقلب المتاه
بلا عاصم او اله
ولا مرفأ او مظله
تعزت وقالت : ٧/١٨
نحبك انت الطريد
نمد عيوننا تظلك عند الوداع
نمد قلوبنا لتلقاك حين تعود
والثم فاها
واقضم ثم شفاهها
وارشف مقله
واخنق دمه
واجثو على ركبتيها
واخذ طفلي بين يديها
وارنو الى ستة تائهين
تراموا على عتبة البيت: اعرف
اني مضاع
صفاري جياع
وتفتأ تفرع سمعي : طريد ..
طريد .
٧/٢٠ هنا ستة كل عين حكاية
هنا ستة كل ظن ينام
على حلم ان سوف يأتي الطعام
هنا ستة كل ثغر يموء :
« عليك ابانا السلام »
واعرف انهم للرغيف الوضيء
يرشون هذا السلام
صفاري جياع
اطعمهم من حناني وحيي ؟ .

٧/٢١ وخالد يا ام خالد بعد وليد
انا قد سلخت السنين اجود
بنضرة عمري الودود
لا فرش هذي الخدود
بلون الورود
لا طعم خالد والآخرين
واعرف انك نفس كريمه
ولكنني بت اخشى عليك
اذا مد ثغره
ليعصر نيعا سخيا
وكان تعود ان تمنحني غذاء
شهييا
فالغى الينايع في صدرك
البكر غاضت
ولم يلق في النهديا
اخاف ... اخاف
اذا خال نهديك شيئا
وصورّه الجوع لحما طريا
وعجت به الف ثوره
فأهوى يمزق فيه الامومه
انا بت اخشى عليك
واخشى عليه ، فخالد بعد
صغير
٧/٢٣ عرفت الضياع
بلوت عواء الذئاب
وحوش كثيره
ترامت بأعماق قلبي
واخشى عليه سفير الذئاب
اذا ما استفاقت بصدرة
٧/٢٥ اسير هنا في مجاري المدينه
كضفدعة ليس تملك غير
النقيق
ولكن صوتي غريق
وتزكم انفي العفونه
وعيناكي كهف تأسن ماؤه
٧/٢٦ يداي بجيبي
عيون المشاة حزينه
عيوني حزينه
وجودي ابله
يقعر جوعي انسان عيني !
٧/٢٧ لسوف امزق رقمي
فما عدت آله
تدور ، تجعجع ، تنسل
تفرخ شيئا ضريرا
وتزعم ان سوف يغدو بصيرا
لدغت ،

ولا يلدغ المرء الا اذا كان عيا
غريرا
وهذي الوجوه التي تتوالى
بدربي
نسيت معاملها من زمان
واشعر اني شيء مقيت
يسيل ليونه
٧/٢٨ انا عنكبوت
وبالوعة ينتن الماء فيها
ومدخنة تنثر السم عبر الفضاء
٧/٢٩ ليأكلني جوعي
انا لا ابيع بمجد الرغيف
بمجد الالهة ذاتي
لتنحر حياتي
ليهرأ دمي
انا لا ابالي
وان كان لي ستة جائعون
تراموا على عتبة البيت
كالضائعين
٧/٣٠ كما يأكل الهر جوعا صفاره
سأكل يوما صفاري
٧/٣١ ايا ام خالد هل تفجعين
اذا انت ابصرتني ذات ليله
اكب امزق هذي الوجوه
الوضيئه
والعق من دمها المستكين ؟
٨/ ١ سأكلها مثلما يأكل الهر جوعا
صفاره
انا كي امزق جذبي
على نار اعينها . قد تكور
نهدي آله
وفرخت هذي الثغور البريئه
سأخنقها في الظلام
ولن ادع الآخرين
يرون الى صفرة الموت فوق
الخدود
كتبت الجريمة
وسوف اكفر عنها
٨/ ٢ احب الوجود
٨/ ٣ كرهت الوجود
٨/ ٤ انا عنكبوت
وشيء مقيت
٨/ ٥ وجودي خطيئة

دمشق خليل الخوري
من جمعية الادباء العرب

عمر بن عبد العزيز في الأندلس

بقلم الدكتور خالد الصوفي

جميع أنحاء شبه الجزيرة الأيبيرية من أقصاها الى أقصاها ، كما استطاع ان يلقي الرعب والهول في قلوب اعدائه فأتى اليه ماوهم صاغرين طائعين لانه غزا بلادهم سبعا وخمسين غزوة في ظرف ستة وعشرين عاما فقط . حدثت وفاة الحاجب المنصور في سنة ٢٩٢ هـ (١٠٠٢ م) تاركا بعده دولة قوية عزيزة الجانب موطدة الاركان . بيد انه ما مضى على ذلك ثلاثون عاما فقط حتى تداعت تلك الدولة وانهارت واعلن وجهاء الناس في قرطبة الفاء الخلافة الاموية نهائيا في سنة ٤٢٢ هـ (١٠٣١ م) واعلان حكومة جديدة ليس فيها شيء من مظاهر الخلافة وضعوا على رأسها عميد الجماعة ابا الحزم جهور بن محمد بن جهور .

وهنا ربما يستغرب الانسان كيف حدث هذا الانقلاب السريع وانحدرت الدولة الاموية في الاندلس من اوج عزها الى اسفل الحضيض في مدة لا تتجاوز الثلاثين عاما؟

ان الجواب على ذلك يكمن في صميم تاريخ الخلافة الاموية خلال القرون الثلاثة التي حكمت فيها الاندلس ، ويمكن خاصة في تاريخ هذه الاعوام الثلاثين التي اعقبت وفاة المنصور ابن ابي عامر .

لو اردت ان ابحت في مجموعة الاسباب التي ساعدت على انهيار لخلافة الاموية لطال بي الحديث ولخرجت عن الموضوع الذي عينته لنفسي في هذه المقالة ، اذ انني اود ان اتناول بالحديث هنا تلك الحكومة التي اسست في قرطبة بعد انهيار الخلافة الاموية والتي تدل كل مظاهرها على انها كانت حكومة « جمهورية » بحتة قريبة في نظامها كل القرب من أنظمة الحكم الجمهوري التي تسود معظم دول العالم الان ..

اما البحث في عوامل انهيار الخلافة الاموية وسقوطها على الرغم من المجد الذي بلفته يام الناصر والمنصور فيستحق ان يكون اساسا لمقال جديد هام يعالجه احد المهتمين بالدراسات الاندلسية . ولعل الظروف تتيح لي في وقت قريب ان اتولى بنفسني الاجابة عن السؤال الذي طرحته منذ قليل .

بدأ الضعف والانحلال يتسربان الى الخلافة الاموية في قرطبة منذ عهد عبد الرحمن بن ابي عامر الذي ورت الحجابة للخليفة هشام الثاني عن اخيه الحاجب المظفر عبد الملك . فقد كان عبد الرحمن هذا طائشا ، مفرورا ، خليعا ، فاسقا لم يستطع اهل قرطبة تحمله فثار عليه احد احفاد الناصر وقتله واعلن خلع الخليفة هشام الثاني وتنصيب نفسه مكانه . ولكن هذا الخليفة الاموي الجديد ومن اتى بعده من الخلفاء الامويين بين سنة ٤٠٠ - سنة ٤٢٢ هـ (١٠٠٩ - ١٠٣١ م) اثبتوا ضعف شخصيتهم في كل المناسبات التي مرت بهم فرائى الناس ان يبدلوا العائلة

كان موسى بن نصير اول حاكم عربي دانت له اسبانيا ، وفي الوقت ذاته اول وال من قبل الخلافة الاموية في دمشق . الا ان ولايته لم تطل اكثر من ثلاثة اعوام طلب اليه الخليفة على اثرها ان يتوجه اليه في دمشق مصطحبا معه طارقا بن زياد . وعين موسى واليا على اسبانيا قبل رحيله ابن عبد العزيز بن موسى الذي حكم البلاد بين ٩٥ - ٩٧ هـ (٧١٦ - ٧١٥ م) اذ قتل في هذا التاريخ واحتل مكان وال جديد هو ابوب بن حبيب اللخمي ..

وهكذا اخذ الولاة يتعاقبون على حكم الاندلس اما بتعيين من الخليفة مباشرة او بتعيين من والي شمالي افريقيا حتى قدم عبد الرحمن الداخل الاموي الى الاندلس فاحتلها واسس لنفسه ولعقبه فيها ملكا ثابتا . ولذلك فالفترة التي سبقت قدوم عبد الرحمن الداخل تسمى « بفترة الولاة » لان حكامها كانوا نوابا عن الخليفة الاموي في دمشق . ولكن منذ ان وضع صقر قرش يده على العاصمة قرطبة اصبحت حكومة الاندلس تدعى « بحكومة الخلافة الاموية » ولو ان عبد الرحمن الناصر سيكون اول من يجزؤ على اتخاذ لقب الخلافة اذ اكتفى اسلافه باتخاذ لقب « أمير » .

وصلت الدولة العربية في الاندلس كما نعلم الى اوج ازدهارها ومجدها في عهد الخلافة الاموية ، فعصر عبد الرحمن الناصر هو عهد القوة والرخاء والعظمة والامن اذ ازدهرت فيه الزراعة والتجارة والصناعة والعلوم والاداب والفنون ، وخطب ود الناصر معظم ملوك العالم فارسلوا اليه بسفاراتهم يشهدون صداقته وتأييده . وكانت اولى تلك السفارات من قبل قسطنطين السابع قيصر بيزنطا . وتفيض الروايات في ذكر تفاصيلها الشيقة ووصف الهدايا التي قدمتها للخليفة الناصر ، والاستقبال الرائع الذي قوبلت به في بلاط قرطبة .. ثم اعقبتها سفارات متعددة من قبل ملك الصقالين بطرس وملك فرنسا لويس الرابع وخاصة سفارة امبراطور المانيا اوتو الاكبر الذي كان يومئذ زعيم النصرانية في العالم . هذا كله عدا عن السفارات الدائمة التي يتلقاها الناصر من الدول النصرانية الاسبانية في الشمال ...

ولم يكن عهد الخليفة الحكم الثاني عهد ضعف وتأخر على الرغم من اهتمامه الشديد بالمطالعة والكتب ، حتى ان مكتبته الخاصة كانت تحوي ستمائة الف (٦٠٠ الف) مجلد قرأها وعلق عليها جميعا حتى دعاه الناس بدودة الكتب .

اما عهد الخليفة هشام الثاني وحاجبه المنصور محمد بن ابي عامر فلم يكن ليقل عظمة وجلالا وقوة عن عهد الناصر اذ استطاع الحاجب المنصور ان يرمي هبة الحكم في قلوب الجميع وان ينشر الامن والعدل في

الحاكمة وسمحوا لال حمود ان يتربعوا على عرش الخلافة في قرطبة بين سنة ٤٠٧ هـ - سنة ٤١٤ هـ (١٠١٦ - ١٠٢٣ م) ، بيد ان هؤلاء لم يكونوا عند حسن ظن القرطبيين بهم فابعدوا عن الحكم وعاد الناس الى اسناد الخلافة لاحد الامويين : المستنظر بالله .

دامت هذه التجربة الجديدة ستة اعوام اخرى تأكد أهل الاندلس على اثرها ان بني امية لم يعودوا اهلا لتسلم زمام الحكم ، فاجمعوا رأيهم على تسليمه لجهور بن محمد بن جهور الملقب بابي الحزم والذي لعب الدور الاكبر في تطورات الموقف في الفترة الاخيرة .

لكنهم عندما عرضوا عليه ذلك رفض تسليم المسؤولية فالحوا عليه ليقيتهم بعدم وجود رجل اصالح منه لتسلم ادارة البلاد انذاك ، فما كان منه تجاه الحاحهم الا ان قبل طلبهم ولكن بشروط معينة .

فان ابا الحزم ابن جهور ذلك الرجل المسن العاقل الذي رأى ما جره الحكم من ويلات ومن مأس على الخلفاء السابقين حين عزلهم وما رآه من تقلب اهل قرطبة وحجبهم للفضى وسرعة ملهم من السلطان ووجود الكثيرين من الظالمين في الحكم ، لم يكن ليرضى بعد ذلك كله ان توضع مسؤولية الحكم في قرطبة على عاتقه وحده . فلما قبل تسليم الحكم شرط عليهم :

١ - الا يتسلم الحكم وحده بل يشاركه في ذلك وزيران اخران

٢ - الا يتخذ اي لقب من الالقاب الخلافية والملكية بل يحكم بصفته وزيرا للجماعة وممثلا لها .

٣ - الا يتخذ قصر الخليفة مقرا له بل يبقى في نفس المنزل الذي كان يسكنه

٤ - ان يتسلم الامر مؤقتا ريثما يحل محله شخص يتفق الناس على امارته .

وقد قبل الجميع مطالبه هذه ووافقوا عليها ، وتشكلت بذلك حكومة قرطبة الجديدة التي نستطيع ان نقول عنها بان نظامها اقرب ما يمكن الى النظام الجمهوري .

هذا وقد حاول بعض المؤرخين ايضا وعلى رأسهم المستشرق الهولندي دوذي Dozy تشبيه حكومة بني جهور بحكومة القنصلية التي انشأها نابليون بونابرت في فرنسا . فحكومة القنصلية كانت تتألف ايضا من ثلاثة اشخاص والحكم الفعلي فيها بيد نابليون كما كان الحكم الفعلي في قرطبة بيد ابي الحزم ابن جهور .

وقد قال المستشرق الاسباني المعروف «اميليو جارسيا جومث» E. Garcia Gomez عن النظام الذي اوجده ابو الحزم في قرطبة انه نوع من النظام الجمهوري البورجوازي .

على اي حال ، نرى من خلال الشروط التي فرضها ابو الحزم على مواطنيه لقبول الحكم ومن تعليق بعض كبار المؤرخين على نظام الحكم الذي اقامه في دولته بقرطبة انه نظام جديد من نوعه بعيد عن النظام الملكي او الخلافي السائد انذاك في الاندلس والمشرق الاسلامي .

ومما يؤيد قولنا في طبيعة الحكم الذي اقامه ابن جهور في قرطبة لأول مرة في تاريخ الاندلس اعماله وتصرفاته التي كانت تتميز بصورة جلية واضحة عن تصرفات باقي ملوك الطوائف الذين كانوا يحكمون الاندلس ..

حكم ابو الحزم وفقا للنظم الجمهورية الديمقراطية ، فلم يكن يريد ان يستبد في رأي او يقرر شيئا بمفرده او يبت بقرضية دون عرضها على الوزراء الآخرين . فاذا طلب منه ان يمنح اي شيء لاحد اجاب بان ذلك

ليس من صلاحيته وانما من صلاحية المجلس الحاكم وانه ليس سوى منفذ لاحكام ذلك المجلس . واذا وجهت اليه رسالة رسمية تتعلق بشأن من شؤون الدولة رفض ان يطلع عليها بمفرده ، بل حملها الى المجلس لكي يفحصها امام الجميع قائلا بان الرسائل لا يجب ان توجه اليه وحده بل يجب ان توجه الى مجلس الوزراء عامة . وكان يعتبر ان كلا من الوزراء يحمل على عاتقه قسما من تبعية الحكم ، فلا يتخذ اي قرار دون ان يكون قد نال موافقة الجميع .

لم يتخذ ابو الحزم ابن جهور خلال حكمه اية سمة من سمات الملوك . فلم يترفع عن القوم بل ظل يخاطبهم ، فيعود الرضى ويحضر الافراح ويشهد الجنائز على سابق عاداته . وذكر ابن خلدون ان ابا الحزم ابن جهور كثيرا ما كان يؤذن في الناس في مسجد قرطبة بالربض الشرقي . ولم يغير لباسه فيتشع بالطراز الذي كان يستعمله الخلفاء عادة بل ظل بلباسه العادي على بساطته . وعوضا عن ان يتخذ لنفسه احد قصور الخلافة مسكنا له ولعائلته اكتفى بترتيب البوابين والحشم على ابوابها دون ان ينتقل الى احدها وتابع حياته في نفس مسكنه المتواضع يدير منه امور العاصمة بجد وعزم وعقل .

لم يكن ابو الحزم رغم براعته في الحكم ورفعة قدره ، متكبرا ولا صلفا ، بل كان من اشد الناس تواضعا وعفة ، ظاهره كباطنه ، لم تتغير اخلافة وعاداته بتوليد الحكم ، ولم يختلف له حال من الفتاة الى الكهولة .

وكان من اشهر ما اتاه لاصلاح الحال في قرطبة ، امره بمنع شرب الخمر ، فقد كان يرى ما يؤدي اليه الافراط في شرب الخمرة من تدهور خلقي وصحي ، فمنع تعاطي ذلك وكسرنان الخمرة في جميع انحاء مملكته . وقد مدح الشاعر ابن زيدون ابا الحزم لقيامه بهذا العمل فقال فيه ..

اباح حمى الخمر الخبيثة حائطا حمى الدين من ان يستباح له حد فطوق باستئصالها مصر منة يكاد يؤدي شكرها الحجر الصلد كما ان من اهم اصلاحاته الداخلية طرده من قرطبة عددا كبيرا من النمامين الثرثارين الذين كانوا يعيشون من الوشاية واثارة المشاكل ، وقد عين للاحتقنهم عددا من الموظفين كانوا يتقاضون رواتب كالقضاة . كما انه اخرج من قرطبة الاطباء المزيفين الجبهة ، الذين كانوا يسمون انفسهم اطباء دون ان يكون لديهم شيء من التجربة او العلم ، وامر بتأليف لجنة من اشهر الاطباء لفحص الذين يدعون معرفة الطب ويرغبون في ممارسته في المستشفيات .

وزيادة في الحرص على السلامة العامة ، فان ابا الحزم ابن جهور كان يعهد الى اقرب وزرائه واثقهم لديه بحراسة المدينة والسيور على الامن فيها بواسطة رجالهم واعوانهم ليلا نهارا . وكان يوجد في كل حي من الاحياء عدد من الرجال المسلحين المكلفين بالتجوال في الشوارع لتأمين راحة الجميع . اما الاحياء التجارية التي تضم الخزائن والبضاعة فكان لكل منها بابها الذي يفلق في ساعة معينة . كما ان باقي الاحياء كلها كان لها ابواب تغلق عند اللزوم ، اي في حالة حدوث اضطرابات ليلية ، لكي يستطيع منع الاشقياء من التنقل بسهولة بين حي وآخر ..

وكانت نوبة كل حارس تدوم يوما كاملا ، ثم حين تنتهي مهمته وسلم سلاحه لم يأتى بعده كما ينبغي بما حدث خلال نوبته اذا كان هناك شيء يذكر .

وقد خفف ابو الحزم خلال حكمه من تطبيق العقوبات الصارمة على

كانوا لا يفترون عن ترديد اسم ابي الحزم والدعاء له بل لقبوه بابي الشعب وحامي الدولة .

اعتبر جهور بن محمد بن جهور نفسه وارث الخلافة الاموية فسي اسبانيا لتسلمه الحكم في قرطبة مباشرة بعد انهيار تلك الخلافة ، ولذلك فكر منذ وصوله الى الحكم بالسيطرة على الاندلس كلها ، فكتب عدة رسائل الى مختلف ملوك الطوائف يدعوهم فيها للقدوم الى قرطبة والاعتراف بسلطانه ، ولكن اغلبتهم اعتذروا عن المجيء بتقديم حجاج مصنعة ، مدعين ان لديهم في ممالكهم امورا في غاية الخطورة لا تسمح لهم بمغادرتها في ذلك الحين . وقد لمح بعض اولئك الملوك خضوعهم - ولو اسميا - لابي الحزم وتمنوا له العز والسؤدد والسعادة والنجاح . ولكن اهم اولئك الملوك في الاندلس اظهروا عدم اهتمامهم به واكدوا استقلالهم ببلادهم وهم ملوك طليطلة وسرقسطة ومالقة واشبيلية وغرناطة وبطليوس .

ولكن ابن جهور تجاهل استخفافهم به ومساعدتهم على زيادة الانقسام في اسبانيا واجابهم مهنا اياهم بالفيرة التي ظهرت منهم في الحرص على المصلحة العامة ، وفي تأمين سلامة المقاطعات التي عهد اليهم بادارتها مذكرا اياهم بان اطراد تقدم الدولة وقوتها لا يكونان الا باتحاد مختلف اجزائها .

اذن على الرغم من الاجوبة الجافة التي قوبل بها ابو الحزم ابن جهور من قبل ملوك الطوائف فان علاقته لم تسؤ معهم ، وكثيرا ما كانوا يلجأون اليه لفض المنازعات فيما بينهم ، فيتوسط لدى بعضهم من اجل البعض الآخر ، وحين يتعذر عليه ذلك كان يفتح ابواب مدينته لايواء الملك او الامير المغلوب فيحيطه بانواع عنايته ويسخ عليه عطفه وكرمه حتى ذاع صيته في الافاق وصار الناس يتحدثون عن صلاح حكمه وعن الفوائد التي جنتها دولتهم في ظل ذلك النظام الجمهوري .

هذا ومن المؤكد انه لو تخلى ملوك الطوائف عن انانيتهم لدى انهيار الخلافة الاموية واستجابوا لدعوة ابي الحزم ابن جهور حين اهاب بهم ان يعترفوا بسلطته وبقوا على اعتبارهم قرطبة كعاصمة لاندلس ، وتناشوا بعض الخلافات السياسية والمطامح الشخصية التي كانت تفرق فيما بينهم ، لاستطاع الجهاورة بالصفات التي كانوا يتمتعون بها ان يوحدوا قوى العرب في اسبانيا من جديد ولخالوا دون زوال الحكم العربي في ذلك الجزء الهام من القارة الأوروبية .

خالد الصوفي

الشعر العربي في المهجر الأمريكي

دراسة فنية

بقلم

وديع ديب

السعر ٢٠٠ غرش لبناني

المتنبين واتباع سياسة اللين والمحكمة فممنع انزال الحدود ما وجد الى ذلك سبيلا ، واجتهد في منع الكي بالحديد لعدم اجماع المجتهدين على ضرورة ذلك ولانه رأى ان اللين والاعتدال ربما ساعدا على القضاء على الفوضى المنتشرة حينذاك في البلاد . وفعلنا فقد اعجب الناس بسياسة ابي الحزم وكفوا عن التظالم والتسافك بخلاف ما كانوا عليه تحت الضغط الشديد حين كان جبابرة اصحاب الشرطة يسومون الناس سوء العذاب واصبح لا يسمع في قرطبة من حوادث الشر الا الشيء النادر الفس .

اما من الناحية الاقتصادية فقد اشتهر ابو الحزم خاصة بنزاهته فالخلفاء الامويون قبله ، كانوا يعتبرون بيت المال ملكا خاصا لـهم يتصرفون به كما يشاؤون وينفقون منه دون حساب ، اما هو فكان يعتبر ان بيت المال للامة ولذلك رفض رفضا باتا ان يوضع تحت تصرفه ، وعهد به الى جماعة من الثقة في المدينة سلمهم اياه بعد ان احصاه عليهم وكلفهم بتنظيم حساباته تنظيما دقيقا لمعرفة الوارد والخارج لكي لا يضيع على الشعب قرش واحد من بيت المال . وكان اذا سئل شيئا من المال اجاب « ليس لي عطاء ولا منع ، هو للجماعة وانا امينهم » .

وقد جعل ابو الحزم لنفسه وللوزراء مبلغا معيناً يتقاضونه في كل شهر من بيت المال لا حق لهم في تخطيه ابدا .

ورغم ما عرف عن حب ابن جهور لجمع المال وانماء ثروته الخاصة ، فان ذلك لم يكن ليدفعه في يوم من الايام الى خيانة امانة الشعب والحصول على المال بالطرق غير المشروعة . ولكن مع ذلك فان الخطة الاقتصادية التي اتبعها في معيشته اثناء وجوده في الحكم ادت الى مضاعفة الثروة التي يملكها حتى اصبح اغنى رجل في قرطبة . وحين يتحدث ابن عذاري المراكشي عن ابي الحزم ابن جهور يفتخر بالتقدير على نفسه وبالاتمانع عن بذل المال للمساعدة ويقول انه لولا وجود هاتين الصفتين فيه لكمل لو ان بشرا يكمل .

ولكن حرص ابن جهور على جمع المال لم يكن ليمنعه من بذل الجهود الجبارة لاعادة الازدهار الاقتصادي الى المدينة ، فقد عمل ما بوسعه لاقامة العلاقات الودية مع جيرانه من ملوك الطوائف واستطاع ان يقيم نوعا من السلم مع البرابرة ، فساد الامن والطمانينة واخذ الناس يمارسون تجارتهم بحرية تامة فامتلات الاسواق بالبضائع المختلفة ، ورخست اسعار الحاجيات ، وعم الرخاء في قرطبة ، وصار الناس يؤمون المدينة افواجا حتى زاد عدد السكان زيادة كبيرة واخذوا في شراء الاراضي وبناء الدور وخاصة في الاحياء المتهدمة ايام الفتنة ، فارتفعت لذلك اسعار العقارات والدور واستعادت قرطبة بذلك قسما كبيرا من مجدها السالف .

ويذكر صاحب كتاب المعجب ان من جملة النظم التي اتبعها ابو الحزم لتحسين المستوى الاقتصادي للمدينة ، هو انه احصى على كل تاجر رأسماله ولم يسمع له بالتفريط بشيء منه بل اضطر ، ان يعيش بالربح رأسماله ، وجعله عرضة للمحاسبة والتفتيش في كل حين .

هذه الاصلاحات المتنوعة كلها التي قام بها رئيس دولة قرطبة من بني جهور ، والتي شملت مختلف النواحي الادارية والسياسية والاقتصادية والعمارية جعلت قرطبة تجني اجل الفوائد واعظمها ، وعلى الرغم من ان القرطبيين لم يكونوا قد اعتادوا على رؤية ذلك النوع من الحكم ، الا انهم

للأصدقاء والحياة...

« رسالة الى صديقة »



صديقتي

سؤالك القديم ، ذلك المساء
يظل يوقظ الحنين في دمي ويمسح
الضلوع بالاشواق

اليك ، كلما توغل المساء
ومد ظله الكئيب في جوانب الافاق .
لا شك تذكرين اذ سألتني
وكنت تشخصين في الدجى الصموت
تستقرئين سره العميق . . «لم نموت
وليس في ارواحنا شوق الى العدم؟»
اكننت تأملين ان اجيب؟!

وكيف لي . . ولست بالعجائبي
حافظ الغيوب
ولست املك الاسرار او افوه بالحكم .
سؤالك الاليم هزني . . زلزال
وخلتني وقد صمتت في اساي
ساذرا عن السؤال!
وربما حسبتني مع السنين قد نسيت
والحق ، نسيت . .

افيق من هموم يومي لاهب الشجون
جائع الخيال
واقطع المساء صامتا مستوحش الاعماق
ونلتقي . .

(كل مساء تغمرين مرقدي الجديد
بوجهك الحبيب)

فتمسحين بالرضى جروح خاطري
الحزين

وارغب الحياة باشتياق
وبفتة . . يفر من مبسمك السؤال :
« لم نموت

وليس في ارواحنا شوق الى العدم؟ »
واستكين للجمود لا ارد
اضيع في مجاهل من الاسى بغير حد .

اقاب السؤال حيرة . . لكنما يرهقني
السؤال .

واقدح الخيال عله يسعفني برد
ويمجزز الخيال بعد جهد .

صديقتي . . .

كان هذه المدينة المزمجرة
كمثلما رحي تدور والقبور حولها
تلم قتلى المجزرة . . . !
تقول لي :

« الهو . . والزوال . . شرعتي
وانت ايها الغريب لست من ريعني
يظل في عينيك دائما سؤال . . .
ما أغربه !
يطوف مشرق الاسى ومغربه
وينقلق الاسرار . .
وأخشية الاسرار !!

ادور ما ماكت ساعة اطمئنان
صديقتي

لانني حيران
أصادق الوجوه والوجوه دائما تدهلني
غريبة . . !
ودائما تجهلني

في هذه المدينة المزمجرة
كم اشتهي مهذا من التحرير اتكي عليه
كم اشتهي مهذا من التحرير
وصاحبا بسمته تشد قلبي الكسير
الناس لاهثون ها هنا ومتعبون
صديقتي

وحين يضحكون ابصر الاسى يضيء
في الشفاه .

كانهم يسعون في جنازة هم بها
المشيوعون
وترقص الاقدار فوقهم وتحتهم وتلطم
الحياه

وغافلين يركضون نحو هوة العدم !
صديقتي واستجير بالهوى ووجهك
الحنون

لكم ترزع الظنون هوة العدم

قلبي يضيع ها هنا في القبو يختنق
قبو الضجيج والنقود والبغاء والعرق
الشمس ها هنا كئيبه كدمعة الحداد
والليل جارح العيون شاحب الضمير
يمتص من جروحي الخضيبه السرور
الليل موحش اليم

لكنه صديق قومي حين يقصدون
ركنه الركين
يمد كفه مباركا . . فيشربون
ويرقصون

ويطفئون اعين الهموم ساعة او ساعتين
(اظل وحدي . . لم ابارك . . والكؤوس
تقرع الكؤوس)

وربما تطفوا وقدموا لي كاس راح
- اشرب فدينك - فكل العمر ساعة
او ساعتين

وربما قضيت ايها الصديق دون مطلع
الصباح !

لكنني كرهت يا صديقتي الهموم
والافراح

والموت والحياه
لانني لا املك الحياه ان تفوت !
لا املك الحياه . . .

مختار عبد الباقي

بيروت

مناقشات

الانسان العربي ورواية «دريس»

بقلم السيد خميس شاهين

من المشاركة في المصير تبدأ رحلة الهروب « ليعطوني فتاة اي فتاة .. جميلة او قبيحة ، شابة او مسنة ... ان ذلك لا يهمني اذا نجحت فتاة ان تنسيني من انا لمدة دقائق » واحلام اليقظة نتاج لحرمان وكبت ... وسمه اخرى لهذه الانماط التي تنشأ خلاصتها في « بوتوبيا » !

الى هنا ولا تزال الشخصية متخفية في سلوكها ، متغلقة على ذاتها ، تعيش انانيته ، ولا تكاد تستجيب لطرقاات الواقع ، بل تبدو كأن هذه الطرقات تنزلق على السطح النفسي لها . فلا تغير ولا شروع في تعديل المسار النفسي نحو دروب الصحة والوعي والمشاركة .. ولكن النظرة العميقة ترينا أن تحت السطح .. وراء هذا التجمد الظاهري على سلوكية معينة ، قد بدأت تراكمت بسيطة تتجمع واصوات طرقات تلو فلاحداث بدأت تهزه ، تسخر باحلامه الفردية ، بانغلاقه .

فمقابلة « جاك » والحوار المتأزم بينهما ، واخبار القتال عن قسرى برمتها تحرق من اجل قتل فرد - ولا يزال « دريس » بعيدا عن الجزائر عن التغيرات التي حدثت يخرج حديثه عاديا كأنه لا يعنيه شيء هناك ، ويبدو كأنه كسب صداقة « جاك » ووجود عمل اهم من الحرب والجزائر معا - ثم .. ثم لمسة مباشرة لوجدانه . هذه غيفة .. لطمة « قتل اخوك ، لقد حملوه الى امك وعلى وجهه غطاء .. كان يحمل اسلحة لم يرد ان يسلمها . وقد قتل بينما كان يحاول الفرار » .

وترنح للخبر ، وبدأ شيء يتحول في الداخل ، فلم يعد الامر بعيدا ، قتل اخوه .. هذا الاخ الذي كان اشجع منه واجدر بالحياة .. انه لم يخف قط ان يقاتل او ان يجوع ، فكم كان اعدل واجدى لوطنهما ان يموت هو دريس .. سقطة سيكولوجية ، اعتراف بالجبن في لحظة انهيار ! . وبدأ يعرف راي الفرنسيين فيه وفي رفاقه من كلمات صديقه جاك « ما الذي تفعله في هذه البلاد ؟ كل يوم يصل عدداً من اقبالك ورفائك ومع ذلك ، فانكم تشغلون جميع الاعمال القدرتها .. فلماذا انتم بهذه الكثرة الى فرنسا ! جيش لجب من الرؤوس الجاهلة .. والايدي الفارغة ، ولقد شعرتم بان باريس لاتخصكم كما تخص الاخرين .. ان شعورك بانك فرنسي يشبه الى حد ما شعور ابي بانه عربي حين يدخل مشى من مشاتيكم » ...

اذن فليس الوطن الام هو فرنسا . خدعة كبيرة عاشها .. وما هو الا افريقي فليبحث عن الافريقيين امثاله ، والتقى بهم في مقهى للمتمطين يبحثون عن اعمال ، ودفع مامعه الى « ارمان » افاق فرنسي اخر ، يمتص فركانتهم الباقية ولو كانت عنده اعمال لعمل هو ! .

ومن خلال كل هذا يتعرف دريس على نمط جزائري اخر تضمه باريس « عبد » عامل في مصنع له نشاط سري ورفاق ، امل الخلاص الحقيقي انه في الطريق هو ورفاقه ، ابناء الجزائر تملأ رؤوسهم ، وفاطمة زوجته وشربكتها ، تعرف انه شجاع ، يكافح حتى لايمثلوا مع غيره الدور القدر الذي لمبوه معه .. كان يكافح حتى لا يظل الجزائريون يأتون الى فرنسا وقبض عليه هو ورفاقه - هزت ادريس ، الكلمات البسيطة الشريفة

« دريس » الانسان العربي الذي يفاخر باتقان الفرنسية ، لغة صانع ماساته ، يشد رحاله الى فرنسا الذي تعيش في وجدانه كوطن ام ... تمتصه احلام اليقظة من الواقع المار حيث البؤس والجوع ، لتصنع له من فرنسا فردوسا مفقودا ، يعوضه عن بؤس الجزائر ، بديل ادوع ينتظره في شوق .. فقط عليه ان يذهب ! .

ولكن باريس تضمه ليمارس التصعلك فيها ! وتطارده الاف الميول ، وتصنع مسمعه الاف الكلمات التي ذهب بانسانيتهما القلق والتأزم وكل العصابات والقيم الانسانية التي تنشرها حضارة استغلال الانسان للانسان .. ويكون رد فعل « دريس » استغذاء احساسا بالدونية ... بافضية الانسان الابيض وسيادته : « لو كان يستطيع التخص من الشعر الاسود المتطاير في الهواء .. من البشرة الخشنة ... من العيون السوداء » من كل ما يصمه بانه عربي ! .

ان المونولوج الداخلي صادق ومريض .. منسجم مع التراث الانهزامي ، مع الرواسب القابعة في الاعماق ، مع قيم عمرها اكثر من قرن ... ان « دريس » لم يصح .. لم يتطهر ... فالاستعمار نجح في جعل عواقبه .. سمه ... عاره .. من داخل .

هذه هي بداية الخط النفسي الذي بدأت تسلكه شخصية « دريس » وامكنتنا به الرواية الفرنسية « جانين اوريانو » لتتابع معها تطورات المسار السيكلوجي لهذه الشخصية النمطية - التغيرات الدخيلة المنعكسة عن المواقف والاحداث التي يعايشها بورجوازي صغير منسحق نابع من مجتمع مستعمر ! .

فعندما تلتقي الشخصية بالانسة « بلانش » العانس ... تعطف عليه ، لانه جزائري من الارض التي مات عليها ابن اخيها ! . من الناس الذين اوصاهم بها لانهم « تساء ويجب ان نساعدهم » ثم يتركها ليلتقي بتمتعيل اخر .. فرنسي هذه المرة .. يبتز منه ماخذه من العانس ! . ويستعد للذهاب الى اسرة « جاك » صديقه في الجزائر وزميله في الدراسة ، وبلقي نظرة على لباسه الزري فتكبله مشاعره ، مخافة من ان تعرف اسرة صديقه انه محتاج ! . خوفه من الا تستقبله ، فتضعه امام عجزه وفشله وتحطم احلامه ... كرامة طبقية مريضة وسمه نفسية ثائية تنسحب على النمط الذي يمثله « دريس » ولا تنسوا ان دريس مثقف قضى اعواما في المدرسة الفرنسية الاسلامية !! .

والاحاسيس التي تنبثق في نفسه من غريته .. وضياعه .. والحاجة للعمل .. لا تدفعه كل هذه الاحاسيس الى ان ينفلات .. يتفتح ، يعي قضيته . فالبناء النفسي جدار ضخم يحول بينه وبين كل هذا ، البناء النفسي لا يؤهله الا لان يحلم : بان الاله يحبه كما لو انه ابني البشرية ولم يعد « واحدا اخر » - عندما كان بالكنيسة وفي القبو حيث بنام اثنا عشر افريقيا الى جواره ، حيث العرق والاجهاد ، والصراع الوحشي حتى في النوم ، عفونة المكان ولا ادميته - بدأ « دريس » يشعر بالخوف من الاخرين - فلا انعطاف - ومن الخوف والبرد ومن الاشمزاز

المقدس ، المستقل من زمن طويل ، قد احرقت تلك العواصج السامة ، كل العفن ، طهرت تلك النفوس .. دفعتها الى نسيان انانيتيها ... فمن خلال الحرب ، والخطر المشترك ، الذي يهدد الجزائريين - لمدة طويلة - بلا استثناء ، اجتثت عوامل الانحلال والتميع .

كانت حرب التحرير الجزائرية - ككل ثورة تحررية - « مطهرا » ... مرحلة انتقالية بين « جحيم » الامس ، الى « فردوس » الغد ..

لاخوف اذن من « دريس » على الجزائر وثورتها الصاعدة ، وانما الخوف علينا ، علينا نحن في شرقنا العربي ، حيث يتعد « دريس » وينكر ، وينمو ، ويشكل خطرا ... انه مازال بيننا - بكل اسف - عدد كبير من المثقفين ، وانصافهم ، قراء صحف اخبار اليوم - والكتب الانيقية ذات الورق المصقول جدا ، والثلث المصقول جدا ايضا !! ما زالوا يؤمنون بان اميركا وفرنسا وانكلترا بلاد النعيم ، والحرية ، ولا يمكن ان يأتينا منها الا كل خير !!

هذه اذن قضيتنا ، مشكلتنا العصابية ، الجدار الذي يحجب عنا الحقيقة - لوعي ثوري - لافهم علمي للواقع العربي والعلمي - ... والان ؟

بعد ان كشفت الروائية الفرنسية الشابة عن « دريس » ونقل رئيس التحرير كشفها لنا ، فعلى نحن المثقفين العرب المسلحين بالوعي ، علينا ان نفصح كل « دريس » ان نحاول توعيته ، ان نحاول ادخال النور الى سراديب نفسه ، فان حاول ان يشكل خطرا ، ان يعرقل ويعوق كعشب سام ، فعلى ان نحرقه في نفوسنا وفي الآخرين .

خميس شاهين

القاهرة

دار الآداب تقدم :

عبد المعطي حجازي

للشاعر العربي

احمد عبد المعطي حجازي

الشم ليرتان لبنانيان

صدر حديثا

الخارجة من فاطمة ، والدور الرائع الذي يلعبه عامل من مواطنيه فاندفع يقول في موجة حماس « سوف اساعدك في العثور عليه وسوف احضر انا ايضا اجتماعاتكم وسترين اننا ننتصر في النهاية » واستيقظ اكثر فبدأ يصيح « اني ابدأ رجل اناني ، لم ارد ان انضم للذين في مثل وضعي ، ولو اخرجني ادمان من بؤسي ما فكرت في المتعطلين ، لقد اضعت الوقت وانا وحدي ، لم احضر قط تلك الاجتماعات التي كنت اسمعهم يتهايمسون بها وكأنني كنت في صف من وضعوا عبد في السجن » صحوه .. يقظة ... لحظة رائعة من لحظات التفتح . ولكن للأسف لاجذور ، فهي يقظة من خارج ، انفعال وقتي يحول بينه وبين ان يعيش في وجدانه .. ركامات ، احلام طبيعية تستقطب ليقف مع الذين سجنوا « عبد » ، يرون اليهم باعجاب بينما احذيتهم تسحقه ! انه لا يمكن ان يسلك المسار الثوري غير نماذج ايجابية صلبة لامتوقعة .

ولكن وجدان « دريس » المهترء الذي مزقته العوامل البالفة لم يحتمل الصحوه ، لم يجد الشجاعة في ان يحمل صليبه وينضم الى الجموع ، لقد راعه ان يكشف ذاته ، لقد اخافته الطريق ، فالطريق تضحية وجهد ، انفتاح ، لا انانية ولا احلام مريضة او انتهازية خلال الطريق بل العرق والعمل ونكران الذات !!!

وكان لابد بعد تلك الذبذبة النفسية العنيفة ، بعد الصراع الحاد الذي نشب في نفسه ، بعد المتلوجات الداخلية التي نهشت كيانه ، كان لابد من منعطف جديد للخط النفسي . ولما كان التكوين الداخلي للشخصية لايسمح لها بالصعود وبالتطهر ، فلا بد من العكس ، لاشيء الا الانحلال ، الا السلوك المريض للانساني ..

فامتدت يده الى « الالف فرنك » التي تملكها فاطمة زوجة « عبد » العامل الجزائري السجن الذي اواه ، ولم يفعل هو شيئا الا ان القم ضميره حجرا « ساردها لها » وذهب الى الانسة بلانش التي عطفت عليه اولاً ، فاخذ يشرب الكونياك بوحشية ، ولسانه يخرج اعماقه المتمزقة ، ثم ختم ليلته باغتصابها ، في فورة سكر وكبت وتآزم ، وهكذا صار عريدا لانه لن يستطيع ان يعيش في باريس الا هكذا ، وفي الصباح كان يسير ووراءه كلمة احد المارة « هؤلاء الافريقيون الشماليون ، جميعهم عراييد » هذه هي الملامح العامة لشخصية « دريس » كما رسمتها بعق وصدق الكاتبة الفرنسية الحرة « جانين اوريانو » ونقلها الدكتور سهيل ادريس الى صفحات الاداب الفراء (١) فاتاح لنا ان نرى عملا فنيا جديدا ، يزيد من تفتح عيوننا واذهاننا على واقعنا العربي ، ويزيد من ايماننا بانسه في نفس الاماكن ، التي ترسم فيها الازدهان المريضة : الحرب والفاشية ، ويكتب فيها ادب الهروب والخيانة ، في نفس هذه الاماكن تتحرك الضمائر الشريفة ، والافلام الحرة لتكتب ادب السلام والتحرر ، وانه في كل يوم تضاف قسمة بانية ، غنى جديد ، الى صف الانسان الطالع في كل مكان .

والعطاء الذي يقدمه العمل الفني وبرزه ، هو هذا التخطيط الدقيق لشخصية نمطية توقعها عوامل كثيرة عن التطور والمشاركة في عملية الصياغة الجديدة للحياة المرجوة ... نموذج مريض منهزم ، يدفعنا الاحساس بهذه من خلال العمل الفني ومعايشته ، الى التفتيش عنه ... فهل يوجد هذا النمط في الجزائر الان ؟ كم دريسا هناك ؟

ان الحقيقة التي تؤكدنا الاحداث ان هذا « الدريس » قليل في الجزائر - سواء من ناحية العدد او ناحية الخطر - فالثورة بلهبها

(١) عدد اغسطس ١٩٥٩

حول قصة

بقلم : جان الكسان

يصبح بطل القصة بطلا لانه نسف الجسر الذي هو عقدة مواصلات العدو في الارض المحتلة ، لانه حقق بطولته في ليلة واحدة ؟ .. اننا لو سلمنا مع صدقي بهذا لحذفنا من قائمة اسماء ابطالنا : جول جمال ، ويوسف العظمة ، وعدنان المالكي وغيرهم .. قليلا من التبصر يا اخي صدقي !..)

وتتتابع البنود بعد ذلك بايحاء مفتعل ، وبجمل مبتورة ، يقول بعضها ان في القصة موعظة اخلاقية عن الانهزامية ، وان فيها نداء عاطفيا حزينا موجها الى المدينة ، وان اشخاصها كثيرون ... الى اخر هذه التعليقات التي يتبرأ منها النقد .

وما ادافع به عن قصتي ادافع به عن قصة زميلي زكريا تامر (النهر ميت) التي تعد من انجح القصص القصيرة التي قرأناها في المدة الاخيرة ، فان عدم تذوق الناقد لها لا يسمح له ان يقول لكاتبها ، وهو قاص متمكن - اقرأ كثيرا قبل ان تنشر غسيلك على الناس ..

وكذلك اقول عن قصة زميلي ياسين رفاعية (الحزن في كل مكان) ، واحيل الناقد الى ما كتبه الناقد المعروف رجاء النقاش حول هذه القصة في مقال (نحو قصة عربية) المنشور بنفس العدد ، ففي هذا المقال عن نقد مثل هذه القصة الخبر اليقين .

واخيرا ، ارجو ان يتسع صدر (الادب) الكبير لهذا الرد الموضوعي ، لاسيما وان بعض كتاب باب (قرأت العدد الماضي) يستغلون عدم وجود الرقابة على ما يكتبون ، فيروحوون في عملية تجريح وتحطيم باسم النقد المسكين .

لقد نصحتني اخي صدقي اسماعيل ان اقرأ تشيكوف و او . هنري بتعمق قبل ان اكتب .. ولا ادري كيف يسمح لنفسه بالحكم علي بانني لم اقرأ هذين الكاتبين بتعمق ، وهو يستند الى احكام مفارقة اطلقها حول قصتي .. وهل يجب ان اقابله بالمثل فاجيله الى سلسلة من كتب النقد لنقاد غربيين وعرب ، ليقراها بتعمق ثم يكتب في النقد ، فلا تاتي اراؤه بعد ذلك - كما يقول المثل الفرنسي - وقد شددت من شعرها شدا !!

جان الكسان

(من جمعية الادباء العرب)

المقدرة السلبية في النقد

بقلم : حسان منير

تميز القصة الحديثة اليوم بقوى معينة من الادراك الحائق تحولت الى هذا الجزء اللاواعي من الثقافة فجعلته في متناول الفكر الواعي ، وقد يظن ان ذلك يعني ان لا تعنى القصة الحديثة بالافكار ، وان القصص المبدع بمنجاة من حكم العقل الصحيح ، غير انني ما قصدت الى هذا ، انما عنيت تلك الفكرة القائلة : ان الوسيلة الوحيدة لتقوية العقل هي عقد النية على لا شيء ، وجعل الذهن طريقا عاما لجميع الافكار لا لخبية مختارة منها ، ومن هنا يصدر حكم النقد الحديث على القصاصين القدماء والتراث القصصي القديم : « انهم رجال اذكاء وادباء ، الا انهم جد نظرين في عقليتهم ، وهم لذلك لن يعثروا على حقيقة ما طيلة حياتهم ما داموا لا ينفكون عن محاولة العثور عليها (1) » . وبالإضافة الى ذلك

(1) ليونيل تريلينغ : ملابسات القصة الحديثة . الهلال سنة ١٩٣٦

ان يطلق قلبي في صحيفة اسود بياض صفحتين منها بما اشاء من اراء دون حسيب او رقيب ، فان هذا يهيب بي لان اعمد فورا الى احتلال مقعد استاذ كبير ، اشير منه بايحاء - لا يهمني ان كان افتعاله ظاهرا للعيان - الى طول باغي في ميدان النقد الادبي مثلا ، والى انني العملاق امام اقزام شاء حظهم ان توضع قصصهم امامي لاعمد الى تشريحها بساطور القصاب العصبي لا بمبضع جراح ماهر ..

هذا ما افعله اذا كنت من الذين ينتكرون للضمير الادبي ، وللأمور الواضحة وضوح شمس حزيران ، اما اذا كنت ذا حصافة ، ورأي سديد ، وانصاف ، فانا اذن الامور بوزناتها ، واعطي كل ذي حق حقه ، ولا ادع المخطيء دون تقريب عادل ، مجرد ، مخلص .

واخي صدقي اسماعيل كان في نقده لبعض قصص عدد اب من الادباء من النوع الاول مع الاسف الشديد ، اقول هذا واشفع قلبي باحترامي لشخصه الذي اجله . وكم تمنيت على اخي صدقي لو راجع ما كتب من نقد لقصتي (الشمس باردة في خط الاستواء) ، وقصتي زميلي زكريا تامر وياسين رفاعية : (النهر ميت) و (الحزن في كل مكان) اقول لو راجع ما كتب بضمير ناقد متجرد ، لادرك ان نقده ان هو الا اجحاف بحق هذه القصص الثلاث .

لن انهم اخي صدقي بان غضبه من نقدي يوما في الجريدة التي اعمل بها ، الزاوية التي تقدمها السيدة زوجته من راديو دمشق ، تدخل في هذا النقد ، فليس من شيم الاديب ان يسف الى درك المهارات الصيبانية ، ولكنني احب ان اناقشه نقاشا موضوعيا ، هادئا ، موجزا - لفريق المجال - حول البنود التي شاء ان يقسم اليها نقده لقصتي ، اذ يقول عني انه حشد فيها ما يلي :

١ - شخص يختنق في مدينته المخيفة لان الحياة فيها مجرد ضياع (ما هي نقطة الضعف يا حضرة الناقد في اختناق نفسي لشخص يشعر بالضياع في المدينة ؟)

٢ - حكاية تحليلية عن شاب دله ابوه في الصغر فنشأ جباناً ، ولكن الاب في الوقت نفسه يشد على يده يوم الذهاب الى الجندية ويوصيه بان يعرف واجبه . (لماذا اوهمت القاريء يا اخي صدقي بانني اتكلم عن شخصين ، اسميت - انت الاول في البند الاول من النقد « شخصا » ثم اسميته في البند الثاني « شابا » ، ثم متى كانت الكتابة عن توصية والد عربي لابنه الذهاب الى الجندية والذي كثيرا ما دله في صفه ، توصيته له بان يعرف واجبه ، ضربا من الخطل يجعل منه مأخذا على القصة ؟ ثم لماذا اغفلت المرر لهذا التصرف والذي ورد في القصة يقول ان الاب قد عجم عود الجندية وحارب في ميسلون والدردينيل وفلسطين؟)

٣ - يقول الناقد عني : ينتقل من لعنة الجبن التي تنهال عليه في كل مكان الى البطولة ، ويصبح بطلا بكلمة واحدة هي : في صباح اليوم التالي كان خبر تسلي الى مراكز العدو ونسفي الجسر حديث الخطوط على طولها . (في هذا النقد خطأ لا ارتضيه لآخي صدقي اسماعيل الذي اعرفه كثير التبصر في المفاهيم ، والا لماذا يعجب من ان

لا يستطيعون ان يظلوا قانعين بنصف المعرفة .

وعلى كل مهما اسهبت في شرح ملابسات القصة الحديثة فقد لا اتوصل الى اكثر من ان ثمة اعتبارات معينة تطفئ على حاسة الجمال عند القصاص المبدع ، وهي نفسها - هذه الاعتبارات - تجيء عفوا .. في العدد الماضي من الاداب اخرج الاستاذ صدقي اسماعيل مقومات للقصة اثناء نقده لعدد من القصص ، والحقيقة ان هذه المقومات تصدم عقل المثقف الحديث - الخط الواحد الذي يتسلسل فيه الموضوع ، العبارة البسيطة الحية ، ترابط الصور الفنية ، الوضوح الذي يفرضه هذا اللون من الادب - ماذا يعني الخط الواحد الذي يتسلسل فيه الموضوع ، وهل يمكننا ن نعتبره من مقومات القصة؟

ان الخط الواحد الذي يتسلسل فيه الموضوع ، والعبارة البسيطة الحية والوضوح الذي يفرضه هذا اللون من الادب كل هذا انما هو من مقومات المقالة ، اللهم الا اذا اراد الناقد ان يعود الى الواقعية الفوتوغرافية - التسجيل الالي لظاهر الحياة دون المساس بجوهر اعماقها ، الامور يجب ان تجري كما تجري في الحياة حيث الكثير منها لا يجري قط بذات الاسلوب - ان الناقد يرى ان القصص كلما توغل في النادر والغريب ازداد غموضا وتمعتا ، قد يكون الحافز على هذه النظرة استنارة عقلية جديدة بالاحترام الا انه لا يسعنا التجاوب معها في هذه الايام ، فنحن نهوى الغريب النادر ولا نتجاوب مع المألوف المبثمل ، او لعل علاقتنا مع المبثمل معقدة على الاقل ، فقد نرغب في شيء من عناصر الابتذال في لغة الشعر والادب عموما على ان يبلغ حد التطرف والتحويل بحيث يخدم كحد اقصى امكانيات الحياة اليومية ، وبالاختصار نرضى بالمبثمل متى قارب الغريب النادر واندمج فيه .

ثم هناك ناحية يجدر بالناقد الكريم الالتفات اليها - تلك الاستطرادات التي ليست لها علاقة بالموضوع . ان السيد فاضل السبائي يقدم جزءا من الحياة الواقعية في قصته « الربع الحلال » فهل من الضروري ان تكون للاستطرادات علاقة بالحادث الرئيسي ، مع ملاحظة ان القصص يقدم صورة حياتية بشكل مثلي؟ لا ينكر ان نقد الاستاذ صدقي ينفذ في على معان سامية تستحق الملاحظة ، ولكن لا يسعنا ان نتجاهل حبه لسوقية اللفظة كتعبير مثالي في القصة ، ورفضه لعبارات حية معبرة - « بان لعينيه الباص يلفظه المنحنى هناك » « وعن الباص » ، « امتص حاجته من الوقوف » ثم « اظفرت من تحت شاربيه بسمة طيبة » اذا كان ثمة تحذلق في هذه العبارات فلا بد لي من ان اسأل الناقد الكريم رايه : في قصة « انا قلدرون - لسالارويه » عبارات شتى مثل - « انها زهرة عجيبة من الحديد الابيض كان يفوح منها عطر موسيقى » وكذلك « انفرست الابرة في الثلم . وارتفعت الاغنية في النسيم الفاتر كأنها شيء مسحور ، وجمدت احراج الجوز في البعيد عروقها واخضت تصفي ، وكانت نجمة السماء تبدو وكأنها تكبر وتصفر كما لو كانت معلقة في خيط ، ثم غمست وهم يرفعونها او ينزلونها في ماء الليل الهاديء » - ايها اشد غرابة ، وايهما اشد تحذلقا ؟ ليست عبارات سالارويه ؟

ثم في قصة النهر ميت - « اكل الذباب عينيه » ، « انا عنكبوت ، انا غبار ، انا ذباب المدينة الخ » . ان هذه الالفاظ لا تخالو من المبررات الفنية التي تثبت ضرورتها ، لذلك لم تات خالية من حرارة الصدق والتعبير على نحو ما توهم الناقد ، وواضح ان تجريد اللفظ عن ملابساته الداخلية النابتة في ارض الواقع يجرد الناقد معها من

التتبع الشعوري لنمو الظاهرة ، ولست اجد للاستاذ « صدقي » عذرا في هذا التجريد الا عدم قدرته على تفهم جذور القصة مما جملة ينكب على نقد الالفاظ الظاهرية دونما وعي بالظروف الموضوعية المحيطة ببطل القصة .

لقد امتاز نقد الاستاذ صدقي بكونه تحليلا سيكولوجيا للغة ، وهذا اسلوب نافع في النقد لولا ان في الادب لحظات لا تبوح بسر قوتها الى دراسة لقوية لان تلك القوة لا تعتمد على اللغة بل على الخيال الادبي . - عندما نطالع كيف انتهبك البطل حرمة اخته وداس شرفها ، وكيف ماتت منتحرة ، او كيف دب الياس في نفسه الاسترسال في نشوة واسى عميقين - اي شيء يستطيع ان يوضح سلطان هذه اللحظات علينا هل تستطيع الالفاظ والعبارات البسيطة ان توضح مثل هذا الحادث ، بل وحتى عندما نستحسن التعبير اللفظي عن تلك المشاعر لا يسعنا ان نعالج لفته بالتحليل ، لان التعبير انما كان حقيقة ادبية لا منطقا سيكولوجيا .

اما وان الاستاذ « صدقي » يضع القصص المتمرس موضع التلميذ المبتدئ - تراث كثيرا في نشر ما تكتب ، واقرا كثيرا ولا تنشر غسيلك امام الناس - فان القاريء الحساس يشمئز من هذه الصور ولا يقتنع بهذه الثورة الكلامية - البلاغية ، ان مثل هذه الالفاظ والحسوار والمخاطبة اصبح شيئا مستهجننا في النقد الادبي حيث لا يتسع المجال رحبا امام مناورات لفظية ومباريات بلاغية .

حتى ولو لاحظنا ان الاستاذ « صدقي » رجل صادق النية ، امين في نقده فانا يجب ان لا نتجاهل بحال من الاحوال ان ميزة فن النقد هي قوته واندفاعه بحيث تتبخر الاشياء البغيضة بسبب قربها من الجمال والحقيقة . وان ناقد القصة اليوم يجب ان يجمع بين حكم الاداب وحكم الذوق والجمال .

حسان منير

دمشق

من « رابطة الادباء العرب »

كتابان خطيران

عارنا في الجزر : لجان بول سارتر

الجلادون : لهنري الخ

ترجمة عابدة وسهيل ادريس

دار الاداب

القصائد

بقلم: محيي الدين صبحي

✱-✱-✱

منذ شعور وأنا في شوق الى فرحة عرمة بان اطر على جناح حرف الى عالم من نغم وخيال وطموح يراد العلياء ، او يفوس فيفضح للقلب اسراره ، ويعري التوق في حسن مجلو ونزوة متلهفة راعشة .

ان الشعر في العراق ! اكلمنا اسدل الستار وتقطعت الاسباب بيننا وبين الرفادين قدر علينا الحرمان من ابنة السياب بجبروتها ومن اغنيات الملائكة بشحوبها ؟ وفي الحق ان الشعر العربي يتيم بعد صمت الجبارين البعيدين كأبوريشه والقباني والحاوي والعراقيين .. اما سلمى الخضراء فما تزال تعطي بكرم ، واننا لنأمل ان نرى ديوانها في العاجل القريب . اما الخطير في الامر فهو انه ما طلع في دنيا الملهمين واحد يشير بخير الا وصمت بعد اول ديوان ... ولنا في شعراء مصر مثولة حسنة ... كان موهبتهم لمع براعة وليست ضوء نجم . وعلى الرغم من ان موهبتهم قد استهلكها - فيما يبدو - ديوان واحد ، فان لهم قصائد تحمل بعض التعبير عن روح الامة والعصر ، كما ان فيها بعض التمكن من فن الشعر وصناعة الشعر . اما ما نقرأه ف شعر «حديث»! خال من اي تعبير « حديث » وان وجد شيء يحمل بعضا من رفيف ففارق في ركام الكلام العادي والفكرة المبثثة حتى نكاد نستذكر المثل القديم « رب جوهرة في خرابة » . ويدخل في هذا الباب من شعر العدد الماضي قصيدة خليل خوري « الى سواد عينين » . وهي قسمان : ١ - « الصحو المخمور » : قصيدة كان يمكن ان تكون جيدة لان الحركة النفسية واضحة في بعض المقاطع .. واننا لنقع في دوار اذ نقرأ منها : .. وصفاء الابيض النسمان في اتوابه

ابدا القاه يرميني ، على شيطان لا ادري مداها
ليل عينيك وارحل .

الا انني لم استطع ابدا - رغم محاولاتي المخلصة - ان افهم مطلع القصيدة :

انت ، ما ترنين ، شيء ليس لي عهد به
فانا لم افهم معنى « انت ما ترنين شيء » اذ ان الجملة اعتراضية (ما ترنين) ليس لها اي معنى سوى الوقع الموسيقي . ولا يستقيم المعنى الا اذا كانت «ما ترنين» اسم علم مثل «جانين» .. ثم يتم القصيدة على هذا الشكل :

في وجودي يتململ

وضبابيا ، ومن لون الصحاري وجبيبات الندى في موقله .
تري ما هو عامل النصب في « وضبابيا » ؟ على ان القصيدة في

جمالها متماسكة وفيها دفقة شعورية وشعرية كان يمكن ان تكون اكثر. تأثرا لو استمر الشاعر في هذا النسق من البوح ، لكنه بتر ، وابتدا مقطوعة جديدة هي « الوهن العاني » يشتكي فيها من انه يعجز عن الحب امام من يهوى كما قال الشاعر القديم :

فما هو الا ان اراها فجأة فابتهت حتى ما اكاد اجيب !
ولكنه لا يعطي المعنى بهذا الشكل المختصر وانما يعطيه بحسب الشكل الحديث الذي يستخدم طريقة الاحياء والتجسيد :
تبهت الحاء ، وتشقى الباء
كي توضح ما ليس يعرف !
وفيما بعد :

وتمد الماء كفا

وتمد الباء اضلاع السلال !!

وهكذا توضع الخمر القديمة في باطية جديده وتقدم للقارئ على انها شعر حديث !

والمشكلة - فيما تبدو لي - مشكلة الانسان العربي : يكون ابداعه جديدا على مدى تجده وتخليه عن القيم المتينة واعتناقه امثله جديده واستشرافه لحياة جديدة وتعبير جديد . وقد عرض امثله هذه الحال الشاعر المجدد صلاح عبد الصبور فقال :
قد يعقد الوجد للسان
فلا تسلمني عن خبر

واستمر بعد ذلك في تقديم التجربة ...

ان المشكلة في كل قصائد العدد (ما عدا سميتك ، وكلمات انسان مامر ، وستشرق الشمس ثالثة) هو وقوف الشاعر عند حدود التجربة الضيقة دون ان يقدر على الاطلاق الى افق انساني واننا لنسأل انفسنا بعد قراءة هذه القصيدة : عم اراد الشاعر ان يمر ؟ اعني : ان الانسان امام الحب او امام الجمال او عن ضعف ادوات التعبير ؟ .. ان القصيدة سرد معدوم الحركة .

ويلحق بهذه القصيدة - من حيث كونها محصورة في رؤيا مسطحة - قصيدة « الطريق الشائك » للشاعر كيلاني سند وفيها يظهر خداع الصور على اشداه ، فالشاعر يحاول ان يصور صعوبة الدرب الذي نشقه في سبيل حياة افضل فيعتمد التهويل في تعداد المفاوز المهلكة : اجتياز البحار وصعود الجبال وارتياق القفار وانسحاق الدماء في سبيل اغنية ! ومع ذلك فالقصيدة تعجز عن اثارة عصب واحد في حساسيتنا لانها سرد لعدد من الصعاب وليست تحليلا للجهد الذي يقتضيه اي منها . ان القصيدة تخلو تماما من روح التحدي والتمرد ومن كل العوامل التي تصور الصراع . انها « قائمة مشاكل » اكثر منها وقفة شعرية على امجاد جيل يصارع الاقدار ويهزمها . وهي مع كل ذلك تحتوي قدرا من (نظم المنشور) .. قدرا يكفي اية قصيدة لان تتحطم . اسمعوا :

كم جبهة عالية ، ملهمة مفكرة

ما أبدعته في سجل الخالدين مفخرة !

وفوق هذا كله ... نلمح قاموس نزار قباني.. ولكن خاليا من انافسة الصانع الاول. ومن هذا النسق في « نفخ » المعنى القليل و « تلويبه » في اكبر مقدار من الصور قصيدة « التتر الحمر في كركوك »... وهي من شعر « النعثة الوطنية » التي شاهدها ايام البطلة « جميلة » حين جرب كل ناظم « مبضع تفاعيله » في موضوع جميلة ... وما مر عامان حتى نسينا كل ما كتب عنها - لخلوه من الاصاله والصدق - وبقيت البطولة تنادي شاعرا يمجدها ! ان ما يذبح كل هذا الشعر عدم تروي اصحابه حتى تنجلي لهم رؤيا انسانية تربط شعرهم بقضية ما ... أقول هذا لانني اجد في قصيدة الشاعر « رفيق الخوري » مثلا طيبا على اللفظة الحلوة اضاعتها قلة الروية . يقول الشاعر :

الحب ... والسلام ... والرغيف

ملطخ بالدم ... بالخريف

ممزق في الدرب مصلوب على النخيل

وقمر الجريمة الهزيل

يفمر بالاشعة الحاقدة السوداء

جمجمة لعلقة سمراء

تركها الاقدام في انتشاء

ولم تزل خصلاتها ترف للمساء

ترسم درب عودة لبيتها المضاء

لامها .. للوالد الشغوف

ترسم تاريخا بلا حروف

هذا المشهد يأتي بعد عديد من الابيات التي تتحدث عن الدماء والحقد والاشلاء والرصاص ... الخ. . ويعرض المشهد ثم تنتهي القصيدة باعلامنا ان التتر الحمر فقؤوا الف عين بريئة وشربوا الخمر في جماجم الاطفال .

بماذا يفترق الشاعر عن المراسل الصحافي ؟ لعل الاخير يضطر الى الاجاز أكثر ! وبماذا يفترق فن الشعر عن فن الريبورتاج ؟ ان الاطفال المذنبين والاطفال القتلى رمز استقل منذ حديث المسيح عنهم الى اليوم ... وقد كتب فيهم دوستوفسكي (وهو روائي وليس شاعرا) اعرق مناقشاته عن خلاص العالم فقال بما معناه (اذا كان خلاص العالم مرهونا بشقاء طفل يعذب في الظلام ، فهل نرضى بهذا الخلاص ؟) وبذلك رفع دوستوفسكي هذا الرمز وساواه بالقدر وربطه بقضية مصير الانسان وخلاصه عن طريق ثورة حمراء ! ترى لم هذه السطحية؟ وما سبب العمق ؟ هل السبب قلة الموهبة ام قلة الثقافة ام قلة التأني؟ هل اتابع الحساب ؟ الحب والسلام والرغيف .. ملطخ بالدم ... بالخريف . انا افهم ان يلطخ الرغيف بالدم ولكن ما ذنب الخريف ؟ هل يقال ان هذه استعارة او رمز ؟ في البلاغة القديمة كانوا يعجبون بما يسمى (الترشيح للاستعارة) اي خلق الجو المهد لانتقال كلمة من معنى الى معنى اخر كأن تكون حسية فتجرد والعكس اما هنا فالفاجأة تامة حتى لا نستطيع ان نقول الا ان الخريف جاءت فافية للرغيف كما ان صفة « هزيل » في « القمر الهزيل » جاءت على قافية النخيل وكذلك بقية الصفات والقوافي ... على ان هذا كله مقبول - ففيه على الاقل محاولة اولية لايجاد فن او ما يشبه الفن .. وهناك اثر جهد ولو في وضع الصفات والقوافي ، اما قصيدة « طارق الليل » ففيها

حسب تعبير محيي الدين محمد - سوء « تمثل » لنشيد الانشاد حين يقول : افتحي يا اختي يا حمامتي . رأسي امتلا طلا .. الخ... وكذلك يبدأ كامل أيوب :

نقرت نقرتين ...

صديقتي آتيت فافتحي

حتى يقول :

ومتعبا - صديقتي - آتيت من بعيد

تقودني البلاد للبلاد للبلاد

وهكذا بإمكاننا ان نتخيل كلمة « للبلاد .. » تتكرر الى ما لا نهاية بدون ان تقتضيها اية ضرورة .. كما ان تقديم الحال « متعبا » على الفعل فيه لكنه اجنبية وخروج على قواعد اللفظ ما دام ليس هناك اي لزوم للتقديم والتأخير . واذا اردنا مثالا على الركاقة وعدم استقامة الجملة العربية في ذهن الناظم حتى يكتب كلاما لا هو بالشعر ولا هو بالنثر ، قسنا من المقطوعة هذه الجمل المتتاليات :

أجل انا رجعت ...

الثوب ما خلعت ، وما فعدت ..

الى اخر هذا الكلام الذي لا يستقيم على ذوق ولا ينسجم مع اذن . واذا اردنا ان نعرف كيف ينحط الشعر الى مستوى الكلام العادي المبثمل الخالي من اي معنى قرأنا في نفس « القصيدة » قوله :

ماذا عن الاصحاب ... كلهم بخير

محمود .. في سفر ؟

ماذا يختلف هذا الكلام عن قوله : ازاي الصحاب . ان شالله مبسوطين امال ... محمود مسافر ؟

اليست سلة الهملات بحاجة الى « شعر » من هذا النوع ؟ مهبطا فما يزال لدينا من هذا النوع قصيدة (فطام) حيث يدعونا الشاعر ان نسأل (أهل الحي) و (شيخ الحارة) عن حياته العاطفية المليئة بالمغامرات :

لا تحسبوا ان فؤادي فارغ من الهوى

فلي ككل الناس قصة قديمه

وذكريات حلوة ومره

وكل ما في شعركم عرفته ، وذقته

ومت فيه الف مرة ومره

او فاسألوا عني اهالي حينما

واذا لم نجد في هذا الكلام تجربة ولاعطاء انسان ولا صنعة - ولو لفظية - ولا موسيقى ولا اي شيء يدل على الجهد فان لدينا قصيدة اخرى تحمل ذت الاقانيم ومطلعها :

ما زارني يوم

مذ مسني الهم .

وفيها من (حسن الاستدراك) ما يجعل (لكني) نصف الشعر !

ادور لكني الى ملقاك جاهد

أراقب النجوم حيث انت

واتحف السماء بالف بيت

من شعري الطليق !

وهذا بحسن التعليل في قصيدة « خليل خوري » حين يقول :

تبهت الحاء وتشقى الباء

(كي) توضح ما ليس يعرف

واذا فالتركيب الثري ظاهرة عامة . والاذن الموسيقية والذوق المرفه الذي يجعل للحرف لينا وطيبا .. أشياء مفقودة . اما المطالبة بهذا فأمور رجعية !!

ولكن لا يحق لنا ان نياس .. ففي العدد ثلاث قصائد كان لا يجوز ان يوجد غيرها ، اذ اعتقد ان تسهيل النشر يضر بالشاعر والمجلة والقراء .. وما دعنا اخفنا القصائد الست كظاهرة لدراسة « خداع الصورة » في الشعر الحديث ، وكوسيلة الى تبين « الرؤيا المحدودة التي بلا عمق » فيجدد بنا ان نبدأ بقصيدة الشاعر مجاهد عبد المنعم مجاهد كنموذج للشعر الذي يمتح من معين الحياة ويصلنا بمأساة الانسان في سبيل تحصيل لقمة وصراع الفرد ضد تقلبات رياح الرزق في مجتمع لم يحصل بعد على ضمان قانوني ضد الجوع والبؤس .

يلاحظ في المقطوعات السبع توخي اللفظة الانسانية التي تعبر عن مأساة جماعة ضمن خصوصية بطل متميز . وفي كل مقطوعة نجد الصورة نابعة من صلب الموضوع وقد جاءت لتوضحه وتزيد عليه ، لا لتزيينه . واذا كان تكثيف التجربة وعرض خلاصتها من اهم ميزات الشعر القديم، فان اعطاء التجربة كل تفصيلاتها التي تردنا الى الحياة ، من الخصائص الاساسية في الشعر العربي الحديث . والشاعر هنا يقدم تفصيلات التجربة من خلال صور متكاملة يكاد يصح لنا ان نفرسها كرموز عميقة او ان نتخذ منها امثلة نقيس عليها في مثل حالتها . ان البراعة تكمن في حياد الشاعر ، اثنا سرد التجربة . وبالطبع لم يكن معاييدا حين انتقى لنفسه موقفا تيناه واخلص في عرضه ... انه فنان ملتزم وشديد الاخلاص لقضيته . فهو يوحى الينا بأفكاره من خلال تصويره لحوادث يؤس الطبقة العاملة وايحاء تلك المقطوعات ، وخلوها من اية خطابة مججلة ، يحقق في الفن تلك الرسالة السامية في التوجيه غير المباشر للمطالبة بحال احسن . والحقيقة انه ليس هناك الفاظ شعرية ولا افكار شعرية بل هناك « تفكير شعري » اي طريقة خاصة في ترتيب الافكار والحوادث ثم عرضها بشكل يثير خيال القاريء ويؤثر في عاطفته كما في مقطوعة « العشاء الاخير » حيث يعرض قصة متحر ظل ستين يوما بلا عمل وذات مساء قدم عشاء لاولاده وشنق نفسه . وتردد زوجه :

قد قبل الصغار مرتين

ومات دونما عشاء

وعينه على حسن

و«حسن» ابنه الكبير ... الذي ملا مكان ابيه وجلب الخبز وقسمه بين

اخوته فرائه امه :

رأته يقطع الرقيق بينهم

بوزع الطعام

بكت عيونها وادركت بان سبعها

ما مات امي

بل لا يزال ...

وحولها العيال

كان العيال واجمين

كان الاخ الكبير بينهم وكان حزنها سكن

كانت تقطع الطعام

وعينها على حسن !

هنا تندمج كل عناصر العمل الشعري في سبيل تقديم الحادث ... وتكاد لاول مرة في الشعر العربي لا تبحث كثيرا عن اللفظة اللغوية والحرف المفنجان بل اننا نسير مع الحادث نتابع تفاصيله بهذا السرد البطيء الذي يربط كل صورة بما قبلها فيفمرنا بجو من الهدوء العائلي الحزين ويشعرنا بظمانينة الام وهي تنظر الى الاسرة فتراها تستعيد تماسكها بعد انهيار دعائمها . ان هذا النوع من الشعر يعتمد القدرة على خلق جو الحادثة خلقا يؤثر في نفس القاريء ويهيؤها للتعاطف مع الحادثة وتلقي الابعاء من الفن الذي دأب صاحبه عليه حتى مسح اثر الدأب فظهر بسيطا عاديا لا تكلف فيه . ولعل المقطوعة الاولى « الناس والاعلانات » من انجح المقطوعات في خلق الجو الذي يصور ثقل المدينة على صدر المهرق واللهات المسعور في مطالب الحياة اليومية ... وبعد العودة من نهار المبيع كم يشعر المرء بقربته عن اضواء المدينة المتلألئة والنوافذ المشرعة في البنايات الشاهقة والسيارات الفارحة واصوات الغناء من المذياعات :

... وكلم الفتى الجدران

وسأل الجدران : من انا ؟

فلم يجد امامه سوى الاعلان ...

وسلة الليمون في اليد الصغيره ..

وضجة المدينة الكبيره ..

ولمة النيون ...

انه احساس عانيته - يا اخي منعم - وانا طفل ابيع الاوراد .. وكم ساءلت نفسي : لمن كل هذا « اللعنان » ؟ وكم شعرت - ورجلاي تقوداني

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

صرب - ٦٥٦ - تلفون ٢٧٦٨٢

جميع الكتب المدرسية

باسعار لا تزاحم

منابع مجدية ، ناضبة الدموع
أوغل في هجيرها كأنني غريب
وحولي الجموع والجموع
مجهدة تدور
ولم أزل ادور
أهيم بين الجثث الهريئة الصدور
أحمل في اوردي ضراعة الغيب
كأنني ثورة لا تشور
كأنني قد مت من دهور
ولن أزال - الدهر - في دوامة الصراع
أبحث عن ذراع
عن بعضي المضاع
في كوم الموتى - بلا - قبور

وبذلك يعبر عن انفصال المثقف عن أمته ، ذلك الانفصال العقلي الذي يورثه التمزق والصراع في بيئة هو منها وليس منها . يكرهها ولا يستطيع أن يفادها . انه خير تعبیر عن ذلك « القرف الذهني » الذي يعانيه البعض ، ونحن وان كنا نطلب منه ان يكون أكثر حنوا على هذه الجماهير التي أعاقها اللقمة - لأسباب عديدة - عن الطموح الى خلق الذرة ... ونحن وان كنا نطلب منه ان ينظر بعين الرضى الى ما تحرزها الجماهير العربية من انتصارات في سبيل حريتها .. ونحن وان كنا لا نشاركه هذا التعالي ، فان كل ذلك لا يمنعنا من الإعجاب بوجود التعبير الفني الذي يذيب الفكرة في غمار رؤيته الجامعة ، وبذلك تخرج القصيدة قطعة من الحياة ... وملاحظتنا الأخيرة على القصيدة هي ان ذروة الانفعال تأتي ، وبشكل غير واضح تماما ، في نهاية القصيدة مما يجعلها مسطحة وليست هرمية . وهذا يقلل من قدرة القصيدة على التأثير . كما ان اصلته تبعد به عن الدوران في فلك « خبز وحشيش وقمر » والفرق بين القصيدتين يصدر في ان موقف الشاعر ظافر الحسن هو موقف فكري يستشرف حياة جديدة في حين ان الشاعر نزار قباني يكثف تفاهات الحياة القديمة . وبذلك تشكل القصيدة الجديدة خطوة تطور بالنسبة الى قصيدة النار تلك .

الاستاذ عبد الباسط الصوفي للشاعر القصاص المفكر .. استقطبته مجلة الاداب اخيرا كشافها في جمع النخبة من شباب الجيل . وقد طلع علينا عبد الباسط بعمقه وصفائه وخياله ، متجليا بتلك القصيدة الرائعة « سبوتنيك » فقدم لنا شعرا تتوازن فيه عناصر الابداع بتناسق الفكرة والاداء والنغم فكاننا من القصيدة خيال بناء شديد الرسوخ شاق السموق . وهنا اذا اردنا ان نسال الشاعر : ماذا يريد ان يقول ؟ اجابتنا القصيدة بطوفان من الافكار والشفافية . « سبوتنيك » حديث العالم ومعجزة العصر ! كيف تكون؟ وكم كلف الانسانية ؟ وما معناه للانسان .. تلك اسئلة تتوارد في اذهان المخلصين للانسانية ، المتمقين في تطورات حياتها . وكما لعن الكثيرون بناء الاهرام حين علموا ان ثمنها ارواح نصف مليون انسان .. يلعن شاعرنا الكبير « سبوتنيك » هرم النصف الثاني من القرن العشرين . انه يتساءل ويجيب . انه يعرف المذابح ومشاق الحرية التي انتصبت كي يرتفع على حطامها « سبوتنيك » يجوز الحدود . ان التجربة الغربية حولت تمرد الانسان الى الطبيعة ... ليتقلب عليها ويكتشف قوانينها ويخضعها لمشيئته . وفي سبيل ذلك هانت القيم وضاعت الحريات وامتن الانسان فتحول من كائن مفرد

الى الكوخ - بان الشوارع الفسيحة اكبر مني الى حد يضيئي . واليوم وانا اقرأ هذه المشكلات شعرا اسوان يخلو من خطابية المظاهرات انفاعل بمستقبل امتنا وقرب تخلصها من كابوس اليأس .. ولي عندك رجاء صغرى هو ان هذا النوع من الشعر صعب وليس فيه حد وسط فهل آمل منك ان تحارب اي انحدار سوف يصدر عن اتباع هذه المدرسة؟ ويكاد الدوار يقشي عيني كلما تصورت (شعراء الموضة) الذين سوف يقلدون هذا الاتجاه واذا بنا امام كل اخبار الجرائد وقد نظمت شعرا ! انا اعلم ان اختيار مثل هذه اللقطات يحتاج الى ثقافة واسعة وحس شديد الرفاهة ، بل انني لالبح تشايبها في روح الانتقاء وطريقة العطاء بينك وبين او . هنري . حتى ان مقطوعة « بائعة العطور » تشابه قصة « غرام النصف قرش » عند ذلك الكاتب . - ولا اتهمك ، فقصة تلك تختلف تماما عن قصة مقطوعتك . لذلك ارجو منك ان تكون قيما على مذهبك اذ انني الالامع من خلال شخصيتك الاف القلدين . كما ارجو منك انت بالذات ان تكون اكثر عناية بفنية التعبير وعدم الاتكاء على الركافة بحجة البساطة كما في المقطوعة السادسة .

واذا كانت القصيدة السابقة مثالي على طريقة احياء التجربة وتقديمها في الشعر الحديث فان (كلمات انسان معاصر) للشاعر ظافر الحسن تعطينا مثالا ثانيا على عمق الرؤيا الشعرية وتمكن الشاعر من فنه حتى يفمرنا بشورته ودفقات تمرده العاني على استسلام انسان الوطن للقدر وقرقه في الفراغ والصخر المهرق .. والمدن الجائية في رهبة البارود تستغفر الاله « تستغفر الفولاذ بالصلاه » :

تهتف في آناه :

« يا ايها المأمرون في مدى البحار
« في الجزر المشدوهة التخوم
« يا ايها المارودون شرفة النجوم
« والقمر الغريب
« لا تزل في سجننا المذهب الكبير
« قوافل خيامها الجليد والسعر
« واعين ذاهلة مسيخة الشعور
« تبحث في عنابر هتيكة الستور
« يدرها الاله بالشورور
« بالسبق المحرق .. بالحمام
« لا تزال في سجننا الملوث المخيف
« تبحث عن رغيغ
« ومرقد يضمها المساء في سلام .

وبذلك نطل عينه - بلمحة خاطفة - على كل مشاكلنا في هذا العصر : بقية الارض تراود النجوم والقمر ونحن ما نزال نناقش الخير والشر ، والفكرة الالهية تشغلنا بكبت شهواتنا فنحيا في سجن من الشبق والفقر حتى نستسلم ولا نعود نريد غير الراحة .. أما المواطن الثائر . أما الفكر الذي عرف مكان وطنه من خط سير العالم فانه لا يملك الا ان ينظر الى هذه الجموع وقد شغلها هم الحياة اليومية - اللقمة والراحة - عن كل طموح فيتمزق اما ويشعر بفرته عن قومه وبمعجزه عن تركهم والحقا بعالم حديث متقدم . ان الفرد يشعر بارتباط عضوي مع امته ولو خالفها وابتعد عن عقليتها ، بل انه ليضيق بها ويتمنى ان يجرها معه والا احس بالشلل كما في الابيات التي تنتهي بها القصيدة :

موطني الموتى - بلا - قبور

ألى رقم في سجل الانتاج... انه الانسان «أثمن رأسمال» حسب قول ستالين... اما الانسان «أثمن مثل - فذلك شيء» رجعي» ليس واردا في الحساب . وفي صمت الرؤوس المطرقة على الآلات والظهور المكنسة والعمل الجبري ، وفي كل الظلم الاخرس الذي يمثلته الجزء الثاني من الحضارة الصناعية يرتفع سبوتنيك « في سحق الفضاء» والإبعاد الزرق :

ويلتفت العالم المثقل
والف وجوم ، به ، يسأل
وينفض ليل الظنون عليه
ويحتقن الرعب ، في مقلتيه
وسمره وجل منهل

ويتسمر العالم من الرعب... فما كان لكشف مثل هذا ، نمته حياة ملايين البشر ، ان يكون بشير خير في يد أئيمة .. تبدأ التصريحات تعلن « ولادة عصر جديد » وتمتليء بالزهو ملايين الرؤوس الفارغة من اي وعي.. ويدب الكبر في النفوس : ويسكر بالفخر من اصمهم ضجيج المصانع :

« عمالقة نحن، نرفع الهة من حديد
اتيناك ، يا نهر الزمان تدفق
وفجر ، من الغيب ، ما كان مفلق ...

وفيما الصدور تزخر بالاماني تبلغ القصيدة ذروتها مدوية مع صخب الملايين وشعارات السلام ورنين كؤوس الفودكا .. ثم يهدأ النغم في سكرة الظفر ويرن لحن مفرد هاديء النغم كما في اية سوناتا جميلة ..

وماتت اغاني المروج ، القديمة
ويمتظ ، في الارض ، ظل الجريمة
« زفاغو » صدى يائس لا ينাম
تطارده لعنات الظلام

وتنطلق نبوءة الشعر :

هنا .. من سجون « زفاغو » الهزيمة

فحرية الانسان وكرامته ... اولا ، وكل بناء لا يحترم حرية الفكر يحمل عناصر فساده في ثنياته :

هنا ، يتصلب فيد ، على الجرح ، بين الصديد
حضارة ضوضاء ، حالة بالفضاء البعيد
تفح ، وتلفظ ، انسانها قطعة من جليد
وفي « الكرملين » يقولون : عصر جديد .. جديد

وبذلك تأتي النهاية تمة طبيعية لكل العناصر الفنية التي تساهم في هذا البناء الفني الممتاز ، واول هذه العناصر السخر المر الذي يلف الجو الفكري للقصيدة بأجمعها ، فهو منذ بداية القصيدة يبدأ بمخاطبته باحتقار : « من الارض رحت رسولا غبيا » .. ويبدأ بتصويره تصويرا هزليا كاريكاتيريا ، فهذا الصاروخ الفولاذي (الرسول الغبي) يومض كاللمح ، عيونه موهلة في سحق الفضاء ، ثم يجمع بين السخر والاحتقار حين يبين المعنى الذي خلق على السبوتنيك : فسروا وجوده بأنه تمرد سوف يكشف لغز الحياة . ثم ينتقل الشاعر من السماء الى الارض فيصور المواقب التي سارت تفخر به : جرعة فودكا ، صخب عيد ، عمالقة نحن ، ملايين ساروا ، تراكم رقم . وينتهي ذلك السخر بمأساة ظهور زيفاغو تطارده لعنات الظلام فيفصح الشاعر اخيرا عن كرهه لحضارة تحلم بالفضاء وتلفظ انسانها قطعة من جليد .

وثاني تلك العناصر الفنية الصورة الانثوية للفضاء : « في هجمة الأوج تفقو ثلوج الفناء » . وبذلك نحس ثقل وجود الصاروخ . وهو يثير هذا الشعور بالتعاكس حين يصور الاحتفال بصخبه وملايينه ثم انات زيفاغو السجين .

والتوزيع العاطفي للقصيدة توزيع هرمي حيث يعلو نغم الفخر : عمالقة نحن ... وينتهي بالانات

والقصيدة بأجمعها شعر على مستوى القضية التي يعالجها . وهذا التوازن بين عناصر القصيدة يمنحها طابع الكلاسيكية الجديدة .

ولعل مما يزيد في قيمتها ان اكثر الشعر المعاصر قد اصبح خاليا من العنصر الفكري فجاءت هذه القصيدة بداية خير لشعر يشترك العقل في تفوقه . ومن الممكن ان نقول ان هذه القصيدة ليست فقط خير ما في العدد من شعر بل من خير قصائد موسم الصيف عامة ... وانسا لنأمل ان نلتقي دائما مع هذا الشاعر المفكر .

دمشق محيي الدين صبحي

القصص

بقلم عابدة مطرجي أدريس

احدى قصص العدد الماضي من الاداب قصة مترجمة للكاتب السلفادوري سالارويه . وهي قصة تعتبر نموذجا رائعا للقصيدة القصيرة الموجزة ، المركزة ، المعبرة ، البسيطة في ادائها ، العميقة بمحتواها الانساني ، ذات التصوير النفسي الدقيق والاسلوب الموحى الذي يتماوج مع ذبذبات العاطفة والصورة والفكرة .

فالقصيدة قصيرة لا تتجاوز الصفحة والنصف من صفحات هذه المجلة وهي موجزة ، يقطع الكاتب فيها جملة قطعا همه الوحيد منها ان يصل الى الغاية التي من اجلها كتب قصته : « بذل غويو وابنه جهدهما فانطلقا يصطحبان الفونوغراف الى الهندوراس . وكان المعجوز يعلق الصندوق على ظهره . وكان الصبي يحمل كيس الاسطوانات والبوق اللتوي الذي كان يشبه جرسا كبيرا .. »

وفي الصورة الصغيرة الموحية التالية، عبر الكاتب عن موت غويو وابنه تعبيرا كان يحتاج الى عشرات السطور . لقد اكتفى بقوله « وشاهدتهما الاضواء الاولى هناك ، وهما نصف مجلدين متوجعين ، مخدرين من البرد ، فاغري الفم البشع واللاعب ، وقد تقلصا نصف تقلص على القطاء الممزق الوسخ المخطط كحمار وحشي . » تاركا لخيال القاريء ان يحمل وان يمتد ضمن الاطار الدقيق الذي رسم له ، فيعيد بناء الصورة بمختلف ابعادها الشعورية ، وبحس بلذة كبرى ، هي لذة التفاعل والمشاركة في الاكتشاف ولايجازها جاءت القصة مركزة تركيزا شديدا . فبناؤها متين وهي تسمى بسرعة نحو الفكرة الرئيسية التي يريد المؤلف ان يؤديها . وهي الى جانب ذلك بسيطة في اسلوبها ولكنها عميقة في معناها . فالفاصل يرتكز على فكرة فلسفية تقول بان الانسان طيب بطبعه ، وهو لا يريد الشر وانما الظروف هي التي تجعله شريرا . وهو يدلل على ذلك بهوقف اللصوص الذين يسرقون الخيرات والحيات ولكنهم ، ما ان يخلوا الى انفسهم ، حتى تعود تلك النزعة الانسانية الخيرة فيهم فتطفو ، فاذا هم « يكون » وفي هذه العبارة من القوة والايحاء ما يجعل القاريء يهتز من التأثير والاقتناع .

وفي القصة مواقف انسانية رائعة أخرى ، كالشاهد الذي تظهر فيه العاطفة الابوية عند غويو الذي لم يداعب في حياته طفله ، ضمه الآن الى صدره واحاطه بذراعيه اذ رآه في هذا المجال الفسيح الرهيب من شاملسون خائفا ، منهوك القوى ، يريد ان ينم ان الوحدة هي المحك الرئيسي للعواطف الانسانية ، للعواطف الطيبة التي تكمن في اشدنا وحشية .

اما الاسلوب فهو ، على بساطته ، رائع . انه يلائم جو القصة ملائمة شديدة ، بل لعله هو الذي يخلقه . فهو يوحى بالرهبة حين يقول : « فقد دلفا الى الجبل عندما هبط المساء . ونظفا مكانا صغيرا تحت سفح شجرة ، وامضيا هنالك الليل ، وهما يصفيان الى صرير الصراصير والى طنين البرغش ، يصفيان من دون ان يتجرأا على التنفس وهما يرتجفان من البرد والخوف . » وهو يوحى بالبساطة والبراءة والنعومة اذ ينطلق من فم فتى صغير فيأتي الحوار معبرا عنها بـ « اه ، ذلك ان الحزام يسبب لي الما في ظهري .. » « يا بابا ، هل يوجد هنا حيات ؟ .. » « ان كنت ستدخن فدخن تحت قبعتك يا بابا ، فان شاهدوا البصيص فانهم سيجدوننا » وهو في مواقف أخرى شعري ساحر ينساب سلسا عذبا يدغدغ العاطفة الانسانية ويدعو الى التأمل : « وارتفعت الاغنية في النسيم الفاتر كأنها شيء مسحور . وجمدت احراج الجوز في البعيد عروفا واخذت نصفي . وكانت نجمة المساء تبدو وكأنها تصفر وتكبر كما لو كانت مطلقة بخيط ثم غمست وهم يرفعونها او ينزلونها في ماء الليل الهاديء » . انه جو يعيد الطمانينة الى النفس ، فاذا هي تصفو من ذلك الضباب الكثيف الذي كان يكتنفها ، واذا الانسان عار ينصت امام نفسه ، على صوت « اغنية حزينة على الفيتار .. اغنية ذات نبرات شاكية وغصات حب وعظمة . وكانت انغام الفيتار المنخفضة تئن وهي تنهد من الرغبة . وكانت المغنية الصغيرة تشكو ظلاما وهي يائسة ! في هذا الجو العابق بالموسيقى تبادل اللصوص النظرات ثم اطلقوا زفرة .

لقد اثر فيهم هذا التعبير الفني الوحيد الذي يمكن ان يتجاوز معه اناس ما يزالون في حياتهم البدائية ، هذا التعبير الفئاني الذي يحاكي القلب وينفذ الى المشاعر فيتعانق معها الانسان الخير ، لمجرد كونه انسانا ، من اجل ذلك اعترف للصوص بانهم قذرون ، ولهذا ايضا اخذوا يكون .

الابواب المغلقة

هذه القصة للكاتب المصري عطاء النقاش يمكن ان نرى فيها صورة للادب العربي الحديث المطعم بادب الغرب والمتأثر بثقافته تأثرا لا يفقده طابعه الخاص الذي ينبع من مجتمعا وارضنا ونفسيتنا .

فموضوعها ليس بالجديد . وهي تلج على فكرة تأثر العيون على المرء ، تلك العيون التي تعتبر « السد المتع في وجه كل تفاهم بشري » فهي « تأكل وجوده وتعريه من كل شيء » انها عبارات سارتر نفسها واحدى الركائز الرئيسية التي تنتظم فلسفته الوجودية وموضوع روايته « الجلسة السرية » . وروح سارتر موجودة في هذه الدعوة الى الانطلاق من القيود التي تكبلنا ، وتقيق سيرنا على الخط الذي نرتضيه لانفسنا . نفس الروح الكئيبة ، والقلق والفشيان ، نفس التشاؤم من وجود اي سبيل للتفاهم فكانها عبارة سارتر تعود الينا لتذكركنا بان « الجحيم هو الاخرون » .

« انا قد سئمت حياتي على نحو مر ومضن وقاتل .. ما من مرة حاولت فيها ان اغزو اكتابي وخوفي الا وعدت وفي نفسي خيبة وبقلبي انقباض .. » - « ولكن شيئا ما في عيونهم كان يمنعي ، كان نمة سد قاس ومخيف ورهيب يمنعي ويحبس الحروف على شفتي ويميتها » . هذا التأثير الواضح بسارتر في القسم الاول من القصة يضعف قليلا ليحل محله تأثيرات أخرى اذ يبدو في القسم الثاني من القصة التفاهم ممكنا بين عيون اربعة ، تعترم هي ايضا ان تتحرر وان تعيش حياتها كما يحلو لها ان تعيش ، عينا البطل ، وعينا ليلي . هذا التفاهم يشكل قوة هائلة تجعل كلا منهما قابلا لان يثور ، وهكذا يصبح هذا الاخر ، الذي كان بالامس بغيضا خاملا ، قوة معجبة . وهنا يقترب الكاتب من نظرة « مارسيل » الى الاخر على انه مصدر سعادة وقوة وانطلاق . ولكن الكاتب لا يسعى اشواطا مع « مارسيل » . اذ تظلل هناك عيون أخرى تراقبه وتحاصره فيمقتها . ويظل المؤلف ملتصقا بنظرة سارتر الى الآخرين . اما هذا الاخر الذي احبه واندمج فيه ، فما هو الا جزء منه ، من كيانه هذا المتحضر ، المستقوي لمواجهة الآخرين ، الداعي الى التحدي .

ويعود الكاتب ليوثق بين نظرتي سارتر ومارسيل بصورة ملحوظة جدا في القسم الثالث من القصة حيث يشتد العزم لمواجهة الآخرين باصرار وتحد مهما كان الثمن غاليا . فالبطل سيكلم المدير بلهجة جافة وصريحة ، وسوف يضم حبيته فوزية امام اهلها ، وكذلك ستفعل ليلي ، ستواجه عيون والدها ، ستتحدى ارادته ، سترفض ان يفرض عليها الزواج من شخص لا تريده هي .

ولكن هذا التحدي السارتري رائده لا البفض بل الحب ، الحب الذي يشع في فلسفة « مارسيل » . ان ليلي تحب والدها ولا تمقته ولكنها تريد ان يفهمها . وكذلك البطل لم يعد يمقت الناس ، انسه سيواجه عيونهم بمطف وحب لان نظرهم اليه سوف تتغير ، سيفهمه من اساء فهمه ، وهكذا تفتح الابواب المغلقة ، فيتحرر المؤلف من تأثير سارتر ليلتقي مع مارسيل في جو عابق بالامل والحب ..

راينا الى اي حد بدا الكاتب متأثرا في موضوعه ببطلي الفلسفة الوجودية ولكن هل طغى هذا التأثير الى حد بدا فيه المؤلف نسخة مشوهة عنهما ؟

لا . ان الكاتب قد هضم ما قرأه عن سارتر ومارسيل . ولذا أصبح بإمكانه ان يتصرف بتلك المعلومات ويتلاعب بها . ويخيل الي ان الكاتب لم يكن ليتأثر هذا التأثير بسارتر لو لم يكن لديه استعداد نفسي مبني للتقبل . انه يستغل مفهوم سارتر ومارسيل ليحوله في مختبره الخاص ، من خلال تجربات خاصة الى نظرة متعددة الابعاد ، مختلفة الرامي .

ان عيون الآخرين البغيضة أصبحت ترمز هنا الى افاننا الاجتماعية العربية . انها العيون الجاهلة المتمثلة في الاب الذي يبخل بالمال لتعليم ابنه ، وفي الفتاة التي حازت على درجة رفيعة من العلم وبقيت بلا تشقق او بالاحرى بقيت هذه الثقافة رموزا لم تستغلها في تطوير مجرى حياتها . والعيون البغيضة ترمز ايضا الى الاسرة التي نغشق انطلاقات الشباب العاطفية نحو من يحبون ، ويفرضون الزواج بالقوة على الفتاة كما كان يفرض ذلك عليها ازمان كانت جاهلة . والعيون التي

في نفسه حتى باتت جزءا لا يتجزأ من كيانه الفني، فلا عجب ان يصبح الاسلوب واسطة طيعة لنقل خلجات نفسه وتطورات عاطفته وان يأتي سلسا معبرا بسيطا . ويمكننا ان نعتبر هذه القصة واحدة من قصصنا المعبرة الناجحة .

العيد

ذكرتني هذه القصة لثروت سرور ، بعد ان قرأتها ، بتلك الاخبار التي كانت تملأ خيالنا اذ كنا اطفالا ، تتردد لذينة مشوقة تنتبها بشغف عظيم ، حتى اذا وصلنا الى نهايتها صدمنا بحقيقة ما كنا نريدها ، وهي ان البطل قد توصل الى هذه الدرجة من العظمة والمال ولكن ذلك لم يكن الا في المنام !..

شبيه بذلك ما يتردد من نكتة في هذه القصة . ان الاخوين يتنازعان « فخذ البطة » وتقوم المشاحنات بينهما فتنتهز هذه الفرصة قطعة تأخذ بالخالب وتطلق به وهما يعدوان خلفها كالجائنين .

وجه الشبه هو هذه النهاية اللامنتظرة التي يحدثها هناك المنام وتحدثها هنا القطعة .

ولكن هذه ليست الا فكرة عابرة لا تخفي ما يكمن وراءها من عمق المأساة .

ان القصة تمثل ناحية اجتماعية خطيرة ما تزال تنغلغل في مجتمعنا وتحد من امكانياته الخلاقة . هذه الناحية هي الفقر ، والجوع ، والحرمان من اللقمة اللذيذة التي من حق الاطفال ان ينعموا بها . وموضوع القصة يدور حول هذا المحور . ان خليل ينطلق ليخبر الحي كله بان لديهم عزومه ، فشرئب اعناق الصغار كأنهم يلتهمون بأذانهم ما يعده من الوان الطعام هو واخوه « وهاج لعابهم ولمت اعينهم برغبة عارمة كذلك التي تكون في عيون الكلاب الضالة عندما تنظر الى لحم ليس لها » . الحي كله جائع وبأس . و خليل واخوه جائعان ايضا . فكيف تكون حالهما اذا كان الطعام هذه المرة من الصنف الرائع ، من لحم الديك والبطة ؟

الجواب المنطقي هو ما جاء من وصف موفق لمواقفهما . محاصرة والدتهما الى النهاية منتظرين معا امام الكانون وقد فرغ صبرهما حتى يتم نصج الديك والبطة . وبالرغم من توسلات امه فقد ابي خليل ان يترك امه لحظة واحدة حتى ان يده قد احترقت بماء الارز . ومن الطبيعي ايضا ان يهرول في الزقاق الضيق ليعود بسرعة بعلبة المعسل لوالده قبل ان يفرغ الضيوف من الطعام ويأخذ الفخذ اخوه . وهذا تصوير بارع للحرمان : « قدم خليل لابيه علبه المعسل وبصره مشدود الى طبق العشاء الذي لا زال امام الضيوف لم يخرج بعد واستطاع ان يتبين في زحم الاطباق الصغيرة الطبق المشود » و « فتحي يرمقه من الخارج وينظره على نار » ثم يطبق على اخيه الخناق عندما يبدو له ان لا اثر للفخذ ثم يتحسس جيب اخيه ، فاذا الفخذ فيها . وللقاري مجال تخيل تلك الدرجة البالغة من الحرمان التي تدفع الفني الى ان يخبيء الزفر من اللحم في ثيابه ...

الى جانب تصوير ناحية اجتماعية ، تبدو هنا ناحية نفسية مميزة هي النفسية العربية المضيافة بالرغم من هذا الحرمان كله . انها تذكرنا بكرم الطائي . ان الاب هنا ، يذبح الديك والبطة اللذين اعدهما للعيد

تنشر الاسى والسودود تتمثل ايضا في الفرى الرجعية والكذب والنفاق الذي يعم بعض دوائر التوظيف في بلادنا ، وما تخلقه لدى شبائنا من عقد نفسية يغذيها الازلال وطرق الابواب . انها احدى المشاكل الاجتماعية الكبرى يطرقها الكاتب هنا . ان مائة من الشباب يترددون كل يوم على حاجب المدير يطلبون عملا . وهو لا يريد منهم سوى خمسة لا يجهر بعددهم بل يتركهم يضيعون وقتهم كل يوم ليعودوا بهذه الجمل : « المدير مشغول جدا .. فانتظر قليلا » « انتظر .. ان السيد المدير مشغول في اجتماع » او « انه لم يات بعد » او « غدا » تأتون لتقابلوا المدير فقد انصرف اليوم مبكرا ..

اجل ان من طرق ابواب الوظيفة سعياء وراء الرزق يدرك ما في هذا التصوير من صدق ودقة وإبداع في الوصف والتأثير برموز فنية ، رموز العيون البقيضة ، ويدرك ايضا ما في هذه القصة من محاولة خلقية لرفع هذا المجتمع الذي يدفع المثقف الى التفكير بحمل السلاح بيديه للتخويف بعد ان فشل سلاح العلم الذي يحمله في عقله « سأسهر في وجهه سلاحا ذا حدين وعند ذلك يقودني حيث اجد نفسي امام المدير وجها لوجه وسأظل اعبث بالسلاح بيدي وهو ينظر الي في رعب وخاصة عندما يجد الاصرار يشع في عيني المفضتين وعند ذلك سأصرخ في وجهه محتدا :

— سيدي ، انت غشاش ومخادع ! »

ان شبائنا هذا الثائر لن يقنع بهذه الحياة الخاملة . انه سيبعد تلك العيون الخبيثة التي تعريه من وجوده وتخنق امكاناته وتراقب اندفاعه نحو المستقبل .

ان النفسية العربية الحديثة متمثلة خير تمثيل في هذه القصة ، التي يفتح فيها الكاتب الابواب المفلقة لتتعاقد العيون المثقفة ، العيون المتعطشة الى غد افضل ، غد لا يحده افق ، غد تملأه المحبة والحرية والشعور بان المستقبل هو ملكنا ، هو في تضامنا مع رفيق جهادنا ، فان فشل احدنا او انتصر الاخر ، عد النصر مشتركا . ليست هذه كلها هي اهدافنا ، وآمالنا نحن ابناء هذا الجيل العربي الجديد ؟

لذا فان البطل ، ان فشل هو في محاولته الثائرة ، فانه سوف يعد النصر الذي ستتحققه ليلي برفضها الزواج بمن لا تحب نصرا مشتركا . هكذا يبدو لنا ان هذه القصة هي نموذج موفق للقصة التي لوحنتها ثقافة العرب وبقيت محتفظة بطابعها الخاص . من منا يستطيع ان ينكر ابطالها الحقيقيين ، نفسياتهم ، تصرفاتهم ، اندفاعاتهم ؟ لقد عرفناهم من سماتهم رغم القناع ، وعربناهم ، فاذا هم منا . طقم قديم رجعي عيونه حادة وابوابه مغلقة ، وطقم جديد ، عيونه تطفح بالامل والحب . اما القصة من الناحية الفنية فهي مركزة تتبع في بنائها خط سير التدفقات النفسية والعاطفية . وهي منطقية في تتبع احداثها ، اقصد بذلك المنطق الذي تولده العاطفة ، وتؤدي الفكرة والغاية المقصودة .

انها تبدأ مكفورة يائسة منهوكة القوى لتقوى شيئا فشيئا منتهية بالثورة والتفاؤل والحب « انا قد سئمت حياتي على نحو مرمض وقاتل » وتنتهي « ففي الغد ، وفي مكان ما من هذا العالم ، وبطريقة ما ، سيكون ثمة انسانة واحدة على الاقل قد بدأت تواجه عيون الآخرين وتكسر سدودها وابوابها وتنتصر لنا .. »

قوة البناء الفني هذا ، وتصرف الكاتب بمعلوماته بالطريقة التي اشرت اليها دليل واضح على صدق التجربة الفنية لديه واختمارها

كما ذبح حاتم فرسه لصيوفه ، وتظهر في القصة لقطة نفسية حلوة تمثل في موقف الام من معارضتها لذبح البطة « تلك التي زغبتها ما يقرب من نصف كيله ذرة حتى اصبحت معدة ولاثقة بالعيد . » رفضت ان تذبحها لينعم بها اطفالها الجائعون الذين تفضلهم على كل انسان .

وفي القصة تصوير دقيق لنفسية الطفل ، الطفل المحروم : الخوف الذي يستولي عليه في الزقاق الضيق - والانانية التي تجعله يتصور ان اياه واخاه متفقان لبيعدها عن الطعام ، واستثناؤه لنفسه بقطعة الفخذ ، وفرحه الشديد ببيع الديك والبطة ، وشعوره في هذه اللحظة بأنه أصبح يحب اياه وامه اكثر من اية لحظة مضت ، وقفره وجدله وهو يحاول ان يحاصر الديك ، وحبه لآخبار الجن والعفاريت ، وخبثه وشيطنته في تصرفاته مع اخيه ، وترقبه الحالم للعيد ، كل ذلك يدل على تصوير دقيق لنفسية الطفل ، يضاف اليها النفسية المحرومة التي اشرت اليها .

النور بالثمن

لست ادري لماذا لم يتكون لدي اي احساس خاص بهذه القصة بالرغم من انني قرأتها اكثر من مرة . واني اميل الى الاعتقاد بانها لا تملك هذا الخيط الدقيق اللامحوظ الذي يربط بين الاثر الفني والقاري ، هذه العدوى التي تنقلك ، بالرغم منك الى الجو الذي اراده الكاتب ، فيتصرف بك ، على هواه ، طالما انت في شركه .

في القصة ناحية هامة من نواحي الخلل البادي في مجتمعنا . ولكن هذه الفكرة اجهضت ، فلم تأت بجنين سوي . وليس يكفي الكاتب ان يكون منتقدا اجتماعيا حتى يصبح فنانا . المهم هو ان يجلبك . ذلك هو شرط الفن الاساسي . وهذا ما لم يحققه هذه القصة التي يظهر فيها التصنع والبرودة .

عائدة مطرجي ادريس

نقدات عابر

في خلال هذا الشهر ايلول (سبتمبر) - يظهر كتاب «نقدات عابر» لمارون عبود ، وهو يتناول جمهرة من رجال الصناعيين المعاصرين . وسيظل الجبل على الجرار فتالي هذا الكتاب العامر كتبه الاخرى ، وهي فوق الدزينة عدا . وقد انكب شيخ الادباء منذ اليوم رغم نصائح اطبائه ، على اعداد وانجاز كتبه واحدا اثر واحد .

وهو عدا ذلك يكتب مذكراته التي تصور من عرفهم من اكابر الرجال واصاغرهم بلا تملق ولا محاباة .

منشورات دار الثقافة - بيروت

اما القصة من الناحية الفنية فهي تعتمد في بنائها على التسلسل المنطقي لنفسية الطفل المحروم عبر الاحداث التي ذكرها . ولعل هذه الطريقة من اصعب الطرق في كتابة القصة . انها ، كالتخصص الاميركية اجمالا تعتمد على ذكر الاحداث فقط ، تاركة للقاري مجال التخيل والتحليل في ما يكمن وراء هذه الاحداث من ايعاءات معبرة . وهي عكس الطريقة التحليلية ، التي حمل لواها « بروس » في « بحثا عن الزمن الضائع » . لقد كانت تعتمد على التحليل النفسي الدقيق لشخصية الراوي وقد عادت فقويت مع الوجوديين الذين يعتمدون على الذاتية الشخصية في جميع تصرفاتهم ومسائلهم الحياتية والعقلية .

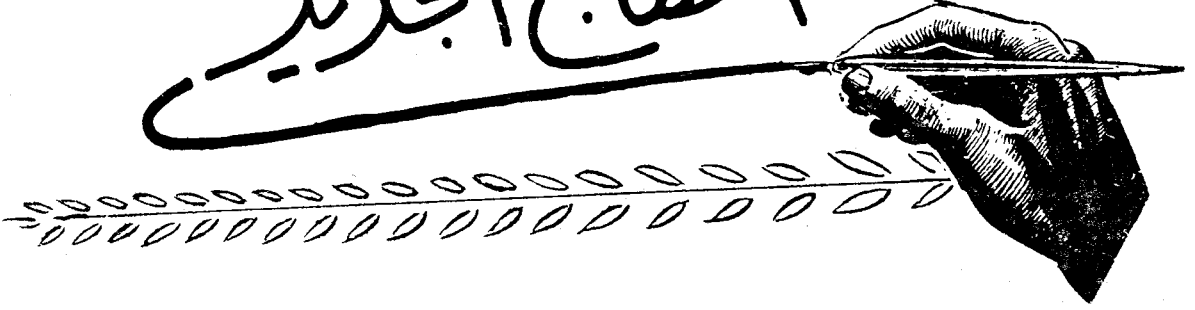
والفرق في طرق التعبير واضح . فبينما تعتمد القصة التحليلية على « الانا » او ذكر الاخر من خلال « الانا » تعتمد الطريقة الثانية على ذكر الاحداث فقط ، ويصبح البطل « هو » فتفقد شخصيته لنكتشفها نحن . والصعوبة ، بل الخطورة تكمن هنا . وهي خطورة متبادلة بين الكاتب والقاري فقد يحمل الكاتب البطل احداثا قد لا تتحملها نفسيته او سنه فيفشل - والقاري قد يسيء فهم الاحداث ويتطلب من البطل احداثا اكثر قوة او ضعفا من تلك التي ذكرها المؤلف . واذن فهي طريقة تتطلب وعيا وثقافة مشتركة متبادلة بين القاري والكاتب . فهل نجح كاتب هذه القصة في هذه الطريقة ؟

مما لا شك فيه ان الكاتب قد راعى نفسية الطفل لا فرق ان كان يعي ذلك او لم يكن يعيه . فنفسية خليل هي نفسية طفل كما بينا وتصرفاته هي ايضا تصرفات طفل . وهي تنطبق على البيئة والمحيط الذي صورته فيه . ولقد اراد الكاتب ان يجعل احداثه اشد واقعية وطفولة وبدائية فاورد الحوار كله عاميا على طريقة الاولاد الذين نشأوا في بيئة محرومة وبالرغم من ان استعمال الحوار العامي كله هنا قد يحدث بعض الاعتراض ، فانه يبدو ضروريا من الناحية الفنية .

على ان هناك خطرا يرافق هذه الطريقة .

فقد يتدخل الكاتب احيانا بذكر اشارة صغيرة فيفسد كل شيء . وهذا ما حدث في هذه القصة . فقد بينا اية نفسية هي نفسية خليل ، واي حوار هو حوار ، كله عامي بلدي ومع ذلك فقد اورد الكاتب على لسانه هذه العبارة : « وانه لينكر الان كيف كان اليوم حتى الضحى يمضي في حياته كسائر الايام ميتا وباردا كالعادة ويذكر ايضا كيف

النتاج الجديد



ساق على الدانوب

شعر هلال ناجي

مطابع دار العلم للملايين - بيروت - ١٩٢ ص

يقول الناقد الفرنسي الكبير سنت بيف ما معناه « ينبغي على ناقد الشعر أن يدرس حياة الشاعر نفسه ويستوحي منها صورة نقدية التحليلية » وقول سنت بيف هذا لا يشطر النتاج الشعري عن حياة الشاعر ولكنه يجعلها أساسا دقيقا للمعرفة العامة ومدخلا للاستحلاب الفني ، وهو بهذا لا يتعدأ أبدا في مؤداه عن الشاعر الإنكليزي ت. أس. اليوت T.S. Eliot حينما يسخر من الناقد الحاقط الذي يعنى بخصائص الشاعر الحياتية الخاصة ، وينفذ إليها من طاحونة نقسده الشخصي ، تاركا المضمون الشعري جانبا من غير دراسة حرة ، واستنباط أمين متفهم للاحاسيس المرتبطة ارتباطا محكما بالتجربة الشعورية ، أو بالوعي الباطني مباشرة .

ان كلا القولين يلتقيان ببعضهما من حيث النتيجة رغم انهما يختلفان من حيث الاتجاه ..

وانا اذ اكتب عن اخي وصديقي وزميلي الشاعر الاستاذ هلال ناجي المحامي اضع شعار سنت بيف في النقد الادبي معيارا لي في الحديث مؤمنا بطريقته ...

عرفت هلالا اخي صديقا وفيما واخا نبيل وعربيا اصيلا .. وعرفت هلالا زميلا كريما حينما كنا طالبين في كلية الحقوق نصارع الاحداث يدا بيد مع شلة من اخوان اعزاء لنا في النضال القومي ، ونمرح هازلين في ملاعب النشوة التحدية الصارخة ...

وما زالت ذكرياتنا الدراسية بما اتشحت به من الاجواء السياسية والشعرية والنقدية سلوانا لنا في معرض كل حديث عابر .. وليس غريبا علينا ان نهتد بعض دموعنا الرقاقة ونصعد من زفرات الماضي الجميل ونحن في ايام الجفاف الفكري والجذب الادبي وتفرق الشمل الاخواني .

وعلى هذا المعيار ساكون مهتما بشعره قدر معرفتي لجوانب حياته واتصال احدهما بالآخر ، وسيكون مجال الصدق في اعطاء الحقائق النقدية والفاء الاضواء الكاشفة مساويا للحد المعين من المعرفة المستوعبة . والحديث عن حياة الشاعر وشعره يلزمنا ان نحدد بعض الخطوط الاساسية في هذا البحث الموجز ..

تتميز حياة هلال بشيء كبير من (الحدة) في كل ما حولها من جوانب ، وقد يخونه التعبير المعبر في ابراز هذه الخاصية بشكلها الفني الجذاب .. الا انها تبقى ميزة حية لحياته ، فهو عارم العنف في هجائه للساسنة النحونة ، فاس مقدع فصاح في هجائه العام .

وحياة شاعرنا المتصلة بالصحراء الطليقة في بعض جوانبها تفضي به الى عناد عقيم ازاء حركية الحضارة المتفائلة بالتطور العلمي ، وكثيرا ما يتكلس التعبير عن غير قصد فيفسد عليه المعنى لانصرافه العفوي الى تحنيط بعض معانيه المتحررة باللفظ الجاهلي البائد ، اللفظ الذي لا يتصادى في مسامع القاريء ، فكيف بأعماقه الحسية ؟؟

هناك الإيقاع والقلب والنغامي والعصاريط والقيصوم الخ. كلها وان كانت الفاظا من لحم ودم وعظم عربي ، الا ان روح العصر اللغوي المتطور قد اجهضها منذ امد بعيد ، ولما تبلغ بعد دورتها البويفية وهي في الرحم . في قصيدته (اذكرنا) و (قل للجبان) نرى صورا من الهجاء السياسي غير الموضوعي في اغلب خطوطه وانعكاساته ، وفيها تأثر بالغ بالروح الديباجية لشاعرنا الجواهري ، وهو في تناوله الموضوع يتخذ من مقصورة الجواهري الشهيرة طريقا للتعبير ، ينتهي تفصيله بتحاياه (للغرات) و (الشط) و (القفة) و (القبرات) و (القهوة) كما كان الجواهري في مناغاته لدجلة والنخيل والشاطئين والجنادب والضفادع .

وفي هذين البيتين من قصيدته (قل للجبان) يبدو جمال الصورة ورقة التعبير والظلال الحالة :

والشط دغغفه ضياء حالم أغفى عليه فغلته محرابا
والقفة الرعاء يلثم جنبها موج فميلا روحها اعجابا
وهناك التقاء محب بين قصيدته (الشتاء في الصحراء) و (اذان الفجر) على الرغم من اختلاف الموضوع في القافية الواحدة والديباجية المشتركة وابراز التصوير الطبيعي ، بيد ان اخلاص الشاعر الحسي كان اكثر صدقا وعمقا في قصيدته الثانية .. يرجع ذلك فيما المس الى تنوع الخواطر الشعورية ذات الابعاد اللامحدودة واحتشاد العواطف المترعة بالجو التأثيري المشحون بالانفعالات والتفاعلات الشعورية .

ويجلي الشاعر في اقصوصته الشعرية المرحية (فتنة النار) وبوفق في تجربته شكلا ومضمونا الى حد بعيد ، ساعده الجرس الموسيقي للبحر والقافية الرائية المكسورة الجميلة وحسن الانتقاء اللفظي البعيد عن التشويه بالقالب التيبس ..

وفي قصيدة (سؤال) الراقصة يبرع الشاعر في اختيار كلماته الرقيقة العبرة عن الصورة الجمالية بما فيها من دلالة الإيقاع الغانم والنغم العذب .

ومن قصيدته (فرقة الصيف) يعجبني هذا البيت الذي يصف به احدى حساننا في كلية الحقوق ايام التلمذة ، وهو بحق عندي اجمل بيت غزلي للشاعر في ديوانه ...

كان الاله وقد صاغها ملى محاسنها .. مرتين !!
وتفرد قصيدته (غروب) بالجو النفسي الهادي المطمئن بالكاتب ، المميز بالخشوع الراهب ، بما اصفى عليها من السينات المهموسة البالغة ثلاثة وعشرين سينا ..

وفي (اشواق اليهود) يبلغ الشاعر شعره السياسي في مجموعته . ففي هذه القصيدة تخصيصا يكمن نجاحه من طريق تلمسه المحتوي من الوجة السياسية الذاتية بتركيز موضوعي يناول كل طافية هلوك بيع وطنه العربي للاجنبي المنعمر واليهودية العالية .

وهناك فصائد الشاعر الجديدة التي كتبها اثناء بجواله في اوروسا والتي سجل فيها تطوراً ملحوظاً في نضجه الشعري المتفاعل مع ترف الحضارة العتيقة ..

في قصيدة (نقود) يعبر عن فكرة ابزاز المال في باريس بشكل لا يخلو من السرد السطحي المنجرد من عمق الصورة الحية .. وفي (ساق على الدانوب) رغم انها من شعره العاطفي الا انه لا يخلو من الفخر بنفسه ونسبه ، وفيها تخنق شعوره المنطلق في المقطع الثاني ، بينما يعبر بنعومة ولغائية في مقطعي الاسنهلال والختام ..

وجميل من شاعرنا ان نضع اخيه العربي في مطار دمشق بهذين البيتين الحاليين المعبرين عن وفاء العروبة الاصيل ..

ذراع نرفرف مثل الجناح واخرى نراح على الشاطئ
اموجمة النظرات الصباح مكانك في خاطر الظامي
وتذكرنا قصيدته (الوزارة السعيدية) لاول وهلة بقصيدة الاستاذ الجواهري (اي طرطرا تطرطي) التي قطعت دابر كل استحسان لما كتبه الشعر بعدها الى يومنا هذا ، ولا ننسى الضجة الكبرى التي احدثتها في الاوساط الجماهيرية والجهات الحكومية على سواء ..

وفي قصيدته (عابد البدن) يبرز اثر الجو الموسيقي في نجاح التجربة اما مقطوعاته (غيبة من باريس) و (حكاية عبر الطريق) ففيهما نفحات فبانية قوية يخيل لي كما لو انها ليستا للشاعر ، او كأنهما دخيلتان على عواطفه ، غريبتان عن تجاربه ، على الرغم من انه لم يستطع تصوير الجو الليلي البوهيمي بشكل ناجح في المقطوعة الثانية .

وهناك بداية قومية رائعة ، لتهب في جوها الحس العربي الاصيل من قصيدته (نحن الرماة) .. الا ان منتهائها مغلف بالتشاؤمية اللامؤمنة منحرف كثيرا عن واقع الوجة القومية التحررية ، بعيد عن اشعارات البعث العربي الثوري الزاحفة صوب ارض الوطن العربي الكبير ، من قناديلها الرائقة بضياء الوحدة والحرية والاشتراكية ..

والشاعر مخلص في استذكاراته العاطفية المشدودة بالارض العربية المقدسة في قصيدته التي كتبها من مدرد (في مرقص النخيل) على الرغم مما يشيعه اللهو الفامر ، وتبعثه الذات الجسدية الطافحة بلهب الشوة الجنسية في اعصابه واعراقه من انطلاقات وخيالات وانعطافات اما قصيدته (جمل) فهي فيما ارى احفل فصائد المجموعة غنى من حيث الفكرة ... ففي اتساع التجربة الموضوعي مجال كبير للابسعاد الشعوري والخلق الفني والتصوير البديع المنطلق خلف ظلال الاخلة والتأملات ..

وفي قصيدة (احرار وعبيد) برز مأساة الواقع الفاسد ، وناقضات الصراع بين سلطان الخير وجبروت الشر .. فهنا طموح وقوة عملاقة وانتصار وخيلاء .. وهناك خور وخيانة وانانية وقفافيع وانتحار بطيء وانخدالية ، ويتراوح الشاعر فيها بتفاوت بين اسلوب خطابي عتيق يشهد له كل الفاظه الحادة ، وتأملات هادئة وخيالات صافية يذيب عليها من روحه صفاء الكلمة ورقة التعبير .

يبقى هناك .. قصيدة قومية خصبة بجمال الاسلوب وعذوبة الحرف جياشة بالحس العربي وحذاء الجو المؤثر ... عنوانها (لقاء العربية) فالشاعر في ديار الغرب يلتقي في لقاء عابرة .. ووجهها لوجه ... امام اخيه العربية من لبنان ... في سيارة اتوبيس ، فينبض وجدانه الدافئ بالمواطف الشاعرية ... بالحس لارض الوطن .. بالشوق لقسمات بنيه ... بالانتصار النشوان لقومه .. بما تبعثه الامجاد في الاحفاد من رؤى نيرة .. فلا يريد من السائق ان يعصر عمر الزمن بالسير العجلان ... وكأنني به بود من اعمافه ساعتها ، لو ان السيارة اصيبت بعطب !! ، ليلقي نظرات الحنين الطاهر ، وبمس من الامح لفحات شمس الشرق ونور كبرياء العرب !

وانا لا اريد ان افنيس بعضا من ايبائها هنا للاستشهاد بها .. وحسب الفاريء نفسه ان يعشها بسعوره وحدة مترابطة الصورة بالاطار . وللشاعر هلال اخي .. نحانا الوفاء والاعجاب

علي الحلبي

بغداد



مع الخالدين

بقلم سمير شيخاني

(« مع الخالدين ») ، الكتاب الذي تناولته مرة في عجلة لاتحدث عنه ، عن مناخه واجوانه ومواضيعه ، عن نقاط العرق ونبضات القلب المزروعة في كل صفحة من صفحاته ، ارجع اليه اليوم لاف مشدوها امام ضخامته ، ولاسائل كيف بني ومن رفع قبابه واعتابه ، اية يد رصفت مداميكه وبسطت ارجاءه .

ولكن تساؤلي لا يلبث ان ناخذ في التفحص كلما اوغلت في الكتاب ووقعت عيني على النوع العجيب .

ولا اخفي الرهبة التي اخذني عند بابه ، والتي اكثر ما تشبه الرهبة التي سيطر على زائر مقبرة اثرة ساعة يطا رناجها : هلا سترجع ؟

وبطول بنا الطواف ، ونمود باحلى ما يحكى عن الطرائف والاعاجيب .. «مع الخالدين» اثر بهزك اكثر مما بهزك زيارة هياكل بحدنك ببرودة عن الماضي . وهو حصيلة انصراف منزهب ونفس طويلة ككل عمل ادبي . حتى لتخال انك لا تستعرض حروفا مينة واسماء تركت شذاها . لانك تنفعل غصبا عنك وتناثر وتعيش من جديد فصلا من حياة الخالدين . لدى نبحر في الكتاب ، يرادك ظن انك فريسة النمط الواحد والطرق الرتيب لدراسة الاشخاص . واكثر من ذلك ، تتناكب وساوس في فقرة الكتاب عى الصمود . ولكن سرعان ما ننحل عقد جيئك ونبتسط

ولا ادري ، للمناسبة ، الى اي حد يمكن ان يكون التصنيف حكما ادبيا مقبولا به .
او قوله عن شيللر :
« شاعر الحرية ، (وبطل الادب الالمانى) - على حد تعبير الكانسب توماس مان -

وهنا الاستشهاد يعنى التنبى .
او قوله :
« شارل بودلير زعيم الرمزية ، او المدرسة الشعرية الحديثة » في حين ان الرمزية ليست سوى مدرسة من مدارس الشعر الحديث .
او قوله :

« كليوباتره !.. اكبر عاشقة عرفها التاريخ ... »

او قوله :

« هتلر ، جنكيز خان العصر الحديث .. »

هذه الاحكام التي لا تترك كل مجال الاختيار ، تنكشف عن جراءة نادرة في الحكم لدى المؤلف ، وبرز ما في الناقد جراته في القول الفصل . خاصة اذا كانت دائرة الحكم تتسع لمائتين وثمانين محكوما . غير اني كنت افضل لو تحاشى الاسناد شيخاني طريقة البت الجازم في مجال لا يتسع للتعميل الكافي . اذ لو اراد المؤلف ان يدخل في تفاصيل ، لاستغرق عمله الضخم الشاق عدة مجلدات من الحجم نفسه .

اما اكثار المؤلف من الاستشهادات في معرض الاحكام فيبقى عملا ايجابيا ما دام الكتاب ينزع الى السيرة . اما اذا نظرنا اليه كدراسة فينقلب الاستشهاد الى ظاهرة سلبية . بيد اننا قلنا في مستهل كلامنا على الكتاب انه مزيج من السيرة والدراسة والتاريخ والمقال . وهذا المزج الموفق ، المصوغ بعبارة سلسلة اليفة متناسقة التقاطع ، وان لم تكن انيقة منخله ، وبتفكير هادئ وبسجية متناغمة وباحساس رفيف مشبع بالنغم الباطني ، هو الذي ارتفع بالكتاب الى مستوى العمل الجديد .

والكتاب ، الى ذلك ، عمل تقديمي يعادل بين التمتع والمثل ، ويقربنا من العواطف الانسانية العميقة التي بنت ولا تزال ، عالمنا - عالم البشر - بالوانه وصوره ومدھشاته ، وهو التقاء انساني في الذروة يؤلف ويجمع ويسهم في وحدة الروح الانسانية على صعيد الرسالة .

والكتاب من حيث النوع محدث في خزانتنا العربية بالاضافة الى انه تجاوب صادق مع الروح اللبنانية النازعة الى الانفتاح على الفكر العالمي .

كان يكفي ان يطلع علينا سمير شيخاني بنتاجه الاخير ، لنندرك ان بيننا من لا يزال يؤثر العمل الصامت البطيء .

امنية نائصة : كنت ارجو لو لم يفغل الكتاب بعض الخالدين الخالدين امثال فاليري ورمبو

فائق رجي



التساؤل الذي لا بد ان يرتسم امام كل عمل كبير .
انه مجموعة مقابلات بين الشاعر وابطاله ، واستعراض للخصائص التي تميز وجهها عن وجه ولونا عن لون ، وظلا عن ظل ، وملامح عن ملامح .
هذا ما فعله سمير شيخاني لينقذ نفسه من الترداد والاختناق في اقبية التاريخ .

وما هم اذا استهل معظم فصول الكتاب بتعريف الاسم وتاريخ الولادة ومحلها لينتقل من ثم الى سرد الوقائع واستعراض المذهب او تحديد القيمة ؟

المهم انه ركز على الجوهر ، اذ تناول كل شخص من اشخاص كتابه من ناحية القوة فيه .

ومن هنا ، ليس الكتاب مجموعة نبذات .

انها محاولات في الدراسة الادبية حينا ، وفي السيرة حينا اخر ، او مزيج من الاثنين ، وضعها المؤلف بايجاز وشمول ودراية .

وقد تعمدت تسميتها مقابلات لما فيها من تسجيل للوقائع البارزة المثيرة في حياة الخالدين . فهي لا تترك انة او دعة او صرخة او اي حدث بارز الا وتلتقطه بصندق وبراعة ثم تدعه يعبر ، يخفق ، يمضي ، ويضحك ، يقهقه ، يثور او ين .. حتى لتسمع احيانا همسهم الخافت يتفرق في اذنيك احياء وبعثا لا لا ينطفيء لدى الخالدين ..

ان صوتهم لا يموت ! يلاحقنا كالطيف ، يذكرنا باهمية وجودنا ، بقيمتنا وبمسيرنا .. يرسم لنا الطريق الى المستقبل ويصنع عواطفنا وافكارنا وصورنا ، يلون ايامنا بالاصداء المرحمة تنبعث من داخل الوقت .

سمير شيخاني يبدع في الكلام عن الذين خلدتهم غرامهم . فسواء كنت مع سميراميس او مع كليوباتره او مع زنوبيا او شجرة الدر ، تاخلد واقعية السرد وحرارته ، وشغف اللفظة بالث والبوح .

فهو لا يهمل حركة من حركاتهم ، ولا كلمة صنعت موقفا تاريخيا او حدثا مشهودا في حياتهم ، او رائحة من روائحهم ، الا ويستغل وقعها في نفس قارئه .

غير انه يدافع كثيرا عن اشخاصه ويتبنى مواطن قوتهم حتى تكاد ان تنسى مواطن ضعفهم . فقلما تعثر في الكتاب على حكم تناول فيه المؤلف النواحي الضعيفة من نتاج اشخاصه .

وهذا ما يجعلني مرة ثانية ارى في كتابه مجموعة مقابلات واستعراضات اكثر مما هو مجال دراسة ونقد .

اما اذا حكم ، فياتي حكمه مختزلا ، ولا اقول متعسفا . وعليك ان تختار . فاما ان تقبله بلا تعليل ، او ان ترفضه بلا تعليل .
من ذلك قوله :

« لا جدال في ان برناردشو كان اعظم اديب في عصره ، هذا العصر الذي يمتد من عهد الملكة فيكتوريا حتى عهد القنبلة الذرية . كان روائيا وروائيا اعظم من شكسبير ، وناقدا موسيقيا اخبر من بتهوفن ، واشتراكيا راي ابعد مما راي كارل ماركس » .

ولم نعرف اذا كان المؤلف يقصد ان يقول ان برناردشو كان اعظم اديب في عصره ، في انكثرا ام في العالم . وبين القولين بون شاسع . او تصنيفه للتلون بقوله :

« يحتل هذا الشاعر المقام الثاني في الادب الانكليزي .. فالمقام الاول يتربع فيه شكسبير غير منازع » .

سواد في بياض

بقلم وداد سكاكيني

اعتاد نقاد العربية الاول ان ينظروا الى ال اثر الادبي من حيث المبنى بصرف النظر عن المعنى ، فقد كانوا يتلمسون مواطن الجمال في اللفظة والتشبيه البليغ ، والصورة الرائعة ، والالتفاتة البارعة .. الى غير ذلك من الامور التي باتت في عصرنا الحاضر اقل قيمة من ذي قبل ، بعد ان اصبح النقد الادبي يرتكز الى اسس جديدة ، تحفل بالمعنى المعقول ، دون ان نفرض من قيمة المبنى المصقول ، كما تهتم في الوقت نفسه بمقارنة ال اثر الادبي بمحيط الاديب وبيئته ، لتري ما اذا كان قد افاد امته واستفاد منها في عرضه لخلاصة براهنه الشخصية وتجاربته الذاتية ونزعاته الفردية ، ام انه اكتفى بنقل صور باهتة لا حياة فيها ، دون ان يعرض لمشاكل مجتمعه ويقترح الحلول الحاسمة لها .

وحينما قرأت « سواد في بياض » آمنت بان للادب تأثيرا كبيرا في المجتمعات ، لا يقف عند حدود الناحية « المبارية » وحدها وانما يتمثل في المضمون الفكري الذي يؤدبه وفي الفلسفة العميقة التي يتبنى وجهة نظرها حول الكون والانسان والحياة ، وادركت عمليا ان للادب - او الادبية - رسالة هامة في اصلاح المجتمع ، وتحرير الامة ، ونهضة البلاد ، بما يحمله - او تحمله - من غذاء روحي وتوجيه فكري ينتجان قوة فاعلة و طاقة منتجة ، لا تعدلها اي طاقة او قوة اخرى في هذا الوجود .

و « سواد في بياض » هو مجموعة مقالات ودراسات في الادب والاجتماع والسياسة والتصوف ... وغير ذلك .. ان دلت على شيء فانما تدل على مدى ثقافة وداد سكاكيني واطلاعها في كثير من المجالات وقبل ان اذكر مميزات الادبية المؤلفة وخصائصها اجد من واجبي ان اعرض موجزا عاما لما جاء في الكتاب من ابحاث ، وسأتبع في هذا العرض اسلوبا غير الذي اتبعته السيدة المؤلفة لانني ارى ان ايراد المواضيع بحسب نوعها خير من عرضها متفرقة مختلفة ، كي ينتهي القاري من قراءة الدراسات الادبية ليبدأ بالمواضيع الاجتماعية وهكذا .. في حين ان المؤلفة اوردت المقالات بغض النظر عن موضوعاتها .

ولنبدا بالمقالات الادبية :

فبعد ان اهدت المؤلفة كتابها (الى من يسدون النوافذ ليطفئوا نور الله ، والى من يفتحونها بادبهم ليملاوا القلوب من هذا النور) ، قدمت له تحت عنوان « سواد في بياض » فشرحت المحاضر لاختيار هذا الاسم وقالت : (.. وما كانت المقالة القيمة لتأتي من الهباء ، فهي وليدة الليالي والايام في سوادها وبياضها ، ولعل البياض والسواد مما تتصف بهما المقالة فهي التي تعبر عن ظلمات الدنيا بالعدم والظلم والجهالة وتصور ضياء الحياة الانسانية بالعلم والحرية والعافية) ...

ثم عرضت لتطور مفهوم الادب عبر العصور المختلفة في مقاله « من هو الاديب ؟ » وعرفت الادب والاديب بقولها : (فالادب اذن بصورة واطاره هو النصوص الابداعية التي يعبر بها صاحبها عن ذاته وتاملاته وعن شعوره وتجاربته مع غيره وعصره بطابعه وشخصيته وهي التي تسميه ادبنا وتدل عليه بشعرها او نثرها) ...

وفي مقال « حول الادب الحديث » نددت بالدعوة للاداب المحلية « الاقليمية » ودعت الى تشجيع الادب العربي الشامل فقالت : « ... وقد يدهش ادباء الغرب المعاصرون حين ينظرون الى ادبنا الحديث وهم يعلمون ما وراءه من التراث الكبير فلا يجدون حاضره في تحفز ماضيه ،

وغنية ذخائره وتعدد موضوعاته .. »

وتنتقد تهجم الادباء المحدثين على الذين سبقوهم وعلموهم وتسخر منهم في مقالة « العامية والسطحية » فتقول : (.. فوصم الثائرون ادب الكبار شيوخا وشبابا بأنه رجعي زخرفي مصدره الكتب الصفراء والبروج الماجية ولفته معقدة عسيرة وهم يريدون الادب نابعا من الروح الشعبية مكتوبا بالعامية بعضه او كله متمسا بالواقعية وكان هذه الواقعية المظلومة لم تكن في ادب السالفين الذين مشوا فيه مع الزمان في حلوه ومره وتمرسوا بالحياة اصدق مراس وكانت كتبهم معاهد للفكر والفن ومراجع للجامعات وثقافة للاجيال) ...

بينما عرضت للادب العاري « الجنسي » الذي راجت سوفه مؤخرا بين الادباء والادبيات فاصبح يطبع على شكل مذكرات واعترافات ... كما فعل « أندريه جيد » و « مارسيل بروست » و « جان بول سارتر » وغيرهم .. فكتبت مقالا انتقدت فيه الوجودية .. وجعلته بعنوان « الادب المكشوف قالت فيه : (ان مذهب الوجوديين انفسهم قد هبط من عالم الكتب والمقول الى عالم الحانات الدائكة تحت الارض حيث تطلق المرأة عنان صدرها وتندفع في رقص مجنون ويندفع معه الشاب في مرح صاحب وتحرر عام) ...

في حين انها كتبت مقال « الادب في الكتب السماوية » لتستعرض أثر هذه الكتب المقدسة في الادب العالمي منذ اقدم العصور وحتى اليوم .. (فالكتب السماوية الى جانب الادبان التي جاءت بها داعية وهادية قد ازدهمت بصور الفن والادب ونفحات الحكمة والشعور ، فالرجعة اليها رجعة الوجود الالهي الذي انطلقت منه العبقريات الانسانية باشباع من نوره الاسمي) ...

وقد بلغت الادبية المؤلفة حد الروعة في مقال « الزهر والشعر » حينما شبهت المدارس الادبية الحديثة بالورد والازاهير المختلفة فقالت : (وهناك شعر مازجه التجديد في العزة والنسق فاشبه « الكاميليا » و « والنيلوفر » وشعر جمع بين الماضي الاصيل والحاضر الانيق فاشبه « اللوتس » ! وما تزال ازهار من الشيع والقيصوم وعرار البادية تنسحب رفاتنا على طائفة من شعر المعاصرين)

وفي مقال « طفيان القديم » لفنة ذكية بارعة دعت الى تشجيع الادباء الناشئين بنشر آثارهم ، بدلا من الاكتفاء بنشر آثار القدماء وحدهم فقالت : « لقد الفنا التفاخر بالقديم ولم نصنع ما نصنع الاوائل واستفاض في اناشيدنا وقصيدنا الاعتزاز بالسابقين نردده في هزة ونخوة حتى نشعر بالخدر والنشوة كأننا اطفال تنس في افواههم ملهات الرضاع كلما هاجهم البكاء ولم يجدوا الغذاء حتى يناموا وهي في افواههم العطشى » ...

واما القصة العربية من حيث الموضوع والابطال والبطالات فقد افردت له مقالة « في قصصنا الحديثة » التي هاجمت فيها فرانسواز ساغان والفضيلات اللواتي قلدن في ادبها الرخيص - المكشوف - بحجة الواقعية المزعومة التي لم تنبثق عن مجتمعنا وانما هي مستوردة مقلدة ... وقد قالت : « .. ومثلا اغوى حواء الشيطان الذي تقمص الثعبان فانغوت آدم وكان منهما ضلال البشر كذلك فان طفلة من الرجال يفون اقلاما مخدوعة ومستهترة بالشهرة التي وقعت في شركها ووقف الصائد يضحك ويتلذذ بما هو احب الى نفسه من الفول والصبابة » ...

بينما عرضت للمسرحية العربية في مقال « المسرحية بعد شوقي » الذي ذكرت فيه فن المسرحية الشعبية والنثرية ودور شوقي فيهما وأثر

وعقلها وذكاها وتمنت لو ان المرأة الحديثة اوتيت طرفا من سر شهرزاد لتباعد بينها وبين الرجل لان الرباط المقدس بينهما لا يتوثق الا باسباب عديدة يتصل اكثرها بالذكاء والثقافة اكثر مما يتصل بالجسم والزينة (المال) ..

واما المقالات ذات الصبغة العامة فهي :

« آزامير الذنوب » الذي اتصف بالجدة والطرافة فقد انطوى على نماذج شهيرة لاناس مشهورين كانوا في مطلع حياتهم أشرارا ثم لبثوا ان تابوا لرشدهم واصبحوا أنقياء اطهارا (...) وهكذا فان الشوك تظل من بين الازهار وان منابتها التي تتجافى عنها اللامسة هي نفسها التي تمتد لتقطف الزهر من حولها) ..

وفي هذه الفقرة الصوفية من التأملات تنقلنا المؤلفة الى بحث صوفي اخر بمقالها « لمحات من التصوف » وهو ان دل على شيء فانما يدل على اطلاعها الواسع على تاريخ الصوفية وماهية التصوف ... فقد عرضت للصوفية منذ عهد المتكشف « ابيكتن » الذي اثر على الامبراطور « مارك اوريل » وعهد «ديوجين» صاحب المصباح .. ثم تسلسل البحث ليعرض للصوفية الاسلامية التي انشأها الحسن البصري فذكرت ملخصا وافيا لآراء الصوفيين وعقيدتهم ثم دعت الى الاخذ بصفاء الروح والى مجابهة تصارييف الدهر بشجاعة وايمان .

وفي مقالة « فلق الجيل » تحليل رائع لمجتمعنا الحالي . فقد صورت القلق العنيف الذي دب في طبائع وسلوك الجيل الحاضر المتبرم بكل شيء ، والمصطرع مع الحياة ، وقد وضح ان هدفها من هذه المقالة اجتماعي بحث يرمي للاصلاح .

« ومسامر الفلك » بحث علمي صيغ بقالب ادبي ممتع فقد عرض لمشكلة عجز المخلوق عن الاحاطة بعلم الخالق .

وعلى نفس النمط مقالها « الربيع والحياة » الذي شحن بشطحات فلسفية ونظرات تأملية وهواجس نفسية حول الحياة وربيعها وقالت : (.. فالفكر المتوقد والهوبة المبدعة هما في ربيع دائم ولو كان صاحبهما في شيخوخة السن) ..

وفي مقال « ايام النهاية » تذكر وطنها وما قاساه من عسف الاستعمار وهو ان الاستبداد وتوجه اللوم للادباء الذين قصروا في حق امتهم ووطنهم وتقول : (ليس للمثل العليا في النضال وللقيم الانسانية الخالدة ختام ولا انتهاء ، فهي كرواية الزمان ليس لها ستار آخر) ..

ولئن كان مقال « سحر المدينتين » هو الذي افتتحت به المؤلفة كتابها فاني افضل ان اختم به عرضي لمحتويات الكتاب ليضفي عليه من سحر « المدينتين » و سحر « الوصف » وروعه بهاء ونضارة ... فهو مقال ادبي رائع تصف فيه معالم دمشق والقاهرة بشوارعها واحيائيهما وتاريخهما ومواطن الجمال في كل منهما وما توحياه للزائر من ذكريات وما تثيرانه من اشجان ... وكاني بالادبية وقد ارادت الا تفض من من قيمة الشرق عامة في سحره ومفاته وتاريخه فقالت : (ولعل السحر نفسه الذي لم يعرف سره حتى اليوم ولا مقياسه وشكله لم يكن مقصورا على دمشق والقاهرة من بلاد العرب ، فلقد سحرت بغداد وخلدت ايام فنها في « الف ليلة وليلة » ومنذ ازدحمت على هواها القلوب ، ولو اني عرفت سحر بغداد لشاقتني ان اصور تأثيره في نفسي كما احسست بسحر المدينتين دمشق والقاهرة) ..

تلك هي لمحة خاطفة عن « سواد في بياض » الكتاب الذي لم تطف في الناحية العقلية على الناحية الفنية في صورته واخيلته ، بل كانت

اباطه والحكيم وتيمور في تطورها .. وقالت : (ما كان فن المسرحية في ادبنا من ابتكار شوقي وابداعه فقد سبقه الى هذا الفن شعراء وادباء من مصر والشام كانوا من الرواد في اواخر القرن الماضي ومطالع العصر الحاضر ، لكن شوقي الذي يحتفل العرب في هذه الايام بتكريم ذكره لمروور ربع قرن على وفاته قد اعطى الادب المسرحي روائع خالدة من شعره ونثره بلغ الفن في آيات منها وصفحات حد الابداع والاعجاز وفتحت باب هذا الفن الموهوب للقادمين من المتمرسين للمهمين) ...

ثم عرضت سيرة عدد من الاعلام :

فكتب دراسة ادبية كاملة للشاعر المهجري « ايليا ابي ماضي » تمازجت روحها مع الطبيعة التي هام ابو ماضي في مباحجها واصفى الى الحانها وناغى زهرها وطيرها وكسا شعره من الوانها وضمخه بعبيرها حتى تعبد جمالها وتادب بلحبيها ..

واما احمد امين فقد كانت معه في دراسة عميقة خلدت فيها مآثره وافكاره ونقدت مؤلفاته وابرزت تأييده ونصرته لتعليم المرأة ونهضتها . وكذلك « انيس النصولي من رواد الوثبة العربية » فقد عدت مآثره ومؤلفاته واياديه البيضاء على الشعب العربي .

كما جمع الكتاب عددا من المواضيع النسوية حول « المرأة العربية » وهي :

مقال « تكريم الامومة » الذي استعرضت فيه قصة الامريكية « جان جارفيس » « التي ناضلت حتى تبني « ولسون » دعوتها للاحتفال بعيد الام تلك الدعوة التي طبقت الافاق ، وقد ذكرت في المقال عددا من الاقاصيص والاساطير حول حنان الام وعطفها ..

وحثت في مقال « العلمة والكتاب » على المطالعة والتثقف بقراءة الكتب ونقدت فيه رأي « جورج دوهاميل » فقالت : (اثبت الواقع والتجارب ان الاذاعة والسينما بما وصلتا اليه من اندفاع واغراء وحيلة ما استطاعت واحدة منهما او الاثنتان معا انزال الكتاب عن عرشه ، وهذه دور النشر في الشرق والغرب متواترة الصدور قوية الظهور تنقل الى العالم كل يوم نبوغ العقل الانساني والهام الموهوبين فتدل على خلود الكتاب) .. بينما عرضت لمفهوم القومية وتطوره خلال الازمان لدى الشعوب المختلفة في مقالها « اثر المرأة في القومية العربية » وذكرت ان قضية فلسطين هي الشرارة التي بلورت القومية العربية في العصر الحديث ، وان المرأة لم تكن في يوم من الايام بمعزل عن احداث امها .

وفي مقال « مستقبل المرأة العربية » تساءلت : (.. فابن من الفتاة السافرة الجامعة حديثا او امها المديرة بالحجاب او التي عاشت في عزلة وامية ؟ ما اكثر الشبه بينهما في حياة المرأة وبين طائفة اليوم التي تطوف في حو الارض وسمائها وصاروخ الفد الذي يعتزم العلماء الوصول به الى القمر ؟! فمن ماض مضطرب قاتم عاشت فيه المرأة العربية الى حاضر ثائر تشخص فيه الابصار وتتحير الاسماع ، فيه تتجهز وتتخفف لوثية جديدة نحو المستقبل القريب ؟)

اما الروح الفكهة والنكتة الساخرة اللاذعة والتصوير البارع للتنافس بين الجنسين فتجده في مقال « المرأة تغلد » الذي ختمته بقولها : (اذا لم تكن - المرأة - خالدة فكفاهما مجدا انها تصنع الخالدين) ..

واما « سر شهرزاد » فقد اجتمع فيه الادب الممتع والحكمة البالغة ، اذ عرضت لشخصية شهرزاد في الادب العربي كما صورها « الف ليلة وليلة » وكما تخيلها الحكمم وبكسر وطه حسين وغيرهم .. (واعتبرت شهرزاد نموذجا للفانية الشرقية السابية التي تأسر القلوب بجمالها

ومعابد باخوس في « الكتب السماوية » ؟؟
ومهما يكن من أمر فإن وداد سكاكيني تعتبر من أوائل الأدبيات العربيات اللواتي يفاخر بهن الوطن العربي من محيطه الى خليجه ، ولعل الشيء الذي يسجل لوداد هو انها اديبة من صنع نفسها ، فشخصيتها الادبية من نسيج خاص يعز علينا ان نجد له شبيها بين ادبائنا وادبياتنا في العصر الحديث .

وكتاب « سواد في بياض » يأتي في مقدمة الانتاج الادبي الذي ابدعته وداد وهو بحق مفخرة للادب النسوي العربي ..

دمشق موفق بني المرجه

النظرية التعبيرية

- تنمة المنشور على الصفحة ١١ -

لانها أكثر استبطانا لنفسها ... ولما كان يرى ان خير المدارس الفنية هي المدرسة التعبيرية المدافع عنها ، فهو يمجّد على هذا الاساس تلك الاجناس الشمالية البيضاء! واذا كان كروتشه قد رفض الدين واصيب بأزمة روحية ، فهو قد احل محل هذا الرفض نظرة اشدّ عداء للبشرية في كلامه عن الفن ... و كانت نظريته هو واتباعه اعلى مراحل المثالية المأزومة المنهارة في القرن العشرين في مجال الجمال (١)

مجاهد عبد المنعم مجاهد

مراجع المقال

- ١ - بوزما : النظرية التعبيرية في الفن (ترجمة : مجاهد عبد المنعم مجاهد) مجلة الاداب يناير ١٩٥٦
- ٢ - كاريت : في فلسفة الجمال (ترجمة : عبد الحميد يونس واخرين)
- ٣ - كروتشه : المجلد في فلسفة الفن (ترجمة : سامي الدروبي) دار الفكر العربي - القاهرة - ١٩٤٧
- 4 - Beryle Lake : «A Study of the Irrefutability of Imo Aesthetic theories.» (Elton : Aesthetics & Language) Basil Blackwell - Oxford 1954.
- 5 - Boumand : «The Expression theory of Art.» (Elton : Aesthetics & Language), Basil Blackwell-Oxford 1954.
- 6 - Carritt : Introduction to Aesthetics. Hutchinson's Un. Library - London.
- 7 - Osborne : Aesthetics & Criticism. Rantledge & Ilegdon London - 1955.
- 8 - Read : The Meaning of Art, Pelican Books - London 1954.

(١) .. هذا ملخص قصير للفصل الخامس من كتابنا « دراسات في علم الجمال » الذي يصدر في اول نوفمبر ويضم فصولا ستة هي :
(١) موضوع علم الجمال ووظيفته (٢) النزعة الشكلية في علم الجمال
(٣) من اجل مفهوم علمي للجمال (٤) ما هو الفن ؟ (٥) النظرية التعبيرية وحضارة الانسان (٦) التحليل النفسي والفن .

الشاعرية بجانب الفلسفة ، والفن بجانب الفكر ، والعاطفة ممزوجة بالعقل والاسلوب يتسم عامة بالطلاوة والوضوح لان الكتاب في افكاره ومواقفه منتزع من صميم واقعنا ، فالمؤلفة ليست كغيرها من الادباء - والادبيات - الذين يتصيدون افكارهم ويستوحون موضوعاتهم من وراء السحاب ، بل انها تنزل الى المجتمع ، لتعرض نماذج واقعية في قالب اجتماعي جذاب حتى ان كثيرا من التشابه والامثلة التي ضربتها جاءت واقعية ساذجة كما في مقال « طفيان القديم » الذي قالت فيه : (كأننا اطفال ندس في افواههم ملهاة الرضاع كلما حاجهم البكاء ولم يجدوا الغذاء حتى يناموا وهي في افواههم العطش) . .

واللفظ عندها حلو الوقع على الاذان فهي ليست من هواة المعاطلة والاغراب في الكلام بل انها تؤثر الفصيح المتداول على القديم الغريب ، لتكون مقالاتها في متناول القراء على اختلاف مستويات ثقافتهم ، وميلها الى التبسيط يتعدى الكلام الى المواضيع ذاتها فهي تتجنب التعقيد وتتجافى عن الاطالة لتلائم بين المقال ونفسية القاريء.. بيد انها لا تترك المقال قبل ان توفيه حظه من البحث والتحليل في غير ما عناه ولا مشقة ...

ودراساتها كانت تعكس افكارها المجردة السامية فنتم على ثقافة واسعة متنوعة وذاكرة حافظة قوية وعقلية عميقة واعية ، وهذه الافكار لا يمكن لناقد ما ان يظن فيها او يجرحها بشكل من الاشكال فهي ليست بالرجعية المتزمتة التي تنكر على المرأة وجودها وحققها في الحياة كشريكة للرجل ، تقف الى جانبه وقفة الند للند في كثير من الامور ، ولا هي بالمتهورة الطائشة التي تنادي باطلاق الحرية امام المرأة من اوسع الابواب حتى تصل الى درجة الفوضوية ، فتعمل في جسم المجتمع هدما وتخريبا ، لانه لم يالف ذلك النوع من الحريات بعد !

وللافكار الحديثة تأثير كبير في ادب وداد فدعت الى الاخذ بالجيد منها ونبتد الفاسد في غير تهور أو تسرع كما في مقال « الادب المكشوف » ومقال « اثر المرأة في القومية العربية » الذي دل على اطلاعها الواسع حول القومية وتطور مفهومها ...

وقد بدا واضحا ان الادبية حينما كانت تكب على درر الاداب العالية انما كانت تسودها مسحة دينية لم تلبث ان استحالحت في قلبها وعقلها الى مسحة صوفية لسنا اثرها في مقال « لمحات من التصوف » ومقال « ازاهير الذنوب » وغيرهما ...

وكان تفاعلها مع مجتمعتها وبيئتها ظاهرا جليا في سائر مقالاتها ، فقد صرحت بمواقفها وعواطف غيرها من بنات جنسها فتمازجت مع المجتمع الذي دخلته مفكرة مصلحة تهدف للبناء وتعمل للاصلاح .

واذا كنت اوافق السيدة وداد على ما في كتابها جملة فليس لي ان افعل ذلك حينما ناتي للتفصيل ، فقد كتبت مقالا بعنوان « الادب في الكتب السماوية » قالت فيه ان لهذه الكتب تأثيرا كبيرا في الادب العالمي وحينما اخذت تضرب الامثلة لتدعم رأيها اوردت في طليعة المقالات قولها : (ان ابتهاالات البراهمة هي التي اوحت لفيدياس باناشيده المليئة بصور الفن والجلال وكانت سبيلا الى ابتكار الملحمة الهندية المسماة « مها بهارتا » وان معابد باخوس في اليونان هي التي كانت نبعيا فياضا لادب الافريق الذي تألقت فنونه في الالياذة والاوديسة) ... فلتعذرني السيدة المؤلفة اذا اتهمتها بالخروج على الموضوع في هذه الناحية بالذات لاننا لو استقرنا العنوان من جديد لوجدنا ان البحث منحصر في « الكتب السماوية » فقط وليس سائر الاديان ! فما هي علاقة البراهمة

النشاط التثقيفي في فرنسا

فرنسا

رواية الموسم : « هل تحبين برامس ؟ »

صدرت هذا الشهر في باريس الرواية الرابعة للكاتبة الفرنسية الشابة فرانسواز ساغان بعنوان : « هل تحبين برامس ؟ » (1) Aimez-vous Brahms وكانت الاوساط الادبية تترقب ظهور هذه الرواية لتحكم على تطور الكاتبة عبر رواياتها الاربعة ، لاسيما وان هذه الرواية الاخيرة قد نحت نحوا جديدا في اختيار الموضوع والتحليل والتأليف . اما موضوعها فقصه حب ابطالها ثلاثة : امرأة في التاسعة والثلاثين ورجل في الاربعين ، وشاب في الخامسة والعشرين . ان بول تحب روجيه وتقضي ايامها معه منذ سنوات . ولكن روجيه يتركها بين الفينة والفينة ليرتبط بغراميات اخرى ، مع نساء اخريات . وتستشعر بول الوحدة والتمزق بين مكان عملها وبيتها ، حتى تلقي بشاب نصر في الخامسة والعشرين يدعى سيمون ، يسألها يوما في رسالة قصيرة يدعوها فيها الى حضور حفلة موسيقية : « هل تحبين برامس ؟ » فتعتقد بينهما اواصر صداقة ما تلبث ان تتحول في نفس الشاب الى حب عنيف يستجيب له بول بدافع من ثار لوحدها القائلة ، وعطف على حماسة سيمون واندفاعه . وتجهد المرأة في الاعتقاد لحظة بان شباب سيمون سيعزبها عن قسوة روجيه اللاواعية . ولكن ما ان تمر الازمة حتى تعود الى روجيه وتستأنف حياتها معه ، على يقينها بانه سيظل يخدعها ويخونها . ولكنها تؤمن ايمانا لاواعيا بانه قدراها ، وانها ستظل مشدودة اليه بياس عميق ، مهما حاولت ان تتخلص منه ، وتبتعد عنه . انها بالاجمال قصة الحب الذي يقوده قدر اعمى فيصبح هونفسه اعمى . وهذه الرواية الجديدة تتبدى كامتحان اخر لفرانسواز ساغان امام وجه العالم ، امتحان تقدمه امام بضعة ملايين من القراء منتشرين في كل قارة ، يتلقون كتابها مترجما الى لغاتهم فور صدوره بلغته الاصيلة في باريس .

وقد عرف كثير من الروائيين والروائيات مثل النجاح والرواج اللذين عرفتهما فرانسواز ساغان . ولكن معظم تلك الاعمال لم تكن تنتمي الى الادب بمفهومه الصحيح ولا تعدى التسلية العابرة . اما ساغان فقد اصابته نجاحين : لقد بلغت الجمهور الكبير ، من غير ان تفقد احترام النقد . وهي تحفظ في مختلف البلاد بمناصرين متحمسين اما بين الكتاب والروائيين الذين ينتمون الى جيلها او الى الجيل السابق .

ويبدو ان الكاتبة قد حققت في روايتها الجديدة تقدما ملموسا بالنسبة لرواياتها السابقة . فهي قد تخلت هنا عن الامثلة والعبر التي كانت تنشرها في كل صفحة ، كما انها ركزت اسلوبها تركيزا شديدا : وهي تصور الاحداث تصويرا موحيا ، وتشعر بانها كاتبة تبحث عن النضج .

(1) صدرت الترجمة العربية الكاملة لهذه الرواية عن دار الاداب في

بيروت هذا الشهر

صحيح ان جميع ابطالها في رواياتها السابقة يتميزون بتلك اللامبالاة وهذا القلق اللذين يرهقانهم فيسعون الى التخلص منها ، ولكن عينا ، ولكنها بذلك تبدو لسان حال الشبيبة الفرنسية كلها ، بل ربما الشبيبة في العالم برمته . انها ترى الشباب كما هم ، وتصورهم تصويرا واقعيا دقيقا . اما « الكبار » الذين يناهزون الاربعين فتصورهم تصويرا مثاليا : فهم دائما هادئون ، قساة ، واثقون من انفسهم ، يستمتعون تصرفاتهم من حكمة لا تضمنها الا التجربة والمعاناة . ولا شك في ان هذا البحث عن النضج هو الذي يستوقف القراء لدى فرانسواز ساغان . ولا ريب في ان الشعوب هي ايضا ، في هذا العالم القلق ، تبحث عن النضج ، ولعل ساغان ترمز الى ذلك حين تلمس التوازن في عالم غير متوازن . وقد قادها ذلك في روايتها الاخيرة الى اتجاه اخر : « كانت تود ان يكون لها بيت في الريف ، وايام تتشابه ، وبكلمة واحدة : الطفولة »

ومهما يكن من امر ، فقد اجمع النقاد الفرنسيون الذين سارعوا الى الكتابة عن « هل تحبين برامس » فور صدوره على انه خير روايات ساغان ، بما فيها من وحدة وتركيز وموسيقى خاصة بهذه الروائية المبدعة ذات اللحن الخائب المتوتر ، القلق . وبالرغم من ان الرواية هزيلة في عدد صفحاتها المئة والثمانين ، فانها ذات كثافة ووزن وقيمة . والتطور فيها يكمن في التحليل العميق : فالقاريء لا يقرأ اوصاف « القلق » و « الضجر » و « الفضول » في الوجه ، وانما هو يراقب ابطال الرواية يعيشون القلق والضجر والفضول في الوجه وفي النفس . ويشعر بالكاتبة تراقبهم يعيشون ، وتسمعهم يثرثرون ، وتراهم يشيخون ويحبون ويشربون ويخافون ويضجرون احيانا - كل ذلك في تجرد هاديء يكاد يكون قاسيا . وهذا ما يدل على انها تخلت عن نزعتها السابقة ككاتبة تعبر من غير تمييز عن كل فكرة ببالتها ، وكل احساس يمر بقلبها ، تخلت عن نزعة التعبير عن مجرد الفناء النفسي ، لتتقود ابطالها قيادة رصينة دقيقة مجردة تبدو فيها روائية قد تمكنت من فنها كل التمكن ، واضعة حدا حاسما لكل شك تطرق الى نفوس بعض القراء والنقاد حين اخذوا يتساءلون منذ كتابها الاول « مرحبا ايها الحزن » عن رواياتها القادمة ومستقبلها كروائية .

انها تكتب الحياة بكل بساطة ، وكل عمق . وقد اجابت اخيرا على سؤال طرحه عليها احد الصحفيين عما تود ان تكتبه في المستقبل ، فقالت : « اود ان اكتب روايات تقل فيها الاحداث الدرامية ، وتكثر فيها الحياة اليومية . ذلك ان الدراما تكمن هنا ، والاحداث الخارجية هي دائما اشياء عارضة . الدراما هي في ان ينهض الانسان وينام ويفترب بين النهوض والنوم ، وينساق للحياة . ان الدراما هي الحياة اليومية .. وقد يمينا الانسان احيانا ، ولكنه لا يمينا غالبا ... مساء وهو في سريره ، اذ يكون وحيدا ، ويكون حزينا ... »

تبقى هناك قضية اخيرة لا بد ان يطرحها قاريء فرانسواز ساغان : اترامها تعتقد بان على الروائي وباستطاعته ان يحاول ، بآثاره ، المساهمة في تغير المجتمع ؟ وقد اجابت هي نفسها على هذا السؤال بقولها :

النشاط الثماني في الفـ ر ب

اريد ان اعرف اذا كنت اصارع الثيران كما يصارعها ابي . « فذهبت لاتفرج عليه ، وقلت له : « بل تصارعها خيرا من ابيك . » ولم يكف عن اتقان فنه لحظة ، مع ما احترمه اشد الاحترام في الناس : تواضع الفنان . انه فنان وسيد ، فنان في السيادة . فهو فنان حقيقي لانه يحسن مهنته .

« ثم ان هناك شيئا اخر هاما . ان بيننا ، اوردونيز وانا ، شيئا مشتركاً : انا نبحث في الحياة عن انطباعات حياة وموت . هل تفهم جيداً؟ حياة وموت . انا لسنا حزينين . انا حيان ، سعيدان ، كئيفان . ويعرف اوردونيز ان يكون سعيداً . وانا احذر الناس الذين لا يعرفون ان يكونوا سعداء . وهم على اي حال لا يهتمونني . اما اوردونيز وانا ، فاننا نحتقر الموت . اندري ما يقول الاسبان حين يتحدثون عن الموت؟ انهم يقولون « تلك البقي الاخرى ! » اجل ، تلك البقي الاخرى . على ان الامر اشد تعقيداً من ذلك ، وها انت تحملني على الحديث عما اكتبه في هذه الابام . . . وخير لي ان اكتبه كليا . لقد اخذت اقصد حلبات المصارعة لان جميع الحروب قد انتهت عام ١٩٢٠ ، وكان ما يهمني انا : الحياة والموت . الحياة بالقرب من الموت . والموت نفسه الذي ننظر اليه من غير ان نفمض عيوننا .

« اني اكن لانطونيو نوعاً من الصداقة الابوية . ان لي ثلاثة اولاد ، اولهم كابتن في فرقة المظلات ، والثاني يصطاد الفهود في افريقيا الجنوبية وقد اراد الثالث ان يكون طالباً في الطب . اما الاول ، فقد نجحت في ان انسئ اني ابوه ، اذ كنا صديقين حقيقين . وهذه هي العلاقات نفسها التي تربطني بانطونيو . ولما كنت لا اكف عن اعجابي به وايماني به ، ولما كان يثق بي مثل ثقتي به ، فقد انتهى بنا الامر الى تأليف شركة . انه يعرف الثيران وانا اعرف الباقي ، فنحن نعمل معا وننقسم . هل تكتب عن الثيران في مجلتك ؟ »

فاجابه جان دانيال ، وهو محرر كبير في جريدة « الاكسبريس » الفرنسية :
- كلا ، مع الاسف . ولكني اهتم باشياء اخرى في هذه الفترة . حرب الجزائر مثلاً .

« اعتقد اني لا استطيع ان اؤثر اي تأثير ، لاني اولا امرأة ، ولاني ثانياً لا املك ثقافة سياسية . ان سارتر مثلاً يملك رصيماً من العمل والذكاء يمكنه من ان يكتب روايات ويشارك في الاحداث ، اما انا ، فلا . ان هناك اشياء اكرهها ، وصحفاً واشخاصاً لا استطيع ان اقرأها او اراها ، ولكن هذا موقف سلبي . وكثيرون يعتقدون ان ذلك غير كاف . ولا ادري الحق مع اي فريق . . . وهذا لا يزعجني من الناحية المعنوية والاخلاقية ، اذ انه يزعجني عجزني عن الطيران . اني اود لو اطيح . ولكن ذلك يزعجني اجتماعياً ، لانه يستحيل علي الا اؤثر ببعض الفظائع غير اني استطيع الاعتقاد دائماً بانني اذا واجهت موقفاً اكثر حسماً او يبدو لي اكثر حسماً ، كان يكون اكثر مأساوية ، فلن اتردد . »

فهل يمكن للقاري ان يأمل ، بعد اعجابه بفرنسواز سافان ، ان يراها تتجه شيئاً فشيئاً الى ان تصبح ، في هذا العالم القلق الذي تعيش فيه ، ويعيش فيه هو القاري ، كاتبة اجتماعية تستجيب لهموم الحياة في مختلف ابعادها ؟

س . ا .

الولايات المتحدة

حديث هام لهنغواي . . .

كان ارنست همنغواي في حلبة مصارعة الثيران بمدينة « بايون » في فرنسا ، حين التقى بالكاتب الفرنسي جان دانيال ، فجرت بينهما محادثة ادبية ذات قيمة . وكان همنغواي يرافق مصارع الثيران الشهير « اوردنيز » ويجد لذة كبيرة في مشاهدته وهو يصارع الثيران . وحين سأل دانيال لماذا يرافق اوردنيز اجابه بقوله :

« انني مسرور بان تطرح علي هذا السؤال . فقد كنت اخشى ان تحدثني عن الادب . فانا لا اؤلف الكتب لاستطيع ان اتحدث عنها فيما بعد ! اني لا احسن الحديث عن الادب ، ثم ان هذا لا يهمني ، ولا احب رفقة الادباء . بعكس مرافقة الرسامين ، فهؤلاء يملكون فناً طبعياً . اما الكتاب فهم غير طبيعيين . انهم كائنات غير مستقرة ، محكوم عليها بعدم الامانة . ومن الصعب ان يجد المرء « رجالاً » بين الكتاب . وانا لا استطيع ان ارتبط الا برجال حقيقين . وفي فرنسا هناك « رجال » حقيقيون امثال بريغر وسارتر . ولا ارى سارتر يعتبر نفسه جاداً في علاقاته البشرية . وهذا شيء لطيف اذ يقوي العلاقات . ومن اجل هذا ايضا احب انطونيو اوردنيز . لانه رجل ، ولانه كفؤ ذلك الذي يكون رجلاً اذ يكون مصارع ثيران . وكذلك شأن من يكون كاتباً .

« ان اوردونيز يقضي كل وقته في عمل ما يعمله الناس احياناً ، وما لا يعمله العظماء الا عرضاً . وانا لم اشهد في حياتي شيئاً يشبه ما يعمله هذا الفجري الصغير . ثم انه صديق ، وقد عرفت اباه نينو دولا بالما معرفة عميقة ، وكذلك عرفت اسرته كلها . وحين اصبحت بذلك الحادث الخطير بينما كنت اصطاد في افريقيا الجنوبية ، كانت البرقية الاولى موقعة باسم شخص لم اكن اعرفه ، الابن الثالث لنينو دولا بالما : انطونيو اوردونيز . وحين عدت الى اسبانيا ، للمرة الاولى منذ الحرب الاهلية ، استقبلني انطونيو الذي قال لي اول ما قال : « تسال

دار الاداب تقدم

دُرُوبُ الْقُرُومَةِ الْقَرَبَةِ

دراسة واقية في مراعات القومية العربية
ومكاسبها

للمفكر العربي الكبير
الدكتور عبدالله عبد الدائم

يطلب من جميع المكتبات

صدر حديثاً

النشاط الثماني في الغرب

ترافقها الضجة المسرحية ، وهو لا يريد خصوصا ان يفسر ذهاب فيدوسييف على انه انتصار لانصار « اعادة النظر » ..

ومهما يكن من امر ، فان تنحية فيدوسييف علامة مشجعة لتحرر العهد وبروز الشبان . وهناك حادث آخر يشي ان القضية ليست قضية عمل عارض . فقد قرر رئيس التحرير الجديد لمجلة « ليتاراتورنايا غازيتا » واسمه سميرنوف ان ينشر مؤخرا ، بحجة دراسة عن النقد الادبي ، بعض التصريحات التي ادلى بها له السيد خروتشيف اخيرا في مقابلة معه بالكرملين:

« لقد قال لي نيكيتا سيرغييفتش انه كان مع بعض قادة الحزب الاخرين يعون تماما المصير المربع الذي صار اليه الادباء في عهد « عبادة الاشخاص » وقد استمعت بانفعال كبير هذه الكلمات الصادرة عن القلب، وكنت اتذكر بان سنوات ما قبل الحرب وما بعدها قد كانت بالفعل سنوات مربعة بالنسبة لكتابتنا . »

والنتيجة التي خلص اليها سميرنوف انه يجب على الحزب وعلى النقاد الادبيين الا يمثلوا بعد الان دور المدعين العامين والقضاة القسا ، بل ان عليهم ان « يساعدوا ويشجعوا المواهب بدلا من ان يحطموها بحجة المحافظة على المعتقد . »

- بعد ان يعرف الانسان الحرب والصحافة ، يأتي دور الثيران . وهذا افضل من الحديث عن الادب .

- هل مارست مهنة النقد الادبي في شبابك ؟

- كلا ، لم اكن يوما مدعيا .

- الا تقرأ ما يكتب عنك ؟

- ان ذلك لا يهمني على الاطلاق . ان النقاد لم يساعدوني قط ، باستثناء اثنين ، على ان افهم نفسي او ان يفهمني الناس . والحق ان جميع الناس يفهموني . ولا حاجة بي الى من يترجمني لهم . اما الان ، فستتوقف عن الحديث ، وستشرب معنا قدحا ثم تذهب ، لان امامي اعمالا رصينة كثيرة ينبغي ان اقوم بها : يجب ان اتسلى ، وان اكل وان اشرب ايضا .. »

الاتحاد السوفياتي

تطور في الفلسفة والنقد ..

في العاصمة السوفياتية التي أصبحت هذا الصيف مسرحا للمظاهرات السياسية والثقافية والرياضية (المعرض الاميريكي ، مهرجان موسكو السينمائي الاول ، الالعاب الاولمبية لشعوب الاتحاد السوفياتي) لم يستلقت الانظار ذلك النبا الصغير المتعلق بتغيير الادارة في اهم مجلة فلسفية بالاتحاد السوفياتي ، بالرغم من انه نبا على غاية من الاهمية .

لقد نجح السيد فيدوسييف ، مدير المعهد الفلسفي والعضو الاكاديمي المعروف ، في ان يحتفظ خلال سنوات الاضطراب والانقلاب على سياسة ستالين ، بمركز الدكتور الحقيقي للفلسفة السوفياتية . صحيح انه كان ديكتاتورا حذرا ، حكيما ، باعتبار ان بعض المضايقات كانت قد علمته في المعهد الستاليني بانه ينبغي الا يجيب قط بنعم او بلا على بعض الاسئلة المباشرة . ولكن ذلك لم يمنع من ان يظهر فيدوسييف ومعاونوه حماة الارثوذكسية الستالينية في ميدان الفلسفة .

وقد كانوا يوجهون صواعقهم على دعاة « اعادة النظر » عبر مجلة « مسائل الفلسفة » (فوبروسي فيلوسوفي) وقد كان هنري لوفيفر في فرنسا والبروفسور كولوكوفسكي في بولونيا مرمى سهامهم المفضل لمدة طويلة . وفي الاشهر الاخيرة الماضية اتى دور الفلاسفة السوفيات الشبان الذين اخذوا يهتمون اهتماما شديدا بعلم الاجتماع . ولكن فيدوسييف كان يصرح بان « علم الاجتماع هو علم بورجوازي اخترعه الاميريكيون ، بينما يجد الماركسيون تحت تصرفهم المادة التاريخية ليدرسوا المجتمعات السابقة والحالية . »

وفجأة اعلنت تنحية فيدوسييف وثمانية من معاونيه الاقربين ، فاعتبر ذلك دليل انقلاب عميق في عدة فروع من الفكر والبحث العلمي في الاتحاد السوفياتي. وقد احاط بهذا الاعلان تحفظ وخفاء مقصودان لذانهما ، فان السيد ميخايلوف وزير الثقافة لا يحب القرارات التي

صدر حديثا عن دار المعارف بمصر

- ٤٠٠ شكري القوتلي، تاريخ امه في حياة رجل بقلم عبد اللطيف اليونس
- ٥٥٠ دراسات في الشعر العربي المعاصر للدكتور شوقي ضيف
- ٤٠٠ العلاقات العامة تأليف ادوار بيرنز واخرين
- ٢٥٠ من اصطلاحات الادب العربي للدكتور ناصر الحاني
- ١٥٠ المسرح للدكتور محمد مندور
- ٣٥٠ تاريخ الصيدلة والعقاقير للدكتور ج. شحاني قنواي
- ٣٥٠ كوميديا الاخطاء ، رتشارد الثالث لشكسبير
- ٤٠٠ حافظ ابراهيم، شاعر النيل للدكتور عبد الحميد سند الجندي
- ٤٠٠ شوقي، شعره الاسلامي للدكتور ماهر حسن فهمي

تطلب هذه الكتب من دار المعارف ببيروت ومن جميع المكتبات الكبرى

النشاط التثقيفي في فرنسا

فرنسا

رواية الموسم : « هل تحبين برامس ؟ »

صدرت هذا الشهر في باريس الرواية الرابعة للكاتبة الفرنسية الشابة فرانسواز ساغان بعنوان : « هل تحبين برامس ؟ » (1) Aimez-vous Brahms وكانت الاوساط الادبية تترقب ظهور هذه الرواية لتحكم على تطور الكاتبة عبر رواياتها الاربعة ، لاسيما وان هذه الرواية الاخيرة قد نحت نحوا جديدا في اختيار الموضوع والتحليل والتأليف . اما موضوعها فقصه حب ابطالها ثلاثة : امرأة في التاسعة والثلاثين ورجل في الاربعين ، وشاب في الخامسة والعشرين . ان بول تحب روجيه وتقضي ايامها معه منذ سنوات . ولكن روجيه يتركها بين الفينة والفينة ليرتبط بغراميات اخرى ، مع نساء اخريات . وتستشعر بول الوحدة والتمزق بين مكان عملها وبيتها ، حتى تلقي بشاب نصر في الخامسة والعشرين يدعى سيمون ، يسألها يوما في رسالة قصيرة يدعوها فيها الى حضور حفلة موسيقية : « هل تحبين برامس ؟ » فتعتقد بينهما اواصر صداقة ما تلبث ان تتحول في نفس الشاب الى حب عنيف يستجيب له بول بدافع من ثار لوحدها القاتلة ، وعطف على حماسة سيمون واندفاعه . وتجهد المرأة في الاعتقاد لحظة بان شباب سيمون سيعزبها عن قسوة روجيه اللاداعية . ولكن ما ان تمر الازمة حتى تعود الى روجيه وتستأنف حياتها معه ، على يقينها بانه سيظل يخدعها ويخونها . ولكنها تؤمن ايمانا لاواعيا بانه قدراها ، وانها ستظل مشدودة اليه بياس عميق ، مهما حاولت ان تتخلص منه ، وتبتعد عنه . انها بالاجمال قصة الحب الذي يقوده قدر اعمى فيصبح هونفسه اعمى . وهذه الرواية الجديدة تتبدى كامتحان اخر لفرانسواز ساغان امام وجه العالم ، امتحان تقدمه امام بضعة ملايين من القراء منتشرين في كل قارة ، يتلقون كتابها مترجما الى لغاتهم فور صدوره بلغته الاصيلة في باريس .

وقد عرف كثير من الروائيين والروائيات مثل النجاح والرواج اللذين عرفتهما فرانسواز ساغان . ولكن معظم تلك الاعمال لم تكن تنتمي الى الادب بمفهومه الصحيح ولا تعدى التسلية العابرة . اما ساغان فقد اصابته نجاحين : لقد بلغت الجمهور الكبير ، من غير ان تفقد احترام النقد . وهي تحفظ في مختلف البلاد بمناصب متحسين اما بين الكتاب والروائيين الذين ينتمون الى جيلها او الى الجيل السابق .

ويبدو ان الكاتبة قد حققت في روايتها الجديدة تقدما ملموسا بالنسبة لرواياتها السابقة . فهي قد تخلت هنا عن الامثلة والعبر التي كانت تنشرها في كل صفحة ، كما انها ركزت اسلوبها تركزا شديدا : وهي تصور الاحداث تصويرا موحيا ، وتشعر بانها كاتبة تبحث عن النضج .

(1) صدرت الترجمة العربية الكاملة لهذه الرواية عن دار الاداب في بيروت هذا الشهر

صحيح ان جميع ابطالها في رواياتها السابقة يتميزون بتلك اللامبالاة وهذا القلق اللذين يرهقانهم فيسعون الى التخلص منها ، ولكن عينا ، ولكنها بذلك تبدو لسان حال الشبيبة الفرنسية كلها ، بل ربما الشبيبة في العالم برمته . انها ترى الشباب كما هم ، وتصورهم تصويرا واقعيا دقيقا . اما « الكبار » الذين يناهزون الاربعين فتصورهم تصويرا مثاليا : فهم دائما هادئون ، قساة ، واثقون من انفسهم ، يستمتعون تصرفاتهم من حكمة لا تضمنها الا التجربة والمعاناة . ولا شك في ان هذا البحث عن النضج هو الذي يستوقف القراء لدى فرانسواز ساغان . ولا ريب في ان الشعوب هي ايضا ، في هذا العالم القلق ، تبحث عن النضج ، ولعل ساغان ترمز الى ذلك حين تلمس التوازن في عالم غير متوازن . وقد قادها ذلك في روايتها الاخيرة الى اتجاه اخر : « كانت تود ان يكون لها بيت في الريف ، وايام تتشابه ، وبكلمة واحدة : الطفولة »

ومهما يكن من امر ، فقد اجمع النقاد الفرنسيون الذين سارعوا الى الكتابة عن « هل تحبين برامس » فور صدوره على انه خير روايات ساغان ، بما فيها من وحدة وتركيز وموسيقى خاصة بهذه الروائية المبدعة ذات اللحن الخائب المتوتر ، القلق . وبالرغم من ان الرواية هزيلة في عدد صفحاتها المئة والثمانين ، فانها ذات كثافة ووزن وقيمة . والتطور فيها يكمن في التحليل العميق : فالقاري لا يقرأ اوصاف « القلق » و « الضجر » و « الفضول » في الوجه ، وانما هو يراقب ابطال الرواية يعيشون القلق والضجر والفضول في الوجه وفي النفس . ويشعر بالكاتبة تراقبهم يعيشون ، وتسمعهم يثرثرون ، وتراهم يشيخون ويحبون ويشربون ويخافون ويضجرون احيانا - كل ذلك في تجرد هاديء يكاد يكون قاسيا . وهذا ما يدل على انها تخلت عن نزعتها السابقة ككاتبة تعبر من غير تمييز عن كل فكرة ببالتها ، وكل احساس يمر بقلبها ، تخلت عن نزعة التعبير عن مجرد الفناء النفسي ، لتتقود ابطالها قيادة رصينة دقيقة مجردة تبدو فيها روائية قد تمكنت من فنها كل التمكن ، واضعة حدا حاسما لكل شك تطرق الى نفوس بعض القراء والنقاد حين اخذوا يتساءلون منذ كتابها الاول « مرحبا ايها الحزن » عن رواياتها القادمة ومستقبلها كروائية .

انها تكتب الحياة بكل بساطة ، وكل عمق . وقد اجابت اخيرا على سؤال طرحه عليها احد الصحفيين عما تود ان تكتبه في المستقبل ، فقالت : « اود ان اكتب روايات تقل فيها الاحداث الدرامية ، وتكثر فيها الحياة اليومية . ذلك ان الدراما تكمن هنا ، والاحداث الخارجية هي دائما اشياء عارضة . الدراما هي في ان ينهض الانسان وينام ويفترب بين النهوض والنوم ، وينساق للحياة . ان الدراما هي الحياة اليومية .. وقد يمينا الانسان احيانا ، ولكنه لا يمينا غالبا ... مساء وهو في سريره ، ان يكون وحيدا ، ويكون حزينا ... »

تبقى هناك قضية اخيرة لا بد ان يطرحها قاري فرانسواز ساغان : اترامها تعتقد بان على الروائي وباستطاعته ان يحاول ، بآثاره ، المساهمة في تغير المجتمع ؟ وقد اجابت هي نفسها على هذا السؤال بقولها :

النشاط الثماني في الفـ ر ب

اريد ان اعرف اذا كنت اصارع الثيران كما يصارعها ابي . « فذهبت لاتفرج عليه ، وقلت له : « بل تصارعها خيرا من ابيك . » ولم يكف عن اتقان فنه لحظة ، مع ما احترمه اشد الاحترام في الناس : تواضع الفنان . انه فنان وسيد ، فنان في السيادة . فهو فنان حقيقي لانه يحسن مهنته .

« ثم ان هناك شيئا اخر هاما . ان بيننا ، اوردونيز وانا ، شيئا مشتركاً : انا نبحث في الحياة عن انطباعات حياة وموت . هل تفهم جيداً؟ حياة وموت . انا لسنا حزينين . انا حيان ، سعيدان ، كئيفان . ويعرف اوردونيز ان يكون سعيداً . وانا احذر الناس الذين لا يعرفون ان يكونوا سعداء . وهم على اي حال لا يهتمونني . اما اوردونيز وانا ، فاننا نحتقر الموت . اندري ما يقول الاسبان حين يتحدثون عن الموت؟ انهم يقولون « تلك البقي الاخرى ! » اجل ، تلك البقي الاخرى . على ان الامر اشد تعقيداً من ذلك ، وها انت تحملني على الحديث عما اكتبه في هذه الابام . . . وخير لي ان اكتبه كليا . لقد اخذت اقصد حلبات المصارعة لان جميع الحروب قد انتهت عام ١٩٢٠ ، وكان ما يهمني انا : الحياة والموت . الحياة بالقرب من الموت . والموت نفسه الذي ننظر اليه من غير ان نفمض عيوننا .

« اني اكن لانطونيو نوعاً من الصداقة الابوية . ان لي ثلاثة اولاد ، اولهم كابتن في فرقة المظلات ، والثاني يصطاد الفهود في افريقيا الجنوبية وقد اراد الثالث ان يكون طالباً في الطب . اما الاول ، فقد نجحت في ان انسئ اني ابوه ، اذ كنا صديقين حقيقين . وهذه هي العلاقات نفسها التي تربطني بانطونيو . ولما كنت لا اكف عن اعجابي به وايماني به ، ولما كان يثق بي مثل ثقتي به ، فقد انتهى بنا الامر الى تأليف شركة . انه يعرف الثيران وانا اعرف الباقي ، فنحن نعمل معا وننقسم . هل تكتب عن الثيران في مجلتك ؟ »

فاجابه جان دانيال ، وهو محرر كبير في جريدة « الاكسبريس » الفرنسية :
- كلا ، مع الاسف . ولكني اهتم باشياء اخرى في هذه الفترة . حرب الجزائر مثلاً .

« اعتقد اني لا استطيع ان اؤثر اي تأثير ، لاني اولا امرأة ، ولاني ثانياً لا املك ثقافة سياسية . ان سارتر مثلاً يملك رصيماً من العمل والذكاء يمكنه من ان يكتب روايات ويشارك في الاحداث ، اما انا ، فلا . ان هناك اشياء اكرهها ، وصحفاً واشخاصاً لا استطيع ان اقرأها او اراها ، ولكن هذا موقف سلبي . وكثيرون يعتقدون ان ذلك غير كاف . ولا ادري الحق مع اي فريق . . . وهذا لا يزعجني من الناحية المعنوية والاخلاقية ، اذ انه يزعجني عجزني عن الطيران . اني اود لو اطيح . ولكن ذلك يزعجني اجتماعياً ، لانه يستحيل علي الا اؤثر ببعض الفظائع غير اني استطيع الاعتقاد دائماً بانني اذا واجهت موقفاً اكثر حسماً او يبدو لي اكثر حسماً ، كان يكون اكثر مأساوية ، فلن اتردد . »

فهل يمكن للقاري ان يأمل ، بعد اعجابه بفن فرانسواز سافان ، ان يراها تتجه شيئاً فشيئاً الى ان تصبح ، في هذا العالم القلق الذي تعيش فيه ، ويعيش فيه هو القاري ، كاتبة اجتماعية تستجيب لهموم الحياة في مختلف ابعادها ؟
س . ا .

الولايات المتحدة

حديث هام لهنغواي . . .

كان ارنست همنغواي في حلبة مصارعة الثيران بمدينة « بايون » في فرنسا ، حين التقى بالكاتب الفرنسي جان دانيال ، فجرت بينهما محادثة ادبية ذات قيمة . وكان همنغواي يرافق مصارع الثيران الشهير « اوردنيز » ويجد لذة كبيرة في مشاهدته وهو يصارع الثيران . وحين سأل دانيال لماذا يرافق اوردنيز اجابه بقوله :

« انني مسرور بان تطرح علي هذا السؤال . فقد كنت اخشى ان تحدثني عن الادب . فانا لا اؤلف الكتب لاستطيع ان اتحدث عنها فيما بعد ! اني لا احسن الحديث عن الادب ، ثم ان هذا لا يهمني ، ولا احب رفقة الادباء . بعكس مرافقة الرسامين ، فهؤلاء يملكون فناً طبعياً . اما الكتاب فهم غير طبيعيين . انهم كائنات غير مستقرة ، محكوم عليها بعدم الامانة . ومن الصعب ان يجد المرء « رجالاً » بين الكتاب . وانا لا استطيع ان ارتبط الا برجال حقيقيين . وفي فرنسا هناك « رجال » حقيقيون امثال بريغر وسارتر . ولا ارى سارتر يعتبر نفسه جاداً في علاقاته البشرية . وهذا شيء لطيف اذ يقوي العلاقات . ومن اجل هذا ايضا احب انطونيو اوردنيز . لانه رجل ، ولانه كفؤ ذلك الذي يكون رجلاً اذ يكون مصارع ثيران . وكذلك شأن من يكون كاتباً .

« ان اوردونيز يقضي كل وقته في عمل ما يعمله الناس احياناً ، وما لا يعمله العظماء الا عرضاً . وانا لم اشهد في حياتي شيئاً يشبه ما يعمله هذا الفجري الصغير . ثم انه صديق ، وقد عرفت اباه نينو دولا بالما معرفة عميقة ، وكذلك عرفت اسرته كلها . وحين اصبحت بذلك الحادث الخطير بينما كنت اصطاد في افريقيا الجنوبية ، كانت البرقية الاولى موقعة باسم شخص لم اكن اعرفه ، الابن الثالث لنينو دولا بالما : انطونيو اوردونيز . وحين عدت الى اسبانيا ، للمرة الاولى منذ الحرب الاهلية ، استقبلني انطونيو الذي قال لي اول ما قال : « تسال

دار الاداب تقدم

دُرُوبُ الْقُرُومَةِ الْقَرَبَةِ

دراسة واقية في مراعات القومية العربية
ومكاسبها

للمفكر العربي الكبير
الدكتور عبدالله عبد الدائم

يطلب من جميع المكتبات

صدر حديثاً

النشاط الثماني في الغرب

ترافقها الضجة المسرحية ، وهو لا يريد خصوصا ان يفسر ذهاب فيدوسييف على انه انتصار لانصار « اعادة النظر » ..

ومهما يكن من امر ، فان تنحية فيدوسييف علامة مشجعة لتحرر العهد وبروز الشبان . وهناك حادث آخر يشي ان القضية ليست قضية عمل عارض . فقد قرر رئيس التحرير الجديد لمجلة « ليتاراتورنايا غازيتا » واسمه سميرنوف ان ينشر مؤخرا ، بحجة دراسة عن النقد الادبي ، بعض التصريحات التي ادلى بها له السيد خروتشيف اخيرا في مقابلة معه بالكرملين:

« لقد قال لي نيكيتا سيرغييفتش انه كان مع بعض قادة الحزب الاخرين يعون تماما المصير المربع الذي صار اليه الادباء في عهد « عبادة الاشخاص » وقد استمعت بانفعال كبير هذه الكلمات الصادرة عن القلب، وكنت اتذكر بان سنوات ما قبل الحرب وما بعدها قد كانت بالفعل سنوات مربعة بالنسبة لكتابتنا . »

والنتيجة التي خلص اليها سميرنوف انه يجب على الحزب وعلى النقاد الادبيين الا يمثلوا بعد الان دور المدعين العامين والقضاة القسا ، بل ان عليهم ان « يساعدوا ويشجعوا المواهب بدلا من ان يحطموها بحجة المحافظة على المعتقد . »

- بعد ان يعرف الانسان الحرب والصحافة ، يأتي دور الثيران . وهذا افضل من الحديث عن الادب .

- هل مارست مهنة النقد الادبي في شبابك ؟

- كلا ، لم اكن يوما مدعيا .

- الا تقرأ ما يكتب عنك ؟

- ان ذلك لا يهمني على الاطلاق . ان النقاد لم يساعدوني قط ، باستثناء اثنين ، على ان افهم نفسي او ان يفهمني الناس . والحق ان جميع الناس يفهموني . ولا حاجة بي الى من يترجمني لهم . اما الان ، فستتوقف عن الحديث ، وستشرب معنا قدحا ثم تذهب ، لان امامي اعمالا رصينة كثيرة ينبغي ان اقوم بها : يجب ان اتسلى ، وان اكل وان اشرب ايضا .. »

الاتحاد السوفياتي

تطور في الفلسفة والنقد ..

في العاصمة السوفياتية التي أصبحت هذا الصيف مسرحا للمظاهرات السياسية والثقافية والرياضية (المعرض الاميركي ، مهرجان موسكو السينمائي الاول ، الالعاب الاولمبية لشعوب الاتحاد السوفياتي) لم يستلقت الانظار ذلك النبا الصغير المتعلق بتغيير الادارة في اهم مجلة فلسفية بالاتحاد السوفياتي ، بالرغم من انه نبا على غاية من الاهمية .

لقد نجح السيد فيدوسييف ، مدير المعهد الفلسفي والعضو الاكاديمي المعروف ، في ان يحتفظ خلال سنوات الاضطراب والانقلاب على سياسة ستالين ، بمركز الدكتور الحقيقي للفلسفة السوفياتية . صحيح انه كان ديكتاتورا حذرا ، حكيما ، باعتبار ان بعض المضايقات كانت قد علمته في المعهد الستاليني بانه ينبغي الا يجيب قط بنعم او بلا على بعض الاسئلة المباشرة . ولكن ذلك لم يمنع من ان يظهر فيدوسييف ومعاونوه حماة الارثوذكسية الستالينية في ميدان الفلسفة .

وقد كانوا يوجهون صواعقهم على دعاة « اعادة النظر » عبر مجلة « مسائل الفلسفة » (فوبروسي فيلوسوفي) وقد كان هنري لوفيفر في فرنسا والبروفسور كولوكوفسكي في بولونيا مرمى سهامهم المفضل لمدة طويلة . وفي الاشهر الاخيرة الماضية اتى دور الفلاسفة السوفيات الشبان الذين اخذوا يهتمون اهتماما شديدا بعلم الاجتماع . ولكن فيدوسييف كان يصرح بان « علم الاجتماع هو علم بورجوازي اخترعه الاميريكيون ، بينما يجد الماركسيون تحت تصرفهم المادة التاريخية ليدرسوا المجتمعات السابقة والحالية . »

وفجأة اعلنت تنحية فيدوسييف وثمانية من معاونيه الاقربين ، فاعتبر ذلك دليل انقلاب عميق في عدة فروع من الفكر والبحث العلمي في الاتحاد السوفياتي. وقد احاط بهذا الاعلان تحفظ وخفاء مقصودان لذاتهما ، فان السيد ميخايلوف وزير الثقافة لا يحب القرارات التي

صدر حديثا عن دار المعارف بمصر

- ٤٠٠ شكري القوتلي، تاريخ امه في حياة رجل بقلم عبد اللطيف اليونس
- ٥٥٠ دراسات في الشعر العربي المعاصر للدكتور شوقي ضيف
- ٤٠٠ العلاقات العامة تأليف ادوار بيرنز واخرين
- ٢٥٠ من اصطلاحات الادب العربي للدكتور ناصر الحاني
- ١٥٠ المسرح للدكتور محمد مندور
- ٣٥٠ تاريخ الصيدلة والعقاقير للدكتور ج. شحاني فنواي
- ٣٥٠ كوميديا الاخطاء ، رتشارد الثالث لشكسبير
- ٤٠٠ حافظ ابراهيم، شاعر النيل للدكتور عبد الحميد سند الجندي
- ٤٠٠ شوقي، شعره الاسلامي للدكتور ماهر حسن فهمي

تطلب هذه الكتب من دار المعارف ببيروت ومن جميع المكتبات الكبرى

النشاط التثقيفي في فرنسا

فرنسا

رواية الموسم : « هل تحبين برامس ؟ »

صدرت هذا الشهر في باريس الرواية الرابعة للكاتبة الفرنسية الشابة فرانسواز ساغان بعنوان : « هل تحبين برامس ؟ » (1) Aimez-vous Brahms وكانت الاوساط الادبية تترقب ظهور هذه الرواية لتحكم على تطور الكاتبة عبر رواياتها الاربعة ، لاسيما وان هذه الرواية الاخيرة قد نحت نحوا جديدا في اختيار الموضوع والتحليل والتأليف . اما موضوعها فقصه حب ابطالها ثلاثة : امرأة في التاسعة والثلاثين ورجل في الاربعين ، وشاب في الخامسة والعشرين . ان بول تحب روجيه وتقضي ايامها معه منذ سنوات . ولكن روجيه يتركها بين الفينة والفينة ليرتبط بغراميات اخرى ، مع نساء اخريات . وتستشعر بول الوحدة والتمزق بين مكان عملها وبيتها ، حتى تلقي بشاب نصر في الخامسة والعشرين يدعى سيمون ، يسألها يوما في رسالة قصيرة يدعوها فيها الى حضور حفلة موسيقية : « هل تحبين برامس ؟ » فتعتقد بينهما اواصر صداقة ما تلبث ان تتحول في نفس الشاب الى حب عنيف يستجيب له بول بدافع من ثار لوحدها القاتلة ، وعطف على حماسة سيمون واندفاعه . وتجهد المرأة في الاعتقاد لحظة بان شباب سيمون سيعزبها عن قسوة روجيه اللاواعية . ولكن ما ان تمر الازمة حتى تعود الى روجيه وتستأنف حياتها معه ، على يقينها بانه سيظل يخدعها ويخونها . ولكنها تؤمن ايمانا لاواعيا بانه قدراها ، وانها ستظل مشدودة اليه بياس عميق ، مهما حاولت ان تتخلص منه ، وتبتعد عنه . انها بالاجمال قصة الحب الذي يقوده قدر اعمى فيصبح هونفسه اعمى . وهذه الرواية الجديدة تتبدى كامتحان اخر لفرانسواز ساغان امام وجه العالم ، امتحان تقدمه امام بضعة ملايين من القراء منتشرين في كل قارة ، يتلقون كتابها مترجما الى لغاتهم فور صدوره بلغته الاصيلة في باريس .

وقد عرف كثير من الروائيين والروائيات مثل النجاح والرواج اللذين عرفتهما فرانسواز ساغان . ولكن معظم تلك الاعمال لم تكن تنتمي الى الادب بمفهومه الصحيح ولا تعدى التسلية العابرة . اما ساغان فقد اصابته نجاحين : لقد بلغت الجمهور الكبير ، من غير ان تفقد احترام النقد . وهي تحفظ في مختلف البلاد بمناصرين متحمسين اما بين الكتاب والروائيين الذين ينتمون الى جيلها او الى الجيل السابق .

ويبدو ان الكاتبة قد حققت في روايتها الجديدة تقدما ملموسا بالنسبة لرواياتها السابقة . فهي قد تخلت هنا عن الامثلة والعبر التي كانت تنشرها في كل صفحة ، كما انها ركزت اسلوبها تركيزا شديدا : وهي تصور الاحداث تصويرا موحيا ، وتشعر بانها كاتبة تبحث عن النضج .

(1) صدرت الترجمة العربية الكاملة لهذه الرواية عن دار الاداب في بيروت هذا الشهر

صحيح ان جميع ابطالها في رواياتها السابقة يتميزون بتلك اللامبالاة وهذا القلق اللذين يرهقانهم فيسعون الى التخلص منها ، ولكن عينا ، ولكنها بذلك تبدو لسان حال الشبيبة الفرنسية كلها ، بل ربما الشبيبة في العالم برمتها . انها ترى الشباب كما هم ، وتصورهم تصويرا واقعيا دقيقا . اما « الكبار » الذين يناهزون الاربعين فتصورهم تصويرا مثاليا : فهم دائما هادئون ، قساة ، واثقون من انفسهم ، يستمتعون تصرفاتهم من حكمة لا تضمنها الا التجربة والمعاناة . ولا شك في ان هذا البحث عن النضج هو الذي يستوقف القراء لدى فرانسواز ساغان . ولا ريب في ان الشعوب هي ايضا ، في هذا العالم القلق ، تبحث عن النضج ، ولعل ساغان ترمز الى ذلك حين تلمس التوازن في عالم غير متوازن . وقد قادها ذلك في روايتها الاخيرة الى اتجاه اخر : « كانت تود ان يكون لها بيت في الريف ، وايام تتشابه ، وبكلمة واحدة : الطفولة »

ومهما يكن من امر ، فقد اجمع النقاد الفرنسيون الذين سارعوا الى الكتابة عن « هل تحبين برامس » فور صدوره على انه خير روايات ساغان ، بما فيها من وحدة وتركيز وموسيقى خاصة بهذه الروائية المبدعة ذات اللحن الخائب المتوتر ، القلق . وبالرغم من ان الرواية هزيلة في عدد صفحاتها المئة والثمانين ، فانها ذات كثافة ووزن وقيمة . والتطور فيها يكمن في التحليل العميق : فالقاريء لا يقرأ اوصاف « القلق » و « الضجر » و « الفضول » في الوجه ، وانما هو يراقب ابطال الرواية يعيشون القلق والضجر والفضول في الوجه وفي النفس . ويشعر بالكاتبة تراقبهم يعيشون ، وتسمعهم يثرثرون ، وتراهم يشيخون ويحبون ويشربون ويخافون ويضجرون احيانا - كل ذلك في تجرد هاديء يكاد يكون قاسيا . وهذا ما يدل على انها تخلت عن نزعتها السابقة ككاتبة تعبر من غير تمييز عن كل فكرة ببالتها ، وكل احساس يمر بقلبها ، تخلت عن نزعة التعبير عن مجرد الفناء النفسي ، لتتقود ابطالها قيادة رصينة دقيقة مجردة تبدو فيها روائية قد تمكنت من فنها كل التمكن ، واضعة حدا حاسما لكل شك تطرق الى نفوس بعض القراء والنقاد حين اخذوا يتساءلون منذ كتابها الاول « مرحبا ايها الحزن » عن رواياتها القادمة ومستقبلها كروائية .

انها تكتب الحياة بكل بساطة ، وكل عمق . وقد اجابت اخيرا على سؤال طرحه عليها احد الصحفيين عما تود ان تكتبه في المستقبل ، فقالت : « اود ان اكتب روايات تقل فيها الاحداث الدرامية ، وتكثر فيها الحياة اليومية . ذلك ان الدراما تكمن هنا ، والاحداث الخارجية هي دائما اشياء عارضة . الدراما هي في ان ينهض الانسان وينام ويفترب بين النهوض والنوم ، وينساق للحياة . ان الدراما هي الحياة اليومية .. وقد يمينا الانسان احيانا ، ولكنه لا يمينا غالبا ... مساء وهو في سريره ، ان يكون وحيدا ، ويكون حزينا ... »

تبقى هناك قضية اخيرة لا بد ان يطرحها قاريء فرانسواز ساغان : اترامها تعتقد بان على الروائي وباستطاعته ان يحاول ، بآثاره ، المساهمة في تغير المجتمع ؟ وقد اجابت هي نفسها على هذا السؤال بقولها :

النشاط الثماني في الفـ ر ب

اريد ان اعرف اذا كنت اصارع الثيران كما يصارعها ابي . « فذهبت لاتفرج عليه ، وقلت له : « بل تصارعها خيرا من ابيك . » ولم يكف عن اتقان فنه لحظة ، مع ما احترمه اشد الاحترام في الناس : تواضع الفنان . انه فنان وسيد ، فنان في السيادة . فهو فنان حقيقي لانه يحسن مهنته .

« ثم ان هناك شيئا اخر هاما . ان بيننا ، اوردونيـ ز وانا ، شيئا مشتركاً : انا نبحث في الحياة عن انطباعات حياة وموت . هل تفهم جيداً؟ حياة وموت . انا لسنا حزينين . انا حيان ، سعيدان ، كئيفان . ويعرف اوردونيـ ز ان يكون سعيداً . وانا احذر الناس الذين لا يعرفون ان يكونوا سعداء . وهم على اي حال لا يهتموني . اما اوردونيـ ز وانا ، فاننا نحتقر الموت . اندري ما يقول الاسبان حين يتحدثون عن الموت؟ انهم يقولون « تلك البقي الاخرى ! » اجل ، تلك البقي الاخرى . على ان الامر اشد تعقيداً من ذلك، وها انت تحملني على الحديث عما اكتبه في هذه الابام . . . وخير لي ان اكتبه كليا . لقد اخذت اقصد حلبات المصارعة لان جميع الحروب قد انتهت عام ١٩٢٠ ، وكان ما يهمني انا : الحياة والموت . الحياة بالقرب من الموت . والموت نفسه الذي ننظر اليه من غير ان نفمض عيوننا .

« اني اكن لانطونيـ ز نوعاً من الصداقة الابوية . ان لي ثلاثة اولاد ، اولهم كابتن في فرقة المظلات، والثاني يصطاد الفهود في افريقيا الجنوبية وقد اراد الثالث ان يكون طالباً في الطب . اما الاول ، فقد نجحت في ان انسئ اني ابوه ، اذ كنا صديقين حقيقين . وهذه هي العلاقات نفسها التي تربطني بانطونيـ ز . ولما كنت لا اكف عن اعجابي به وايماني به ، ولما كان يثق بي مثل ثقتي به ، فقد انتهئ بنا الامر الى تأليف شركة . انه يعرف الثيران وانا اعرف الباقي، فنحن نعمل معا وننقسم . هل تكتب عن الثيران في مجلتك ؟ »

فاجابه جان دانيال، وهو محرر كبير في جريدة « الاكسبريس » الفرنسية :
- كلا ، مع الاسف . ولكني اهتم باشياء اخرى في هذه الفترة . حرب الجزائر مثلاً .

« اعتقد اني لا استطيع ان اؤثر اي تأثير ، لاني اولا امرأة ، ولاني ثانياً لا املك ثقافة سياسية . ان سارتر مثلاً يملك رصيدا من العمل والذكاء يمكنه من ان يكتب روايات ويشارك في الاحداث ، اما انا ، فلا . ان هناك اشياء اكرهها ، وصحفا واشخاصا لا استطيع ان اقرأها او اراها ، ولكن هذا موقف سلبي . وكثيرون يعتقدون ان ذلك غير كاف . ولا ادري الحق مع اي فريق . . . وهذا لا يزعجني من الناحية المعنوية والاخلاقية ، اذ انه يزعجني عجزني عن الطيران . اني اود لو اطمير . ولكن ذلك يزعجني اجتماعياً ، لانه يستحيل علي الا اؤثر ببعض اللفظانـ غ غير اني استطيع الاعتقاد دائماً بانني اذا واجهت موقفاً اكثر حسماً او يبدو لي اكثر حسماً ، كان يكون اكثر مأساوية ، فلن اتردد .»

فهل يمكن للقاريء ان يأمل ، بعد اعجابه بفن فرانسواز سافان ، ان يراها تتجه شيئاً فشيئاً الى ان تصبح ، في هذا العالم القلق الذي تعيش فيه ، ويعيش فيه هو القاريء ، كاتبة اجتماعية تستجيب لهموم الحياة في مختلف ابعادها ؟
س . ا .

الولايات المتحدة

حديث هام لهنغواي . . .

كان ارنست همنغواي في حلبة مصارعة الثيران بمدينة « بايون » في فرنسا ، حين التقى بالكاتب الفرنسي جان دانيال ، فجرت بينهما محادثة ادبية ذات قيمة . وكان همنغواي يرافق مصارع الثيران الشهير « اوردونيـ ز » ويجد لذة كبيرة في مشاهدته وهو يصرع الثيران . وحين سألـ ه دانيال لماذا يرافق اوردونيـ ز اجابه بقوله :

« انني مسرور بان تطرح علي هذا السؤال . فقد كنت اخشى ان تحدثني عن الادب . فانا لا اؤلف الكتب لاستطيع ان اتحدث عنها فيما بعد ! اني لا احسن الحديث عن الادب ، ثم ان هذا لا يهمني ، ولا احب رفقة الادباء . بعكس مرافقة الرسامين ، فهؤلاء يملكون فناً طبعياً . اما الكتاب فهم غير طبيعيين . انهم كائنات غير مستقرة ، محكوم عليها بعدم الامانة . ومن الصعب ان يجد المرء « رجالاً » بين الكتاب . وانا لا استطيع ان ارتبط الا برجال حقيقين . وفي فرنسا هناك « رجال » حقيقيون امثال بريغر وسارتر . ولا ارى سارتر يعتبر نفسه جاداً في علاقاته البشرية . وهذا شيء لطيف اذ يقوي العلاقات . ومن اجل هذا ايضا احب انطونيـ ز اوردونيـ ز . لانه رجل ، ولانه كفؤ ذلك الذي يكون رجلاً اذ يكون مصارع ثيران . وكذلك شأن من يكون كاتباً .

« ان اوردونيـ ز يقضي كل وقته في عمل ما يعملـ ه الناس احياناً ، وما لا يعملـ ه العظماء الا عرضاً . وانا لم اشهد في حياتي شيئاً يشبه ما يعملـ ه هذا الفجري الصغير . ثم انه صديق ، وقد عرفت اباه نينو دولا بالما معرفة عميقة ، وكذلك عرفت اسرته كلها . وحين اصبحت بذلك الحادث الخطير بينما كنت اصطاد في افريقيا الجنوبية ، كانت البرقية الاولى موقعة باسم شخص لم اكن اعرفه ، الابن الثالث لنينو دولا بالما : انطونيـ ز اوردونيـ ز . وحين عدت الى اسبانيا ، للمرة الاولى منذ الحرب الاهلية ، استقبلني انطونيـ ز الذي قال لي اول ما قال : « تسالـ

دار الاداب تقدم

دُرُوبُ القُومَةِ العَرَبِيَّةِ

دراسة واقية في مراعات القومية العربية
ومكاسبها

للمفكر العربي الكبير
الدكتور عبدالله عبد الدائم

يطلب من جميع المكتبات

صدر حديثاً

النشاط الثماني في الغرب

ترافقها الضجة المسرحية ، وهو لا يريد خصوصا ان يفسر ذهاب فيدوسييف على انه انتصار لانصار « اعادة النظر » ..

ومهما يكن من امر ، فان تنحية فيدوسييف علامة مشجعة لتحرر العهد وبروز الشبان . وهناك حادث آخر يشي ان القضية ليست قضية عمل عارض . فقد قرر رئيس التحرير الجديد لمجلة « ليتاراتورنايا غازيتا » واسمه سميرنوف ان ينشر مؤخرا ، بحجة دراسة عن النقد الادبي ، بعض التصريحات التي ادلى بها له السيد خروتشيف اخيرا في مقابلة معه بالكرملين:

« لقد قال لي نيكيتا سيرغييفتش انه كان مع بعض قادة الحزب الاخرين يعون تماما المصير المربع الذي صار اليه الادباء في عهد « عبادة الاشخاص » وقد استمعت بانفعال كبير هذه الكلمات الصادرة عن القلب، وكنت اتذكر بان سنوات ما قبل الحرب وما بعدها قد كانت بالفعل سنوات مربعة بالنسبة لكتابتنا . »

والنتيجة التي خلص اليها سميرنوف انه يجب على الحزب وعلى النقاد الادبيين الا يمثلوا بعد الان دور المدعين العامين والقضاة القسا ، بل ان عليهم ان « يساعدوا ويشجعوا المواهب بدلا من ان يحطموها بحجة المحافظة على المعتقد . »

- بعد ان يعرف الانسان الحرب والصحافة ، يأتي دور الثيران . وهذا افضل من الحديث عن الادب .

- هل مارست مهنة النقد الادبي في شبابك ؟

- كلا ، لم اكن يوما مدعيا .

- الا تقرأ ما يكتب عنك ؟

- ان ذلك لا يهمني على الاطلاق . ان النقاد لم يساعدوني قط ، باستثناء اثنين ، على ان افهم نفسي او ان يفهمني الناس . والحق ان جميع الناس يفهموني . ولا حاجة بي الى من يترجمني لهم . اما الان ، فستتوقف عن الحديث ، وستشرب معنا قدحا ثم تذهب ، لان امامي اعمالا رصينة كثيرة ينبغي ان اقوم بها : يجب ان اتسلى ، وان اكل وان اشرب ايضا .. »

الاتحاد السوفياتي

تطور في الفلسفة والنقد ..

في العاصمة السوفياتية التي أصبحت هذا الصيف مسرحا للمظاهرات السياسية والثقافية والرياضية (المعرض الاميركي ، مهرجان موسكو السينمائي الاول ، الالعاب الاولمبية لشعوب الاتحاد السوفياتي) لم يستلقت الانظار ذلك النبا الصغير المتعلق بتغيير الادارة في اهم مجلة فلسفية بالاتحاد السوفياتي ، بالرغم من انه نبا على غاية من الاهمية .

لقد نجح السيد فيدوسييف ، مدير المعهد الفلسفي والعضو الاكاديمي المعروف ، في ان يحتفظ خلال سنوات الاضطراب والانقلاب على سياسة ستالين ، بمركز الدكتور الحقيقي للفلسفة السوفياتية . صحيح انه كان ديكتاتورا حذرا ، حكيما ، باعتبار ان بعض المضايقات كانت قد علمته في المعهد الستاليني بانه ينبغي الا يجيب قط بنعم او بلا على بعض الاسئلة المباشرة . ولكن ذلك لم يمنع من ان يظهر فيدوسييف ومعاونوه حماة الارثوذكسية الستالينية في ميدان الفلسفة .

وقد كانوا يوجهون صواعقهم على دعاة « اعادة النظر » عبر مجلة « مسائل الفلسفة » (فوبروسي فيلوسوفي) وقد كان هنري لوفيفر في فرنسا والبروفسور كولوكوفسكي في بولونيا مرمى سهامهم المفضل لمدة طويلة . وفي الاشهر الاخيرة الماضية اتى دور الفلاسفة السوفيات الشبان الذين اخذوا يهتمون اهتماما شديدا بعلم الاجتماع . ولكن فيدوسييف كان يصرح بان « علم الاجتماع هو علم بورجوازي اخترعه الاميريكيون ، بينما يجد الماركسيون تحت تصرفهم المادة التاريخية ليدرسوا المجتمعات السابقة والحالية . »

وفجأة اعلنت تنحية فيدوسييف وثمانية من معاونيه الاقربين ، فاعتبر ذلك دليل انقلاب عميق في عدة فروع من الفكر والبحث العلمي في الاتحاد السوفياتي. وقد احاط بهذا الاعلان تحفظ وخفاء مقصودان لذانهما ، فان السيد ميخايلوف وزير الثقافة لا يحب القرارات التي

صدر حديثا عن دار المعارف بمصر

- ٤٠٠ شكري القوتلي، تاريخ امه في حياة رجل بقلم عبد اللطيف اليونس
- ٥٥٠ دراسات في الشعر العربي المعاصر للدكتور شوقي ضيف
- ٤٠٠ العلاقات العامة تأليف ادوار بيرنز واخرين
- ٢٥٠ من اصطلاحات الادب العربي للدكتور ناصر الحاني
- ١٥٠ المسرح للدكتور محمد مندور
- ٣٥٠ تاريخ الصيدلة والعقاقير للدكتور ج. شحاني قنواي
- ٣٥٠ كوميديا الاخطاء ، رتشارد الثالث لشكسبير
- ٤٠٠ حافظ ابراهيم، شاعر النيل للدكتور عبد الحميد سند الجندي
- ٤٠٠ شوقي، شعره الاسلامي للدكتور ماهر حسن فهمي

تطلب هذه الكتب من دار المعارف ببيروت ومن جميع المكتبات الكبرى

النشاط الثقافي في الوطن العربي

الحرة .. بينما اغرقوا الاسواق بالكتب الشيوعية وكل ما يفسف
الشعور القومي ويخدم اميتهم الخائنة .

لم يكن الحزب الشيوعي ولا افراد الرابطة يملكون العدد الكافي من
الكتاب ، فلم يتوانوا عن الاستعانة باناس عاميين: ليسوا موهبين ولا
متقنين . وبذلك ارتكبوا خيانة فكرية تجاه الواجب الذي يقتضيه
الاخلاص للحقيقة الادبية . وها هم - الكتاب الشيوعيون - يذيعون
بياناتهم في اذاعة دمشق منذ شهور ، يعترفون فيها انهم مضللون بحزب
خائن وفكرة دخيلة ويتباكون فاطمين المهود امام الله والناس على
الرجوع الى جادة الصواب والايمان بالوحدة والاخلاص للنظام القائم
رغم اعترافهم بانهم ارباء الحزب الشيوعي ، وان الحزب قد سخر
الرابطة لخدمة اهدافه .

ومن العجيب ان هؤلاء « المخدوعين » كانوا الوجه الادبي للاقليم
السوري طيلة سنين فغنموا مكاسب منها ان ترجمت قصصهم الى اكثر
من عشر « لغات » ومنها انهم جابوا البلاد وحضروا المؤتمرات وتمتعوا
باسنادية توجيه الناشئة باسم الادب مدة طويلة جدا .

ما اسرع ما تراجع هؤلاء « الادباء » عن « مبادئهم » وما اسرع ما
اعلنوا « اخطائهم » وعودتهم الى جادة « القومية العربية » ! حدث ذلك
رغم ما هو معروف عن « صلابة الرفاق المناضلين » وعن حملهم فكرتهم حتى
النصر او الموت ! ما عجب هذا ؟ ولكن الا يدفعنا موقفهم الحالي ان
نشك في موقفهم السابق ؟ الا يحق لنا ان نقول انهم خدعوا الحزب
ولم يخذعوا به ! لقد خدعوا الحزب واستثمروه وحققوا لاحلامهم
الادبية ما لم يستطيعوا ان يحققوه بكفاءتهم وانتاجهم . ولهم كانوا
يشعرون في صميمهم بانهم منحرفون عن سير امتهم منزولون عن نضالها
خائنون لصميرها . ولهذا السبب انهاروا امام اول اخفاق لحزبهم فتخلوا
عنه وشتموه واعترفوا باخطائهم وبان الحزب الشيوعي كان يستغلهم
ويستغل الرابطة ضد اهداف الشعب .

ومع كل ذلك فقد ابى المسؤولون الا ان يعربوا عن صفهم وحسن
نواياهم ، وان يؤكدوا بما لا يقبل الشك ان الحرية هي الاساس الراسخ
في كيان الجمهورية العربية : لذلك سمحت وزارة الخارجية في الاقليم
الشامي لرابطة الكتاب العرب باستئناف نشاطها الادبي ضمن خط
القومية العربية ووجه الاسناد انطون حمصي والاستاذ صميم الشريف
الدعوة الى اعضاء الرابطة لانتخاب مكتب جديد . وقد بدأت طبولهم
نزع وبدأ اذئاب الرابطة الذين اختفوا حينما يعودون الى النيل من كرامة
الادباء العرب . انهم يعودون من جديد بنفس التكنيك القديم .
يسخرون الجرائد لمحذ بعضهم بعضا ويتنادون بانفس الالقاب واكرم
التحيات . ومع ذلك فان السياسة العامة معهم تقوم على « غرض
النظر » والتسامح بانتظار اثباتهم انهم منسجمون مع البيانات التي اذاعوها
واعترفوا جميعا بان الحزب الشيوعي كان يسخر الرابطة لاهدافه .
وحين يبدأوا انتاجهم ويبرهنوا اخلاصهم للقومية العربية .. نفل منتظرين!

تفرغ الادباء

صدر قانون تفرغ الادباء في الاقليم الشامي وسوف تشكل لجان
فنية يعهد اليها بدراسة طلبات الادباء . ولا بد ان نقول انه قرار من

الجمهورية العربية المتحدة

الاقليم الشمالي الكتاب الشيوعيون

لرسل « الاداب » في دمشق

ان يكون ادبيا .. ذلك يعني انك انسان ذو ضمير كبير ، وانك
تدب ابتغاء الشهرة والمنفعة الشخصية بل انت رجل يصدر عن
ضميره ويبني موقفه فلا يحيد قيد أنملة حتى تنتصر القضية . وقد
كان هذا الامر صعبا في كل عصور التاريخ ، لكنه الان اشد صعوبة
واعسر خطرا ، اذ ان بإمكان الاديب - اي اديب ، ان يصبح ذا شهرة
عالية بالتعاون مع الشيوعية العالية والاتحاد السوفياتي ، فهناك جوائز
لمرجات الشباب وجوائز ستالين ولينين .. الخ وكل ذلك يمنح لاي
فنان يرضى بالتعاون مع الشيوعيين ، بغض النظر عن مقدار اصلته ومع
المراعاة الكاملة لبعده وطنه عن الشيوعية ، فكلمة ابتعد الوطن عن الشيوعية
كلما زاد حظ الاديب من الشهرة والكسب والدعوات والجوائز .. ربع
العالم مفتوح لقلم اجير وضمير خائن .

بدأ الحزب الشيوعي عملية استبعاد الافكار بتأسيس رابطة الكتاب
- السوريين - تم حولت الى رابطة للكتاب العرب - ورغم وجود عناصر
مستقلة في الرابطة فقد نجح الحزب في السيطرة على الرابطة وتوجيهها
ليتب افكاره كما يشاء مقابل دعمها في المؤسسات الرسمية وغير
الرسمية ، وكان دور الكتاب الشيوعيين كبيرا في كسب « الانصار »
وتحويل انظار الشعب عن الوحدة الى « الخبز » .

مثل الكتاب الشيوعيون - داخل الرابطة - مهزلة ادت الى زيف
الانتاج الادبي وبعده عن الانصال الاصيل بالروح الحقيقية لشعبنا العربي
فهم دعموا نتاج بعضهم ، ونفارضوا الشناء بالحق والباطل ، واستوردوا
اكثر موضوعاتهم من وحي النظرية الماركسية والواقعية الاشتراكية ،
فعميت عيونهم عن المشكلات الحقيقية التي كان شعبنا يناضل للتخلص
من وطأتها ، كالافطاع والبيروقراطية ومؤامرات المستعمرين .. تركوا كل
ذلك وكتبوا عن العمال في مناجم الفحم والحديد ! وكتبوا كثيرا مادحين
النظام السوفياتي وعن رحلتهم الى الديمقراطيات الشعبية .. جنة الله
على الارض .

اننا لن ننسى انهم كتبوا المؤلفات عن « ديان بيان فو » ولم يذكروا
فلسطين ولا اسكتندرون بكلمة واحدة ... رفعا للعب ، ورفعوا فصائد
المدح والتمجيد الى الرفيق الراحل ستالين والرفيق المقيم ماوتسي
تونغ واشادوا بعظمة الشعب الثائر في كل مكان .. الا في البلاد التي
نريد ان نتوحد ! كتبوا عن الرفاق والثائرين وصمتوا عن رئيسنا العظيم
ونورة الجزائر !

وحين قوي نفوذ الحزب سللوا الى الصحف اليومية ثم الى المؤسسات
الرسمية واستولوا على اكثر اقسام التوجيه الفكري في الاذاعة والديعاية
ومجلات الجيش .. وفرضوا رقابة بالغة الشدة على كل انواع الثقافة

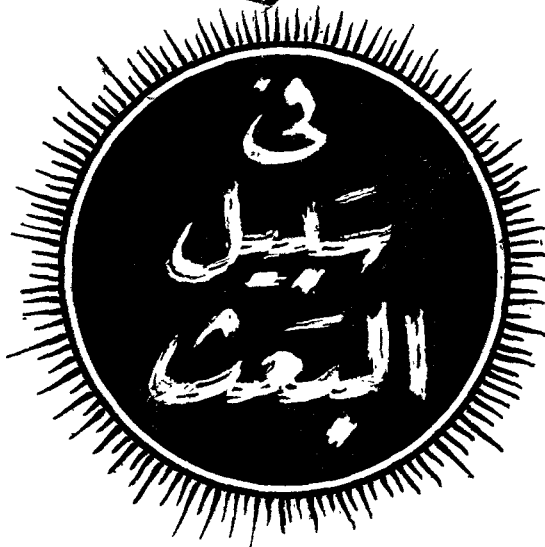
النشاط الثقافي في الوطن العربي

الفني المحلي للفرق التمثيلية في افليمي الجمهورية العربية . ولا ندرى لاي سبب حرمتنا ادارة المسرح من سماع موسيقى لا نعرفها ومشاهدة رقص لم نألفه .. لماذا نقنع بما عندنا ؟ ان الدبكة والرفصات الشعبية شيء جميل لا شك ، كما ان تمثيلات الفرق المصرية لا تخلو من الجودة ولكن الم يكن من الملائم ان نجعل من مسرح المعرض في هذا الشهر اداة لتثقيف المثقفين واطلاعهم على تطور الفنون العالمية ؟ ولماذا نترك المعرض بالذات سوا تجارية حرة لا نتحكم في توجيهها فنجعل عاما للصناعات الثقيلة وعاما للصناعات اليدوية وعاما لغير ذلك من فنون العصر الحديث وبذلك يصبح للمعرض شيء من الوحدة العامة بدلا من ان يكون طليقا حسب اهواء الشركات والدول ؟ هذه اقتراحات بسيطة نرجو من المسؤولين ان ينظروا اليها فسي المعارض القادمة .

محبي الدين صبحي

ميشيل عَفْلَق

في كتابه الجديد



كتاب في أكثر من ٣٠٠ صفحة . يضمه كل ما يريد ان يعرفه القارئ العربي عن القومية العربية واهدافها .

صدر عن دار الطليعة للطباعة والنشر

روح الثورة ، وهو جزء من برنامج وزارة الثقافة في رعاية اوضاع الفكر والعمل على تحسينه . وليس لنا هنا الا ملاحظات اساسية ما دعنا في انتظار تنفيذ القانون .

اول هذه الملاحظات هي ان الفراغ حل جزئي في حياة الاديب ، فاذا كان الاديب مجهدا في عمله الاساسي غارفا في مشكلات مهنته فان فترة الفراغ سوف تكون فترة فاهة واستجمام وسوف يمضي اكثرهما في تركيز الافكار واستجماع الذهن التعب والملكة المضبغة ، لذلك فان الحل الاكثر جذرية توفير عمل قريب من طبيعة الادب لا يجمد الذهن ولا يرهقه . ولنا على ذلك مثال قريب هو وجود بعض الشعراء والادباء في وزارة التربية والتعليم . وكل مطالب هؤلاء ان ينتقلوا الى وظيفة لا يجبرهم ان « يتفوا » انفسهم بتصحيح وظائف الانشاء والقواعد . انهم يريدون ان يعمل يتيح لهم اذا غادروا مكاتبهم ان يحلوا الى نفوسهم بعض الشيء . ومع ان هؤلاء لا يتجاوزون اصابع اليد في الوزارة كلها ، ومع ان الوزير التنفيذي سيادة الدكتور امجد طرابلسي يعرف من تجربته الشخصية ان التدريس يجمد الهمجية ان لم يقتلها ... مع كل ذلك لم ينظر الى امرهم بعين الرحمة بمواهبهم على الاقل .

واذن فالملاحظة الاولى هي ان فترة الفراغ شيء عارض في حياة الاديب اما الاصلاح الدائم فهو اصلاح اوضاع الاديب ككل ، وبذلك يستغني عن الفراغ او يستفيد اكبر الفائدة منه .

الامر الثاني هو تيسير وسائل النشر وذلك بازالة الضرائب المفروضة على الورق وامور الطبع والنشر ، كما ان المرافعة الادبية يجب ان تسلم الى اختصاصيين من ذوي الاطلاع على امور الادب . فاذا افترن ذلك بشراء عدد من نسخ الكتاب وتوزيعها على المكتبات امكنا ان نقول ان ربعا ماديا حقيقيا سوف يدخل الى جيب المؤلف ويدفعه الى احتراف الادب وبذلك تصرف اموال الفراغ الى مشروعات اخر .

اما الملاحظة الاخيرة والحقيقة فهي ان تصرف اموال الفراغ الى « الطقم القديم » من المتقنين بالادب امثال الدكارة الادبيين والمحققين الادبيين والمتقاعدين الادبيين والتسيخ الادبيين والمناققين الادبيين ونحجب عن ذوي المواهب الحقيقية والنشاط الادبي المتطور . بل انني اقترح وقف ثلاثة ارباعها للكتاب الشبان الذين يشغلون في حقول الفنون الادبية الحديثة كالشعر والدراسة والقصة . وانني اذ اطالب بقصر الفراغ على الشبان من الادباء استند الى حقيقة اساسية في الحياة الادبية للاقليم الشمالي ، وهو اننا في هذا الاقليم لا نعرف ازمة شيوخ وشبان ، فكل الذين كتبوا بين ١٩٣٥ و ١٩٤٥ قد انقطعوا تقريبا عن الكتابة . لذلك فان كتاب سورية شباب كلهم ولذلك يجب ان يقتصر الفراغ على الشبان من الادباء اكثر من غيرهم من اصحاب السوابق الادبية .

المعرض

هو فرحة دمشق ونحررها الاجتماعي وافتاحة الاقليم الشمالي على العالم ، وقد افتتح من ٢١ اب الى ٢٠ ايلول ولوحظ فيه قلة دول المسكر الشرقي الى جانب اشتراك بريطانيا وامريكا . لكنه مع ذلك معرض هزيل ودون مستوى المعارض السابقة . اما مسرح المعرض الذي استمدى في يوم من الايام فرق الباليه والموسيقى فقد اقتصر على الانتاج

فهرست

العدد العاشر - أكتوبر «تشرين الاول» ١٩٥٩ - السنة السابعة

مناقشات

- ٥٦ الانسان العربي ورواية دريس السيد خميس شاهين
٥٨ حول قصة جان الكسان
٥٨ المقدرة السلبية في النقد حسان منير

قرأت العدد الماضي من الاداب

- ٦٠ القصائد محيي الدين صبحي
٦٤ القصص عائدة مطرجي ادريس

النتاج الجديد

- ٦٨ « ساق على الدانوب » علي الحلبي
٦٩ « مع الخالدين فائق رجي
٧١ « سواد في بياض » موفق بني المرجة

النشاط الثقافي في الغرب

- ٧٤ فرنسا (رواية الموسم :
هل تحبين برامس ؟)
٧٥ الولايات المتحدة حديث هام مع همنفواي
٧٦ الاتحاد السوفياتي تطور جديد في الفلسفة

النشاط الثقافي في الوطن العربي

- ٧٧ الجمهورية العربية المتحدة (الكتاب الشيوعيون -
تفرغ الادباء - المعرض

- ١ منحدر التل (قصة) الانسة نازك الملائكة
٧ الى البطل القائد عمروش محمد الصالح الصديق
٩٠ النظرية التعبيرية وموقفها من
البشرية مجاهد ع. المنعم مجاهد
١٢ النهر سلطان (قصة) الدكتور ع. المجيلي
١٧ رعاة البقر (قصيدة) عبد الباسط الصوفي
١٨ الفضب (مسرحية) مصطفى الحلاج
٢٩ بقية اللحن (قصيدة) كامل ايوب
٣٠ رواية « الخندق الفميق » :
العمامة تاج العرب ! غالي شكري
٣٢ حتى تشرق الشمس (قصيدة) حسن النجمي
٣٥ ماساة (قصيدة) زكي قنصل
٣٦ وداع (قصة) فتحي زكي
٤٠ من مفكرة رجل مضيق (قصيدة) خليل الخوري
٤٢ جمهورية عربية في الاندلس الدكتور خالد الصوفي
٥٥ لا املك الحياة (قصيدة) مختار عبد الباقي



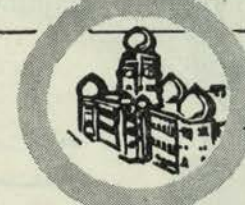
اوروبا



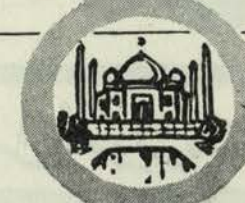
الشرق الاوسط



باكستان



الهند



اجواء ركابہ فیروز و شركتہ طيران مشرق وسطیٰ پرواز
 ۴۱۴/۲/۵ - تھرون - تھرون
 ۴۳۲۹ - تھرون - تھرون
 ۴۱۲۰ - تھرون - تھرون
 ۴۱۰۴ - تھرون - تھرون

سازد
 طائرات
MEA
 وشایکاونٹ

طيران الشرق الاوسط

صَدْرُ حَدِيثٍ

هل تحبين برامس

أحداث وأروع رواية

للكاتبة الفرنسية الشهيرة فرانسواز سافان

ترجمة دقيقة وإخراج رائع على ورق ممتاز

الثن ٢٠٠ ق.ل.

منشورات دار الآداب - بيروت ، ص.ب ٤١٢٢